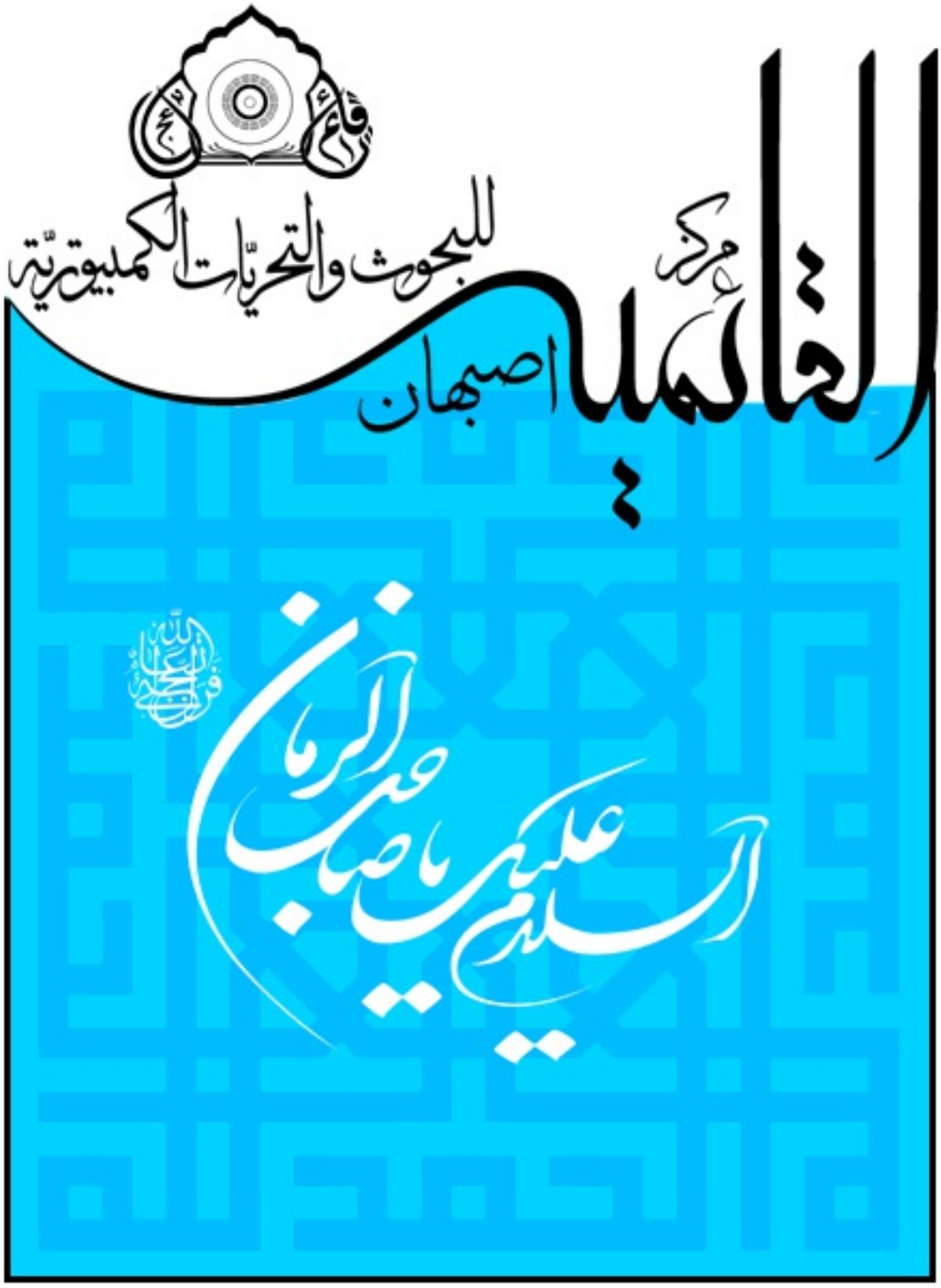

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

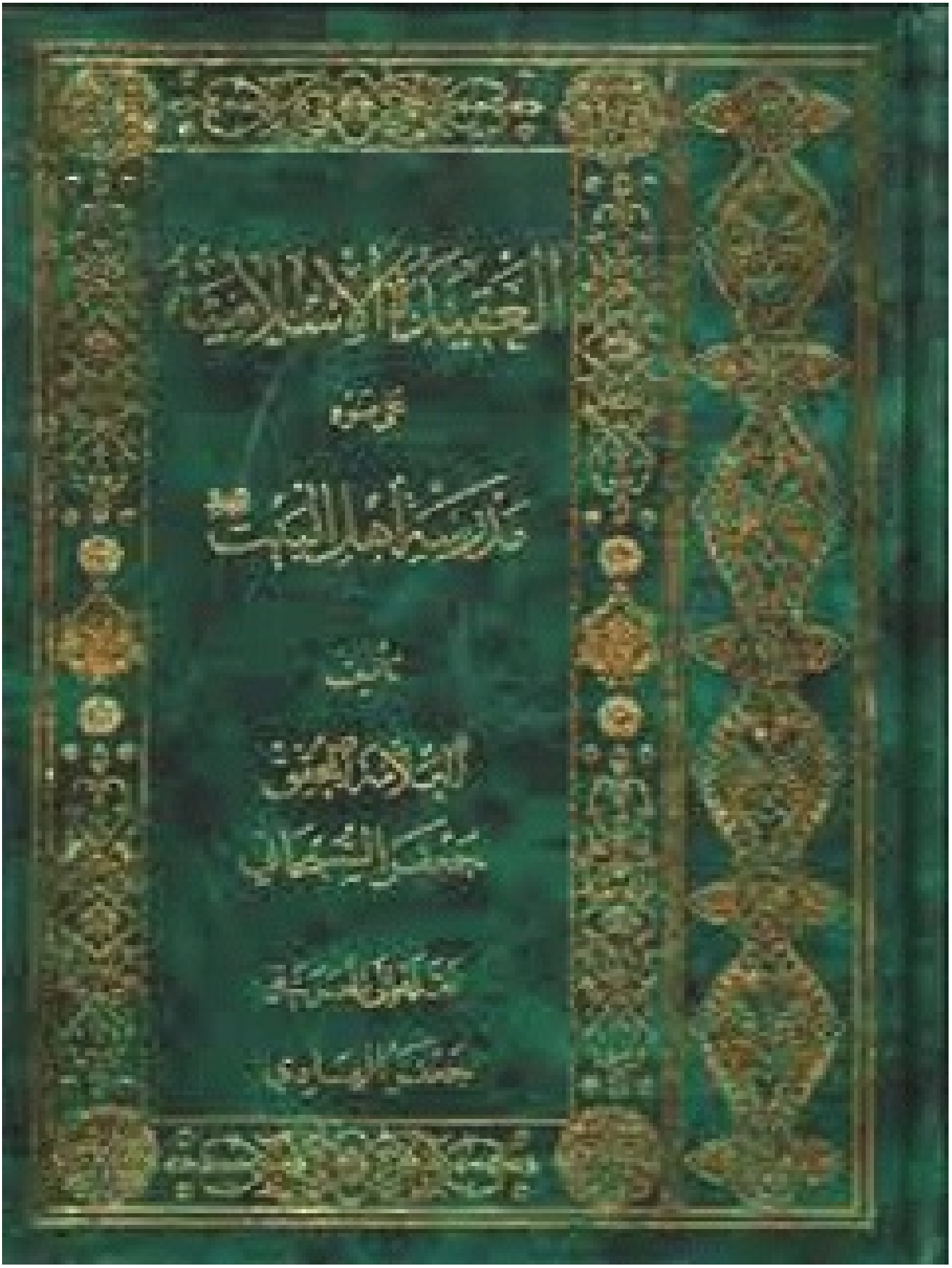

بسم الله الرحمن الرحيم

العقیده الاسلامیه علی ضوء مدرسه اهل‌البیت علیهم‌السلام

کاتب:

آیت الله العظمی جعفر سبحانی (دام ظله)

نشرت فی الطباعة:

موسسه‌الامام‌الصادق (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
العقیده الاسلامیه علی ضوء مدرسه اهل‌البیت علیهم‌السلام ----- ۸
اشارة ----- ۸
مقدّمة المؤلّف ----- ۸
الفصل الأوّل: أُصولُ النظرة الإسلامیة إلی الکون ----- ۹
اشاره ----- ۱۰
طرقُ المعرفة وأدواتُها فی الإسلام ----- ۱۰
الکون فی نظر الإسلام ----- ۱۲
الإنسانُ فی نَظَر الإسلام ----- ۱۴
الفصل الثانی : التوحیدُ ومراتبُه وأبعادُه إلی الکون ----- ۱۸
اشاره ----- ۱۸
الأَصلُ السابعُ والعشرون: وجود الله تعالی ----- ۱۸
التوحید هو الأَصل الموحّد بین الشرائع ----- ۱۹
الفصل الثالث :فی صفات الله سبحانه ----- ۲۴
الأَصلُ الرابع والثلاثون: الصفات الجمالیة والجلالیة ----- ۲۴
صفات الله الثبوتیّة ----- ۲۵
الله وصفاتُ الفِعل ----- ۲۷
صفاتُ الله السلبیّةُ ----- ۲۹
الصِّفات الخَبَریّة ----- ۳۰
الفصل الرابع : العَدلُ الإلهیُّ ----- ۳۲
اشاره ----- ۳۲
الأَصلُ الرابعُ والأَربعُون: العدل من الصفات الجمالیة ----- ۳۲
القضاء والقَدَر ----- ۳۴

الإنسانُ والإختيار ----- ۳۷
الفصل الخامس :النبوّةُ العامّة ----- ۳۸
الأدِلَّةُ على ضرورةِ النُبوّةِ ----- ۳۸
القرآنُ وأهداف النبوّة ----- ۳۹
طُرُق معرفةِ الأنبياءِ ----- ۳۹
الوحى والنبوة ----- ۴۱
عصمةُ الأنبياء ----- ۴۲
الفصل السادس النُبوّةُ الخاصّة ----- ۴۵
الأصلُ السبعون: طرق إثبات النبوّة الخاصّة ----- ۴۶
القرآنُ أو المعجزةُ الخالدةُ ----- ۴۶
خصائصُ نُبُوّةِ رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وآله ----- ۵۲
الفصل السابع الإمامَةُ والخِلافَةُ ----- ۵۶
الإمامَةُ والخِلافَةُ ----- ۵۶
الأصلُ التسعون: تعيين الخليفة أصل متفق عليه ----- ۶۴
الإمامُ الثانى عشر ----- ۶۸
الفصل الثامن عالَمُ ما بَعد الموتِ ----- ۷۱
عالَمُ ما بَعد الموتِ ----- ۷۱
الأصلُ الرابع عَشَرُ بعد المائة: الشفاعة ----- ۷۸
الفصل التاسع فى معالم الإيمان والكفر ----- ۸۲
فى معالم الإيمان والكفر ----- ۸۲
الأصلُ السادسُ والعشرون بعد المائة :التوسّل ----- ۸۹
الأصلُ الثانى والثلاثون بعد المائة: إقامة مجالس ----- ۹۷
الفصل العاشر الحديث والاجتهاد والفقه ----- ۱۰۱
الحديث والاجتهاد والفقه ----- ۱۰۱

بَعضُ الاَحکام الفقهیّة المختلَف فیها ---------- ۱۰۴

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۱۱۴

العقيده الاسلاميه على ضوء مدرسه اهل‌البيت عليهم‌السلام

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، ۱۳۰۸ -

عنوان قراردادی : منشور عقاید امامیه: شرحی گویا و مستدل از عقاید شیعه اثنی‌عشری در یکصد و پنجاه اصل . عربی

عنوان و نام پدیدآور : العقیده الاسلامیه علی ضوء مدرسه اهل‌البیت علیهم‌السلام/تالیف جعفر السبحانی ؛ نقله الی‌العربیه جعفر الهادی.

وضعیت ویراست : ویراست ۲

مشخصات نشر : قم: موسسه الامام الصادق (ع)، ۱۴۳۱ ق = ۱۳۸۸ .

مشخصات ظاهری : ۲۷۲ ص.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۳۵۷-۴۱۷-۸

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس

موضوع : شیعه امامیه -- عقاید

شناسه افزوده : هادی جعفر، ۱۳۲۵ ، مترجم

رده بندی کنگره : BP۲۱۱/۵/س۱۸م۸۰۴۳ ۱۳۸۸

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۱۷۲

شماره کتابشناسی ملی : ۱۹۰۱۱۸۰

مقدّمة المؤلّف

مقدّمة المؤلّف بسم الله الرحمن الرحیم

الحمدُ للهِ ربّ العالَمِین والصَّلاةُ والسَّلام علی محمد رسول الله، الخاتم لما سَبَق، والفاتِح لما انغَلَق، والمُعْلِن الحقَ بالحقّ، والدافع جَیْشاتِ الأباطیلِ، والدامغ صولاتِ الأضالِیل، وعلی أهل بیته المطهَّرین، موضع سرّهِ، ولَجاَ أمرهِ، وعیبهٔ علمِهِ، وموئِلِ حکمِهِ، وکهوفِ کُتُبِهِ، وجبالِ دینهِ، الذین بهِمْ أقامَ انحناءَ ظهرهِ، وأذهبَ ارتعادَ فرائصِهِ، دعائِم الإسلام وولائِج الاعتِصام. إنّ التَدَیُّن، والتوجُّهَ إلی الدّین لهوَ ـ بحقٍّ ـ من أقدم التوَجُّهات البشریّهٔ التی سَجّلها التاریخُ الإنسانیُ، وأکثرها (۶)

أصالهٔ، وتجذّراً فی الحیاهٔ والتاریخ. فالحیاهُ البشریّهُ ـ بشهادهِ الوثائقِ التاریخیّهٔ القطعیّهٔ ـ لم تخلُ قطّ فی أیّ فترهٔ من فتراتها، من التوجُّه إلی الدّین، ومن الإحساس الدینی. والعصرُ الحاضرُ (عَصر التکنولوجیا والتقدّم المادیّ) و بخاصّهٔ الإنسان الغربیّ الذی کان مرتبطاً أکثرَ من الآخرین بهذا التقدّم ومعطیاته وإن شهد نوعاً من النکوص، والابتعاد عن الدین، وعن القضایا المعنویّهٔ ظَنّاً بأنّ المنهجَ المادیَّ کفیلٌ بحلِّ جمیع المشکلات البشریهٔ، إلاّ أنّه سرعان ما رجَعَ عن ذلک التصوّر، وأدرَکَ أنّ العلمَ المادیّ الّذی تصوّرَ أنّه قادرٌ علی تحقیق أمانیّ البَشریّهٔ فی العَدل والحریّهٔ والسّلام، لیس بمفردِهِ قادراً علی مَنح السعادهٔ للبشریّهٔ بل لابدّ أن یکون فی جنبه الإحساسُ الدینیّ والقضایا المعنویهٔ، وإلاّ ـ انهار تماسُکُ المجتمعِ البشریِّ، وتفتّتِ الروابطُ والعلاقاتُ الاجتماعیهٔ وتفسّخِ العائلهٔ. وهکذا أصبحت البشریهٔ تعودُ مرهً أُخری إلی فطرتها، وتُقبلُ علی الدین ومفاهیمه ومعارفه، وحُلولِه. (۷) وفی الحقیقهٔ فإنَّ النکسهَ الماديّهٔ فی مجالِ منح السعادهٔ للبشریهٔ، وتحقیق أمانیّها فی الحریّهٔ والعدل والسَلام صارت سبباً للبحث مجدَّداً عن معینِ الدین الصافی، ونبعه

العـذب بعـد فترة من حرمان نفسـها من مزايا الـدين وفضائله، فإذا هى فى عودتها القويّة إلى ضالّتها هذه كالظمآن الذى حُرِمَ من الماء رَدْحـاً طويلاً ـ مِن الزمن. إنّ هـذه الظـاهرة الآن من الوُضوح والجَلاء بحيث لا يحتاج المرءُ إلى إقامـة دليل أو شاهـد عليها. فهى ظاهرةٌ يعرفُها جيّـداً كلُّ من له اطّلاعٌ على مجريات السّاحـةِ العالميّـةِ فى العَصـر الحاضـر، وإلمامٌ بوقائِعها، وحوادِثِها. ولقد بَلَغَ التوجُّهُ الجديدُ إلى الـدين من القوّة بمكان حتى أصبَحَ محطَّ اهتمام المراكزِ العلميّـةِ العليا فى شتّى نقاط العالم، وراحَ المفكِّرون يتحدّثون عنه، حتى أنّه لا ـ يمرُّ يومٌ أو أُسـبوعٌ أو شـهرٌ إلاّ ـ وتطلُع علينا عشـراتُ الـدّراسات والمقالات بل الأبحاث المفصَّلَـة والمعمَّقـة حول قضـيّة الـدّين، وظاهرةِ التـدينِ، والقضايا الروحيةِ والدينيةِ. (۸) وهـذه الظـاهرةُ وإن كـانت تُخيفُ بعضَ الزعماء الماديّين، حيث يتصوّرون أنّ عودة البشـريةِ إلى الـدين والتديُّن، يُعَدُّ تهدِيداً للكيانِ السياسـىّ والمادىّ ولكنّنا نتفاءَلُ بها، وبالتالى فنحن جدُّ مسـرورين بعودة البشـريةِ إلى أحضانِ الدين الدافِئة، وشواطِئِه الآمنةِ، غير أنّنا إلى جانب ذلك التفاؤلِ والاستبشار، وهذا الابتهاج والسُّرور، لا يمكن أن نتجاهلَ نقطةً مهمّـةً تـدعو للقلق وهى أنّ هذا التعطُّشَ المتزايد والمتصاعِدَ، إنْ لم يُروَ بصورة صـحيحة وسـليمة، وسُـمِحَ للأفكار غير الصـحيحة بأن تُعرَضَ تحت عنوان الـدين، لم يجـد الإنسانُ المعاصـرُ (والإنسانُ الغربى منه بالذات) ضالَّتَه المنشودة بل يكون مثله مثل المسـتجير من الرمضـاءِ بالنّـار، وربّمـا آلَ به الأمرُ ـ لو حـدثَ هـذا ـ إلى أن يُعرِضَ عنِ الـدّينِ، وينأى عن التـديّنِ. ولهـذا فإنَّ على الكُتّابِ الملتزمين الواعين، وعلماءِ الـدّينِ المخلصـين الّـذين لَمَسُوا الداءَ، وعَرِفوا الدواءَ، وأدرَكوا الحاجةَ، وعَلِموا بالعِلاج، أنْ يُبادِروا إلى تقديم الاَجابةِ الصـحيحة للجموعِ البشَرِيةِ المقبِلةِ على الدّين، والعائدةِ إلى فطرتِها، ويقُوموا بِعَرض المفاهيم والحُلُول الدِينيّة بالشَكل اللائِقِ، والصُّورةِ السَلِيمة، وَيُسَهِّلُوا ـ بذلك ـ لِطُلاّب الحقيقة، (۹)

وبُغـاة الحقّ طريقَ الوصول إلى الفيض الإلـهىّ الجـارى زُلالاً، نَقِيّاً لاشوب فيه، صافياً لا غَبَش عليه، ساطعاً لا يعلُوه غُبار. إنّ على علماءِ الأُمّـةِ الحريصـين على الـدّين، والمهتمّين بشؤون المسـلمين ممّن يحملون همَّ الأُمـة، ويشـعرون بالمسؤُوليّة، ويدركون أهميّتها، وعِبئها كوظيفـة شـرعيّة، وواجب إلهىّ، أن لا يسـمَحوا لأشـخاص غيرِ صالحين، ولا لأصـحاب المطامع والأغراضِ المريضـةِ، بعَرضِ عقائِدِهم السـقيمة، وآرائهم الباطلـة على الناس بِاسم الدين وتحت يافِطَتِه. نحن إذ نعتبرُ «الإسـلامَ» آخر وأكمل الشـرائع الإلهيّة، ونعتقد بأنّ هذا الـدّين يُلبّى كلَّ الإحتياجاتِ البشـريّة إلى يوم القيامة سواء منها الفرديّة أو الإجتماعيّة، نرى أنّ من الواجب علينا فى هذا العصـر «عصـر الإتصالاـت» أن نسـتفيد من جميع الوسائـل والأـدواتِ المتقدِّمـة، لِعرض المفاهيم الدينيّـة، ونشـر العقائِـد، والتعاليم الإسـلامية بشـكلِها الصـحيح. هذا من جانب، ومن جانب آخر نعتقد أنّ طريقة أهل البيت والعترةِ النبويّةِ الطاهرةِ هى الحقيقة، وهى المَعْبَر الآمِن إلى (۱۰)

معينِ «الإسـلام» الصافى النقىّ، بعيـداً عن تـدخّل الأيـدى الغريبـة والمريبـة. فقـد كان للأُسـس والمبادئ المتينة التى انطوت عليها هذه الطريقةُ، وهذه المدرسَة، وكذا لاسـتنادها إلى أهل البيت النبوىّ، طيلة التاريخ الإسلامى، جاذبيّة كبرى دَفَعت بِعُشّاق الحقّ، وبالباحثين عن الحقيقـة إلى اعتناقها، والدفاع عنها. وهنا نطوى صَـفحةَ هذه المقدّمة التوضِـيحيَّة، ونبدأ بعرض، وبيان الأُصول الإسـلامية فى مجالِ العقيـدة والشـريعة، مزيجةً ومقرونةً بالأدِلَّة القاطِعة، والبراهينِ الساطِعة . ومن البديهىّ انَّ أُطروحةَ بيانِ العقائد الإسـلاميّة الكاملة تتوقّف على بيان كليات فى مجال نظريّـة المعرفـة ونظرة الإسـلام إلى الكونِ والحياةِ والإنسانِ. فإنّ بيان هـذا القسم فى أيّـة مدرسـة عقائديّـة، كفيـلٌ بإيقافِنـا على رُؤْيتهـا، ونظرتها العامّـة، إلى مجموعـة النّظام الكونىّ، والعالَم الإمكانىّ. ونحن هنا ـ تجنُّباً من التطويل فى الكلام ـ نَعْمَدُ إلى عَرض (۱۱)

أُسـس هـذا القِسم على نحو الإيجـاز، والإختصـار، ومِن المعلوم أنَّ المزيـدَ من التفصـيل فى كـلّ أصـل من هـذهِ الأُصول موكولٌ إلى الكتب الكلامِيّـة المؤلّفـة بيد علماء أهل البيت. والله نسألُ ـ فى الخاتمة ـ أنْ يجعلَ هذه الخطوةَ عَمَلاً من شأنه توضـيح صورة الإسـلام الحنيف إنّه الموفق والمعين. جعفر السبحانى قـم المشـرَّفة

الفصل الأوّل: أُصولُ النظرة الإسلامية إلى الكون

اشاره

الفصل الأوّل: أُصولُ النظرة الاِسلامية إلى الكون والاِنسان والحياة

طرقُ المعرفة وأدواتُها فى الاِسلام

طرقُ المعرفة وأدواتُها فى الاِسلام الاَصلُ الاَوّل: طرق المعرفة يستعين الاِسلامُ لمعرفة الكون، وللوصول إلى الحقائق الدينيّة بثلاثة أنواع من الاَدَوات مع أنّه يعتبر لكلّ واحدٍ منها مجالاً ـ مختصّاً به. وهذه الاَدَوات هى: ١. الحِسّ، وأهّم الحواسّ هما حاسّتا السمع والبصر. ٢. العقل الّذى يكتشف الحقيقة فى مجالٍ محدودٍ وخاصّ، منطلِقاً فى ذلك من أُصول ومبادئَ خاصّةٍ. ٣. الوحى الّذى هو وسيلة لارتباط ثُلّةٍ ممتازة ومميّزة من البشر بعالم الغيب. وفى إمكان البشريّة جميعاً أن يستفيدوا من الطّريقين الاَوّلين فى معرفة الكون وفى فهم الشّريعة كذلك، بينما الطريق الثالث خاصّ بمن

(١۶)

شملتهُ العنايةُ الاِلهيّة، وأبرز نموذج لهذا النمط من النّاس هم رسُلُ الله وأنبياؤه الكرام(١). هذا مضافاً إلى أنّ أدَوات الحسّ وما يسمّى بالحواسّ الخمس، لا يستفاد منها إلاّ فى مجال المحسوسات، كما لا يستفاد من أداة العقل إلاّ فى مجال محدودٍ يملك العقلُ مبادئه. على حين يكون مجال الوحى أوسع نطاقاً وأكثر شموليّة، كما انّه نافذٌ فى جميع الاَصعدة سواء فى مجال العقيدة أو فى إطار الوظائف والتّكاليف. ولقد تحدّث القرآنُ الكريمُ حولَ هذه الاَدَوات الثلاث فى آياتٍ متعددة نأتى هنا بنموذجَين منها: فقد قال تعالى عنِ الحسّ والعقل: (وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالاَبْصارَ وَالاَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(٢). والمراد من الاَفئدةَ فى الآية ـ وهى جمع فؤاد ـ بقرينة لفظَتى: «السَّمع» و«البصر» هو العقل البشرىّ. على أنّ ذَيلَ الآية المذكورة الذى يتضّمن أَمراً بالشُكر يفيد أنّ على الاِنسان أن يستفيد من هذه الاَدَوات الثلاث لاَنّ الشّكر يعنى صَرف كل

---

١ . جاءت الاِشارة فى الاَحاديث الاِسلاميّة إلى مَن وُصِف بالمحدَّث وسيأتى الكلامُ عنه مستقبلاً.

٢ . النَحل | ٧٨ .

(١٧)

نعمةٍ فى موضِعِها المناسِب. وحول «الوحى» قال سبحانه : (وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّ رجالاً نُوحِى إِلَيْهِمْ فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(١). إنَّ الاِنسان المتديّن يستفيد ـ فى معرفة الكون والحياة، والعقيدة والدين ـ مِن الحسّ، ولكن غالباً ما تكون المدرَكات الحسيّة أَساساً ومنطلقاً لاَحكام العقل أى أن تلك المدرَكات تصنع الاَرضيّة للفكر وحُكمه، كما انّه قد يُستفاد من العقل والفكر فى معرفة الله وصفاته وأفعاله وتكون حصيلةُ كلّ واحدة من هذه الطرق والاَدَوات مقبولةً، ونافذةً ومعتبرة فى اكتشاف الحقيقة ومعرفتها. الاَصلُ الثانى: دعوة الاَنبياء والرسل تتلخّص دعوةُ الاَنبياء والرسُل فى أمرين: ١ ـ العقيدة . ٢ ـ العمل . وتتمثل مهمتُهم فى مجال «العقيدة» فى الدعوة إلى الاِيمان بالله، وصفاته الجماليّة والجلاليّة، وأفعاله.

---

١ . النحل | ۴٣ .

(١٨) بينما المقصود من «العمل» هو التّكاليف والاَحكام التى يجب أن تَقوم الحياةُ الفرديّة والاِجتماعيّة على أساسِها. والمطلوبُ فى مجال العقيدة إنّما هو العلم واليقين، ومن المسلَّم أنَّه لا يكون شىءٌ ما حجةً، (وبعبارة أُخرى: لا يَتّسِمْ بالحجيّة) إلاّ ما يؤدى إلى هذا الاَمر المطلوب. ولهذا يجب على كل مُسلم أنْ يصلَ فى عقائده إلى اليقين، فليس له أن يكتفىَ فى هذا المجال بمجرد التقليد، فيأخذَ

عقائدَه تقليداً، ويعتنِقها من غير تحقيقٍ. وأمّا فى مجال الوظائف والتّكاليف (العمل) فإنّ ما هو المطلوب فيها هو تطبيق الحياة على أساسِها، والأخذُ بموازينها فى جميع المَجالات الفرديّة والاِجتماعيّة والسّياسيّة والاِقتصاديّة. وفى هذا الصَعيد تَمَّت ـ بالاِضافة إلى اليقين ـ طُرق أُخرى أيضاً قد أيَّدَتْها الشّريعةُ وفرض علينا الاعتماد عليها للوصول إلى هذه التّكاليف والوظائف، والرجوع إلى المجتهد الجامع للشّرائط هو أَحدُ الطرق التى أيّدها وأقرّها صاحبُ الشريعة. الأَصلُ الثالث: حجّية العقل والوحى نحن نعتمد فى أَخذ العقائد والأَحكام الدّينيّة على حُجّتين إلَهيّتين هما: العقل والوحى. (۱۹) وعمدة الفرق بين هذين هو أنّنا نستفيد مِن «الوحى» فى جميع المجالات، بينما نستفيد مِن «العقل» فى مجالات خاصّة . والمقصود مِن «الوحى» هو كتابُنا السَّماوى «القرآن الكريم» والأَحاديث التى تنتهى أسنادها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأمّا أحاديث أئمة أهل البيت: فبما أنّها تنتهى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتنبع منه، تسمّى جميعُها بالاِضافة إلى أحاديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالسُّنة، وتُعتَبر من الحجج الاِلَهيّة. إنّ العقل والوحى يؤيّد كلٌ منهما حجيّةَ الآخر وإذا أثبتنا بحكم العقل القطعى حجيّة الوحى فإنّ الوحى بدوره يؤيّد كذلك حجيّة العقل فى مجاله الخاصّ به. إنّ القرآن الكريم يَقُودُ ـ فى كثير من المواضع ـ إلى حكم العقل وقضائه، ويدعو النّاس إلى التّفكر والتّدبر العقلى فى عجائب الخلق، ويستعينُ هو كذلك بالعقل لاِثبات مضامين دعوتِه، وليس ثمَّتَ كتابٌ سماويٌ كالقرآن الكريم يحترِم المعرفةَالعقليّة (والقضايا المدلَّلُ عليها بالعقل السليم). فَالقرآن زاخرٌ بالبراهين العقلية فى صعيدِ العقائد، حتّى أنّها تفوقُ الحصرَ. ولقد أكّد أئمةُ أهل البيت: على حجيّة العقلِ وأحكامهِ فى

(۲۰)

المجالات التى يحقُّ للعقل الحكمُ فيها، حتّى أنّ الاِمام السّابع موسى بنَ جعفرٍ ـ عليه السلام ـ عدّه إحدى الحجج إذ يقول: «إنّ لله على الناس حجّتين: حجّةً ظاهرةً وحجّةً باطنةً، فأمّا الظّاهرةُ فالرُّسل والأَنبياءُ والأَئمة، وأمّا الباطنةُ فالعُقول»(۱). الأَصلُ الرّابع: العقل والوحى لا يتعارضان لمّا كانَ الوحىُ دليلاً قطعيّاً، وكان العقلُ مِصباحاً منيراً جعلهُ الله فى كيان كل فردٍ من أفراد النَّوع الاِنسانىّ، ـ لذلك ـ لَزِمَ أنْ لا ـ يقع أَىُّ تعارُضٍ بين هاتين الحجّتين الاِلَهيَّتين. ولو بدا تعارضٌ بدائىٌ أحياناً بينَ هاتين الحجَّتين، فيجب أنْ يُعْلَم بأَنّه ناشئٌ من أحد أمرين: إمّا أنّ اسْتنباطنا مِن الدِّين فى ذلك المورد غيرُ صحيح، وإمّا أنّ هناك خطأً وقع فى مقدّمات البرهانِ العقلىّ، لأَنّ الله الحكيم تعالى لايدعُو النّاس إلى طريقين متعارضين مُطلقاً. وكما أنّه لا ـ يُتصَوَّر أى تعارض حقيقى بين العقل والوحى، كذلك لا يحدثُ أَىُّ تعارضٍ بين «العلم» و «الوحى» مطلقاً، وإذا لُوحظَ نوعٌ مِن التعارض بين هذين فى بعضِ الأَحايين فإنّه أيضاً ناشئ من أحد أمرين: إمّا أنْ يكونَ استنباطُنا من الدّين فى هذا الموضع استنباطاً خاطئاً، وإمّا أنَّ

---

۱ . الكافى الأُصول: ج ۱، ص ۱۶، الحديث ۱۲.

(۲۱)

العلمَ لَمْ يَصِل فى هذا الموضوعِ إلى المرحلة القطعيَّة. إنّ التعارضَ ينشأُ غالباً من الشِّقِ الثانى أىْ عندما تُتلقّى بعض الفرضيّات العلميّة على أنّها حقائق قطعيّة، وعند ذلك يحدث التصوّر بأنَّ هناك تعارضاً بين العلم والدّين. الأَصلُ الخامس: حقيقة العالم مقولة غير خاضعة لتفكيرنا فى مجال الأُمور التكوينيّة ذات الواقع المستقلّ عنِ الفكر والتَّصوُّر، تكون الحقيقة مقولةً ذات صفة أبَديّة وخالدة. بمعنى أنّ الاِنسان لو توصّل عن طريق إحدى الأَدوات الحسّيّة إلى معرفة أَمرٍ واقعىٍّ كحقيقةٍ من الحقائق فإنّ ما اكتشفه يكون حقاً ثابتاً، دائماً وأبداً. وَامّا إذا اكتشف أَمراً بعضُه معلوم ومطابق للحقيقة، وبعضُه الآخر خَطَأٌ كان ذلك القسمُ الّذى يتَّسمُ بسمةِ الحقيقة، حقيقةً إلى الأَبَد، بمعنى أنّه لا ولن يتغير أبداً بتغيّرِ الظروفِ وانقلابها. وبعبارةٍ أُخرى؛ إنَّ النِّسبيَّة فى الحقائق، بمعنى كون حصيلة معرفة فى زمانٍ عينَ الحقيقة، وفى زمان آخر عين الخطأ، لا تُتصوّر فى مجال المعرفة التى ترتبط بالتكوينيّات. فإذا كان حاصلُ ضرب ۲ × ۲ يساوى ۴ مثلاً أمراً ثابتاً، فإنَّ هذا يكون ثابتاً مطلقاً، وإذا لم يكن هكذا فهو ليس هكذا مطلقاً. فلا يمكنُ أنْ تكون حصيلةُ معرفة من

المعارف فی مرحلة خاصّة

(۲۲)

عينَ الحقيقة وفی مرحلة أُخری ترتدی رداءَ الخطأ. إنَّ النسبيَّة فی المعارف والمُدرکات إنَّما تُتصوَّر فی الأُمورِ الَّتی ليس لها واقعية سوی فکر الإنسان وتصديقه وتکون من مواضعاته فمثلاً المجتمع الغربی مختار وحر فی انتخاب نظام حکومته. فإذا اتفقوا ذاتَ يوم علی صيغة معيّنة للحکم اتّسمت تلک الصّيغَة بسمة الحقيقة ما داموا متفقين عليها. وَأَمّا إذا اتَّفقوا ـ ذات يوم ـ علی عکسها، کانت الصّيغة الثانيةُ هی الحقيقة، وفی نفس الوقت يکون کل من المعرفتين فی ظرفها الخاصّ عين الحقيقة. ولکنَّ الأُمورَ الَّتی لها بذاتها محلّ مشخّص ومحدود خارج الذّهن، إذا وقعتْ فی إطار الإدراکِ بصورةٍ صحيحة وثابتةٍ تکون صحيحة للأبد، وکان خلافها کذلک باطلاً دائما وأبداً. وبتعبير آخر؛ إنّ کل شیء له واقعية خارجية وراء ذهن الإنسان فالمعرفة الواقعة عليه يدور أمرها بين الصحة والخطأ، وأمّا الأُمور الاعتبارية التی يصنعها الذهن لأجل أغراض اجتماعية، کصيغة الحکومة، والرئاسة والملکيّة فهی تتسم بالنسبيّة وتوصف بها. وتکون حقيقة فی ظرف دون آخر.

(۲۳)

الکون فی نظر الإسلام

الکون فی نظر الإسلام الأصلُ السادس: الکون مخلوق لله الکون ـ أیْ کل ما سِوَی الله ـ مخلوقٌ لله تعالی، وليس واقعُ الکونِ هذا سِوَی التعلّق، والرَّبط بالله تعالی، وليست الکائنات فی غنیً عن الحقّ تعالی ولا ـ لحظةً واحدة، ومعنی قولنا: إنَّ الکون مخلوق لله، هو أَنَّ الکون خُلِقَ بإرادة الله ومشيئته، وأنّ نسبته إلی الله ليس مِنْ نمطِ نسبة الوَلد إلی الوالد، فليست العَلاقة بين الکون وبين الله علاقة توْليد، وَولادةٍ، يقول سبحانه: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)(۱). الأصلُ السابع: نظام الکون الحالی ليس أبديّاً النِّظام الحالی للکون ليس خالداً ولا أبديّاً، بل سينهدمُ وينـدثر بعد زمانٍ يعلمه الله وحده علی وجه التحديد، ويقوم مکانه نظامٌ آخر هو العالم الأُخروی وما يسمّی بالمعاد، کما يقول تعالی: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرْضِ والسَّماواتُ وَبَرَزُوا لله الْوَاحِدِ الْقَهّارِ) (۲). وفی قوله سبحانه: (إنّا لله وَإنّا إليْهِ راجِعُونَ)(۳) إشارَة إلی هذه الحقيقة.

---

۱ . الإخلاص | ۳.

۲. إبراهيم | ۴۸ .

۳. البقرة | ۱۵۶.

(۲۴) الأصلُ الثامن: العلّة والمعلول النِّظامُ الکونی الرّاهنُ قائمٌ علی أَساس العلَّة والمعلول، وتقومُ بين ظواهرِهِ وأجزائه رابطةُ العليّة والمعلوليّة. وتأثيرُ کلّ ظاهرة فی ظاهرة أُخری متوقّف علی الإذن الإلهی وَالمشيئة الإلَهيَّة، وقد تَعلَّقت المشيئة الإلَهيَّة الحکيمة بتحقيق فيّاضيّته غالباً عن طريق النِّظام السببیّ، وعَبْرَ الأسباب والمسبّبات. ومن الواضح أَنَّ الإعتقاد بتأثير الظّواهر بعضُها فی بعض، لا يعنی الإعتقاد بخالقيّتها قَطُّ، بل المقصود هو أنّ تلک الأسبابَ والعلل توفِّر ـ بإذن الله ومشيئته ـ أرضيّة تحقّق ظواهر أُخری، وأَن أیّ نوع من أَنواع التأثير والتأثر مظهرٌ من مشيئة الله وإرادته الکلّيّة. وقد أشار القرآنُ الکريمُ إلی کلا المطلبين المذکورَين ونعنی خضوع الظواهر الطّبيعية لقانون العليّة وکذا توقُّفَ تأثيرِ کلّ علّةٍ وسبب فی الکون علی الإذن الإلَهی الکلّی. ففی المجال الأوّل نکتفی بذکر الآية التالية: (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمرَاتِ رِزَقاً لَکمْ)(۱). وفی المَجالِ الثّانی نکتفی بالآيةِ التّالِيَة أَيْضاً: (وَالْبَلَدُ الطَّيّبُ يخرُجُ نَبَاتُهُ بِإذْنِ رَبِّه)(۲) (۳).

---

۱. البقرة | ۲۲.

۲. الأعراف | ۵۸ .

۳. للتَّوسُّع ومَزيد الاطِّلاعِ فى هذا المجال تُراجَع كتب التّفسير والكلام (العقائد) منها: تفسير الميزان: ۱ | ۷۴ طبعة بيروت، والإلهيّات: ۲ | ۵۱ ـ ۵۴.

(۲۵) الأَصلُ التاسع: الوجود ليس مساوقاً للطبيعة المادية الوجودُ ليس مساوِقاً للطبيعة المادّيّة، فهو لا ينحصرُ فى المادّة وحدها بل هو أوسع من المادة ومن ما وراءَها الَّذى أَطلقَ عليه القرآنُ اسْمَ عالَم الغيبِ فى مقابل عالَم الشَّهادةِ. وكما انّ الظواهر المادية يؤثر بعضُها فى بعضٍ بإذن الله تعالى كذلك تؤثّر الموجوداتُ الغيبية فى عالَم الطبيعة بالإذن الإلَهىّ. وبعبارة أُخرى: هى وسائط للفيض الإلَهى . ويتحدث القرآنُ الكريمُ عن تأثير مَلائكةِ الله وتسَبّبِها لحوادثِ العالَم الطبيعىّ إذ يقول : (فَالمُدَبِّراتِ أمْراً)(۱). (وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ ويُرسِلُ عَليكم حَفَظَةً)(۲). نَستَنتجُ من الآيات الصَريحة السابقة: أنّ عالَمَ الخلق بقسمَيْه: الطبيعة وما وراء الطبيعة مع ما يسوده من النظام السببى قائمٌ برمَّته بمشيئة الله سبحانه ومرتبط به، بلا استثناءٍ.

---

۱ . النازعات | ۵ .

۲ . الأنعام | ۶۱ .

(۲۶) الأَصلُ العاشر: خضوع الكون لهداية خاصة إنَّ الكونَ حقيقةٌ تخضع لهدايةٍ خاصّةٍ، وانّ جميع ذرات العالم ـ كلٌّ فى مرتبته ـ تتمتع بحسب ما هى عليها بنورِ الهداية. كما وإنّ مراتب هذه الهداية العامّة والشاملة تتكون من الهداية الطبيعية، والغريزية والتكوينية. وَلقد ذكَّر القرآنُ الكريمُ فى آيات عديدةٍ بهذه الهداية التكوينيّة والعامّة نأتى فيما يلى بواحدةٍ منها: (ربُّنا الّذِى أَعطى كُلّ شىْءٍ خَلقَهُ ثُمَّ هَدَى)(۱). الأَصلُ الحادى عشر: الكون نظام كامل إنَّ نظامَ الخليقة الحاضر هو النظامُ الأَكملُ والأَحسنُ، وإنّ جهاز الوجود قد صُوِّر على أفضل صورة، فلا يمكن تصوّر ما هو أكمل وأفضل مما عليه الآن. يقول القرآن الكريم: (الَّذِى أَحسَنَ كُلَّ شىءٍ خَلَقَهُ)(۲). والدليلُ العقلىُّ يدعمه، وذلك لأَنّ فعلَ أىّ فاعل يتناسب ـ من حيث الكمال والنقص ـ مع ما عليه الفاعلُ من حيث الصفات والكمالات،

---

۱ . طه | ۵۰ .

۲ . السجدة | ۷ .

(۲۷)

فإذا كان الفاعلُ منزَّهاً عن أىّ نقص من حيث الصفات الوجوديّة، كان فعلهُ كذلك عارياً عن أىّ نوع من أنواع النقص والعيب. وحيث إنّ الله تعالى يُوصف بكلّ الكمالات الوجوديّة على وجهها الأَتمّ الأَكمل يكون فعله أيضاً ـ وبطبيعة الحال ـ أكملَ فعلٍ وأفضلَه. هذا مضافاً إلى أنّ كونَ اللهِ حكيماً يقتضى ما دام خلقُ العالم الأَحسنِ ممكناً، أن لا يوجِدَ غيره. والجدير بالذِكرِ أنّ ما فى العالَم الطبيعىّ مما يسمّى بالشُّرور لاينافى النظامَ الأَحسنَ للوجود، وتوضيحُ هذه النقطة سيأتى فى أبحاث «التوحيدِ فى الخالقيّة». الأَصلُ الثانى عشر: الحكمة فى خلق الكون حيث إنَّ العالَمَ مَخلوقٌ لله الّذى هو الحقُّ المطلَق وفعلهُ، فإنَّ مصنوعَه كذلك حقٌّ ويتَّسم بالحِكمة، فلا مجالَ للعبثيّة واللاهدفيّة فيه. وقد أشار القرآنُ الكريمُ إلى هذا الموضوع فى آياتٍ عديدةٍ نذكر واحدةً منها هنا: (ماخَلَقْنا السَّماواتِ والأَرْضَ وَمَابَيْنَهما إلاّ بِالحقِّ)(۱). على أنّ غايةَ هذا العالم والإنسان إنما تَتحقّق عندما تقومُ القيامة، كما قال الإمام أمير المؤمنين على ـ عليه السلام ـ : «فإنّ الغاية القِيامة».(۲)

---

۱ . الأحقاف | ۳ .

۲ . نهج البلاغة، الخطبة ۱۹۰ .

(۲۸)

الإنسانُ فی نَظَر الإسلام

الإنسانُ فی نَظَر الإسلام

الأصلُ الثالثُ عشر: الإنسان الإنسان كائنٌ مركّبٌ من الروح والجَسَد، وجَسَده يتلاشى بعد الموت وتتفرق أجزاؤه، إلّا أنَّ روحه تواصل حياتها، وموت الإنسان لا يعنى فناءه، ولهذا فانّه سيمرّ بحياةٍ برزخيةٍ حتى تقومَ القيامة، ولقد أشار القرآن الكريم عند بيان مراتب خَلْق الانسانِ وتكوّنه، إلى آخر مرحلةٍ من تلك المراحل، وهى التى تتحقّق بنفخ الروح فى جثمانه إذ يقول: (ثُمَّ أَنْشَأناهُ خَلْقاً آخرَ)(۱). كما أنّ القرآن أشار إلى حياة الإنسان البرزخية فى عدة آيات أيضاً، ومن تلك الآيات قوله: (ومِن وَرَائِهِم بَرزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُون)(۲).

---

۱ . المؤمنون | ۱۴ .

۲ . المؤمنون | ۱۰۰ .

(۲۹) الأصلُ الرابعُ عشر: خلق الإنسان بفطرة سليمة يولَد كلُ إنسان بفطرةٍ نقيّةٍ توحيديّةٍ بحيث إذا بقى بعيداً عن تأثير العوامل الخارجية (كالتربية والصَداقةِ والإعلام) التى تُسبِّب انحرافَ عقيدتهِ، سَلَكَ طريقَ الحق. فليس ثمة شرّيرٌ بالولادة والخلقة بل الشرور والقبائح أُمور ذات صفة عارضة وطارئة تنشأ بسبب العوامل الباطنية والاختيارية. ولهذا فانَّ فكرةَ المعصية الذاتية فى بنى آدم، المطروحة من قِبل المسيحيّة المعاصرة، لا أساس لها من الصحّة قط. يقول القرآنُ الكريمُ فى هذا الصدد: (فَأقِم وَجْهَكَ لِلدّينِ حَنِيفاً فطْرَتَ اللهِ الّتى فَطَرَ النّاسَ عَلَيها)(۱). الأصل الخامسُ عشر: الإنسان كائن حرّ الإرادة الإنسان كائنٌ حرُّ الإرادة، مخيّرٌ، يعنى انّه بَعد أن يدرسَ النواحى المختلفة لموضوعٍ مّا فى ضوء العقل، يختار فعلَهُ أو تركَه، دون إجبار. يقول القرآن الكريم: (إنّا هَدَيناهُ السَّبيلَ إمّا شاكِراً وإمّاكَفُورا) (۲). ويقول أيضاً: (وقُلِ الحَقُّ مِن رَّبّكُم فَمَن شاءَ فَلْيُؤمِن وَمَن شاءَ فَلْيَكْفُرْ)(۳).

---

۱ . الروم | ۳۰ .

۲. الإنسان | ۳ .

۳ . الكهف | ۲۹ .

(۳۰) الأصلُ السادسُ عشر: الإنسان مخلوق قابل للتربية والتأديب حيث إنّ الإنسان يتمتع بفطرةٍ سليمةٍ وقوة تُمكِّنه من معرفة الخير والشرّ، كما انّه كائن مخيّر غير مجبور، لذلك كلهِ فهو موجودٌ قابل للتربية والتأْديب، قادرٌ على سلوك طريق الرشد والتكامل، وباب العودة إلى الله مفتوحٌ عليه، اللّهم إلّا أن يتوبَ إلى الله لحظة المعاينة، ومشاهدة الموت التى لا تُقبل فيها التوبة، ولا تنفع فيها العودة إلى الله. ومن أجل هذا تكون دعوةُ الأنبياء موجَّهة إلى جميع البشر حتى نظير فرعون كما يقول تعالى: (فَقُلْ هَلْ لَّكَ إلى أن تَزَكّى * وأهدِيَك إلى رَبّك فَتَخْشى)(۱). وعلى هذا الأساس يجب أن لا ييأس الإنسانُ من الرحمةِ والمغفرةِ الإلَهيّتين كما يقول تعالى: (لا تَقْنَطُوا مِن رَّحمَةِ الله إنّ الله يَغفِرُ الذُّنوبَ جميعاً)(۲). الأصلُ السابعُ عشر: الإنسان كائن مسؤول حيث إنّ الإنسان يتمتع بنورِ العقل وموهبة الاختيار لذلك فإنّه كائنٌ مسؤُولٌ، مسؤولٌ أمام الله، وأمام الانبياء، والقادة الإلَهيين، وأمام غيره من

---

۱ . النازعات | ۱۸ ـ ۱۹ .

۲ . الزمر | ۵۳ .

(۳۱)

أبنـاء البشـر الآخرين، وأمام العالَم. وقـد صَرّحَ القرآن الكريم بهـذه المسؤوليـة الّتى تَقَعُ على الإنسان فى آيات عديـدة يقول: (وأَوفُوا بالعَهْد إنَّ العَهْدَ كانَ مَسؤُولاً)(۱). ويقول كـذلك: (أيَحْسَبُ الإنسانُ أنْ يُترَكَ سُدىً)(۲). ويقول الرسولُ الاَكرم محمد ـ صـلى الله عليـه وآله وسـلم ـ «كُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسـؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ»(۳). الاَصـلُ الثـامنُ عشـر: ملاـك التفاضل بين الناس لا فَضْلَ لإنسانٍ على إنسان آخر إلّا بما يكسـبه، ويحصل عليه من الكمالات المعنوية، وأفضل هذه الكمالات التى هى ملاكُ التفوّق والاَفضـليّة هو التقوى كمـا يقول تعالى: (يا أيُّها الناسُ إنّا خَلَقْناكُمْ مِن ذَكرٍ وأُنثى وَجَعَلْناكُم شُـعُوباً وَقَبائلَ لِتَعارَفُوا إنّ أكرَمَكُمْ عِنـد الله أتْقاكُمْ)(۴). وعلى هذا الاَساس لا تكون الخصائصُ العرقية والجغرافية وغيرها من وجهة نظر الإسـلام سبباً للتمييز، ومبرِّراً للتفاخر والتكبّر، والاستعلاء على الآخرين.

---

۱ . الإسراء | ۳۴ .

۲ . القيامة | ۳۶ .

۳ . مسند أحمد: ۲ | ۵۴ ؛ وصحيح البخارى: ۳ | ۲۸۴ (كتاب الجمعة، الباب ۱۱، الحديث ۲).

۴ . الحجرات | ۱۳ .

(۳۲) الاَصلُ التاسعُ عشـر: ثبات الاُسـس الاَخلاقيـة الاُسُسُ الاَخلاقيـة التى تُمثّل ـ فى الحقيقـة ـ أُسُسَ الهويّـة الإنسانية، ولها جذورٌ فطريّـةٌ، أُسـسٌ ثابتـةٌ وخالـدةٌ، وهى لاـ تتغيّر بسـبب مُضِىّ الزمـان وطروءِ التحوّلات والتطوّرات الإجتماعيـة. فمثلاً؛ حسنُ الوفاء بالعهد والعقد، أو حسن مقابلة الإحسان بالإحسان، قضيّةٌ خالدةٌ، وحقيقةٌ ثابتةٌ مطلقاً، وهذا القانون الاَخلاقى لا يتغير أبداً. وهكذا الحكمُ بقبح الخيانة وخُلف الوعد. وعلى هذا الاَساس فإنّ فى الحياة البشـرية الاجتماعية طائفةً من الاُصول والاُسُس التى امتزجت بالفطرة، والطبيعة البشـرية وتكون ثابتـةً وخالـدةً. وقـد أشارَ القرآنُ الكريمُ إلى بعض هـذه الاُصول والاُسُـس العقليّـة الاَخلاقيـة الثابتة إذ قال: (هَلْ جزاءُ الإحسانِ إلّا الإحسانُ)(۱). (ما عَلى المُحْسِنِينَ من سَبيلٍ)(۲). (فإنَّ اللهَ لايُضِيعُ أجرَ المُحْسنينَ)(۳). (إنّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذى القربى وَيَنْهَى عنِ الفَحْشاء والمُنْكَرِ والبَغى)(۴).

---

۱ . الرحمن | ۶۰ .

۲. التوبة | ۹۱ .

۳. يوسف | ۹۰ .

۴. النحل | ۹۰ .

(۳۳) الاَصلُ العشـرون: العلاقة بين عمل الإنسان والظواهر الكونية إنّ أعمال الإنسان وتصـرّفاته مضافاً إلى أنّها تسـتتبع أجراً، أو عقاباً مناسـباً لها فى اليوم الآخر (القيامة)، لا تخلو من نتائج حَسَـنة أو سَـيّئة فى هذه الدنيا، لاَنّ ثمت قوىً شاعرةً ومدركةً وُصِفت فى القرآن الكريم بالمدبّرات (فالمُدبّراتِ أمْراً) (۱) تدبّر أُمورَ الكون بإذن الله، ولن تقفَ من أعمال الإنسان حَسَنة كانت أو سيّئة موقفَ المتفرج، وفى الواقع إنّ عملَ الإنسان فعلٌ، وبعضُ حوادث العالَم المنتهيـة إلى تلك المـدبرات ردةُ فعل على عمله. وهـذه حقيقةٌ كَشَفَ الوحىُ القناع عنها، وتوصّل إليها الإنسانُ بعلمه إلى درجـة مّا أيضاً. وللقرآن الكريم فى هذا المجال آياتٌ عديدةٌ نذكر منها على سبيل المثال مـا يلى: (وَلَوْ أنَّ أهْـلَ القُرى آمَنوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنـا علَيهِم بَرَكـاتٍ مِنَ السَّماء والاَرضِ)(۲). الاَصلُ الواحـدُ والعشـرون: العلاقة بين تقدّم الاُمم أو تخلّفها وبين عقائدها وأخلاقها إنّ تقدّمَ الاُمم أو تخلّفها نابعٌ من عِلَل وعواملَ داخليّة تعود فى الاَغلب إلى عقائدها وأخلاقها،

وبالتالى إلى سلوكها أَنفسها، مضافاً إلى بعض العوامل الخارجية.

---

۱ . النازعات | ۵ .

۲ . الأَعراف | ۹۶ .

(۳۴) على أنّ هذا الأَصل لا يتنافى مَعَ مبدأ القضاء والقدر الإلَهيّين، لأَن هذا الأَصل (أى تأثير سلوك الأُمم فى مصيرها) هو نفسُه من مظاهر التقدير الإلَهى الكلّى. يعنى أنّ المَشيئة الإلَهيّة الكُليّة تعلّقت بأن تَصنع الأُممُ هى مصائِرَها كأن يحظى المجتمعُ الذى يقيمُ علاقاته الاجتماعية على أساس العَدالة، بحياة طيبة، ومستقرة، ويكون وضع الأُمة التى تقيم علاقاتها الاجتماعية على خلاف ذلك سَيّئاً، وحالتها متدهورةً. إنّ هذا الأَصلَ هو ما يسمّى حسب مصطلح القرآن الكريم بالسنن الإلَهيّة حيث قال: (فَلَمّا جاءَهُمْ نَذيرٌ ما زادَهُمْ إلّا نُفُوراً * استِكْباراً فى الأَرضِ ومَكْرَ السّيّئِ ولا يحيقُ المَكْرُ السَيّئُ إلّا بأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرونَ إلّا سُنّتَ الأَوّلين فَلَنْ تَجِدَ لِسُنّتِ الله تبديلاً وَلَنْ تجِدَ لِسُنّتِ اللهِ تحويلاً)(۱). وقال: (.. وأَنتُمُ الأَعلَوْنَ إنْ كُنتُمْ مؤمِنينَ * ... وتِلكَ الأَيّامُ نداولها بَينَ النّاسِ..)(۲). الأَصلُ الثانى والعشرون: وضوح المستقبل البشرى إنّ مستقبلَ البشريّة واضحٌ لا إبهام فيه، صحيح أنّ حياة البشرية اقترنت فى الأَغلب مع أَلوان مختلفة من التمييز، والفوضى، إلّا أنّ هذا الوضع لن يستمرَّ إلى الأَبد، بل يَتحرَّك التاريخ البشرى باتجاه مستقبلٍ

---

۱ . فاطر | ۴۲ ـ ۴۳ .

۲ . آل عمران | ۱۳۹ ـ ۱۴۰ .

(۳۵)

مشرقٍ يسودُ فيه العدلُ، ويخيّم عليه القسطُ الشاملُ، وتكونُ الحاكميةُ فى الأَرض لِمن أسماهم القرآن الكريم بالصالحين إذ قال تعالى: (وَلَقَد كَتَبْنا فى الزَبُورِ مِن بَعدِ الذكرِ أنّ الأَرضَ يرثُها عِبادِىَ الصالِحون)(۱). ويقول أيضاً: (وَعَدَ اللهُ الذِينَ آمَنوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصالحاتِ لَيستَخْلِفَنَّهُمْ فى الأَرضِ كَما اسْتَخلفَ الذينَ مِنْ قبْلِهِمْ)(۲). وعلى هذا الأَساس فإنّ النصر النهائى فى مستقبل التاريخ، وفى خاتمة المطاف فى حَلَبة الصراع المستمر بين الحق والباطل إنّما هو للحقِ دون سواه، وإن تأخر ذلك بعض الشىء وطال الأَمَد، كما يقولُ القرآن الكريم: (بَل نقذِفُ بِالحقِّ عَلى الباطِلِ فَيدمَغُه فَإذا هُوَ زاهِقٌ)(۳). الأَصلُ الثالثُ والعشرون: كرامة الإنسان وحرّيته يحظى الإنسانُ ـ حسب رؤية القرآن الكريم ـ بكرامةٍ خاصّة إلى دَرَجةِ أنّه أصبحَ مَسجوداً للملائكة كما قال تعالى:(وَلَقد كَرَّمْنا بَنى آدمَ وَحَمَلْناهُمْ فى البر والبَحرِ وَرَزَقْناهُم من الْطّيباتِ وفَضّلْناهُمْ على كثيرٍ مِمّن خَلَقْنا تَفْضيلاً)(۴).

---

۱ . الأَنبياء | ۱۰۵.

۲.النور | ۵۵ .

۳. الأَنبياء | ۱۸ .

۴ . الإسراء | ۷۰ .

(۳۶) وحيث إنّ جوهر الحياة الإنسانية يكمنُ فى حفظ الكرامة والعزّة، لهذا منَعَ الإسلامُ من أىّ عمل يضرَّ بهذه الموهبة، وبعبارة أكثر وضوحاً ؛ إن أىّ نوع من التسلّط على الآخرين وكذا قبول السلطة من الآخرين ممنوعٌ من وجهة نظر الإسلام منعاً باتاً، فلابدّ أن يعيش المرء حُرّاً كريماً بعيداً عن أى شكلٍ من أشكال الصغار والذل. قال الإمامُ أميرُ المؤمنين على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ : «ولا تكُنْ عَبْدَ غيرِك وقدْ جَعَلك الله حُرّاً»(۱). كما قال أيضاً: «إنّ الله تبارَك وتعالى فَوَّض إلى المؤمن كلَّ شىء إلّا إذلالَ نفسِه»(۲). ومن الواضح جداً انّ الحكومات الإلَهيّة المشروعة لاتنافى هذا الأَصل كما سيأتى توضيحه مستقبلاً. الأَصلُ الرابعُ والعشرون: رؤية الإسلام

للعقل الإنسانى إنّ للعقل الإنسانى مكانةً خاصةً فى رؤية الإسلام ونظره، وذلك لأنّ ما يميّز الإنسان عن سائر الأحياء بل ويجعله مفضّلاً عليها هو عقله ومدى قوته التفكيرية. من هنا دُعِيَ البشر ـ فى آيات عديدة من القرآن الكريم ـ إلى التفكّر

---

۱ . نهج البلاغة، قسم الكتب، الكتاب رقم ۳۸.

۲ . وسائل الشيعة: ۱۱ | ۴۲۴ (كتاب الأمر بالمعروف الباب ۱۲، الحديث ۴).

(۳۷) والتأمّل، والتدبّر والتعقّل، إلى درجة، عُدَّت تنمية القوة العقليّة، والتفكّر فى مظاهر الخلق، من علائم العقلاء وذوى الألباب قال تعالى فى القرآن الكريم: (الّذينَ يَذْكُرُون اللهَ قِياماً وَقُعُوداً وعلى جُنُوبِهِم وَيَتَفكَّرونَ فِي خَلقِ السَّمواتِ والأَرْض رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطلاً)(۱). هذا وإنّ الآيات التى ترتبط بضرورة التفكّر والتأمّل فى مظاهر الخلقة أكثر بكثير من أن يمكن سردها فى هذا البيان المقتضب. وعلى أساس هذه الرؤية نجد القرآن الكريمَ ينهى الناس عن التقليد الأعمى، وعن الاتّباع غير المدروس للآباء والأجداد. الأصلُ الخامسُ والعشرون: الانسجام بين الحرية الفردية ومبدأ التكامل المعنوى إنّ الحريات الفرديّة (الشخصيّة) فى المجالات الاقتصادية السياسيّة مقيّدة فى الإسلام بأنْ لا تُنافى مبدأ التكامل المعنوى للإنسان كما هى مقيّدة بأن لا تضرّ بالمصالح العامة. وفى الحقيقة إن حكمة التكليف بالوظائف والواجبات الدينية فى الإسلام تكمن فى أنّ الإسلام يريد بهذه الوظائف التى يُكلّف بها الإنسان أن يحافظ على كرامته الذاتيّة، وفى الوقت نفسه يضمن سلامة واستمرار المصالح الإجتماعية. إنّ مَنع الإسلام من الوثنيّة، ونهيه المؤكد عن تعاطى ومعاقرة الخمر

---

۱ . آل عمران | ۱۹۱ .

(۳۸)

وما شابه ذلك إنّما هو للحفاظ على الكرامة الإنسانية (فرداً وجماعة). وبهذا تتضح حكمة التشريعات الجزائية فى الإسلام أيضاً. فالقرآن الكريم يعتبر القصاص ضماناً للحياة الإنسانية إذ يقول: (وَلَكُمْ فِي القِصاصِ حياةٌ يا أُولى الألبابِ)(۱). يقول النبى الأكرم محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «إنّ المعصيةَ إذا عَمِلَ بها العبدُ لم تَضرّ إلّا عامِلَها، فإذا عَمِل بها علانيةً، ولم يُغَيّر أضرّت بالعامة». ويضيف الإمام جعفر الصادق بعد نقل هذا الحديث قائلاً: «ذلك أنّهُ يُذلّ بعَملِه دينَ الله، وَيَقْتدى به أهلُ عَداوةِ اللهِ»(۲). الأصلُ السادسُ والعشرون: لا إكراه فى الدين إنّ من مظاهر الحرية الفردية فى الإسلام هو أن لا يُجبرَ الشخصُ على قبول الدين واعتناقه كما قال تعالى: (لا إكراهَ فِي الدِّين قَد تَبَيَّنَ الرشدُ مِنَ الغيِّ)(۳). وذلك لأن الدين المطلوب فى الإسلام هو الاعتقاد والإيمان القلبيّان وهما لا يتحقّقان فى قلب الإنسان بالعُنف والقهر، والقسر والإجبار، بل ينشئان بعد حصول مقدمات أهمها اتضاح الحق والباطل

---

۱ . البقرة | ۱۷۹ .

۲ . وسائل الشيعة: ۱۱ | ۴۰۷، (كتاب الأمر بالمعروف).

۳ . البقرة | ۲۵۶ .

(۳۹)

وتميّز أحدهما عن الآخر . فإذا حَصَلت مثل هذه المعرفة اختار الإنسانُ الحقَّ فى ظروف طبيعية قطعاً. صحيح أن «الجهاد» هو أحد الفرائض والواجبات الإسلامية المهمّة جداً، ولكن لا يعنى الجهادُ قط إجبارَ الآخرين على اعتناق الإسلام، بل المقصود منه إزالة الموانع والعراقيل عن طريق الدعوة الإسلامية وإبلاغ الرسالة الإلَهيّة إلى مسامع الناس فى العالم كَيما يتبيّن الرشد من الغيّ. ومن الطبيعىّ إذا مَنَعَ أرباب الثروة والسلطة انطلاقاً من الدوافع المادية والشيطانية من إبلاغ الرسالة الإلَهيّة الهادية إلى مسامع الناس

وأفئدتهم، اقتضت فلسفة النبوة (وهي هداية البشرية وإرشادهم) أن يقوم المجاهدون بإزالة هذه الموانع، والعراقيل، لتتوفّر الشروط والظروف اللازمة لإبلاغ دعوة الحق إلى أبناء البشرية. اتّضح ممّا سبق من الأبحاث ـ رؤية الإسلام حول الكون والإنسان والحياة ـ على أنّ هناك نقاطاً وأصولاً أُخرى أيضاً سنأتي بها في مكانها المناسب. وها نحن نشرع في استعراض مواقف الإسلام ورؤاه في صعيد المعتقدات والأحكام.

(۴۰)

الفصل الثاني : التوحيدُ ومراتبُه وأبعادُه إلى الكون

اشاره

الفصل الثاني : التوحيدُ ومراتبُه وأبعادُه إلى الكون والإنسان والحياة

الأصلُ السابعُ والعشرون: وجود الله تعالى

الأصلُ السابعُ والعشرون: وجود الله تعالى إنّ الاعتقاد بوُجود الله أصلٌ مشترك بين جميع الشرائع السماويّة، وأساساً يكمنُ الفارقُ الجوهريُّ والأساسيُّ بين الإنسانِ الإلَهيّ المتدين (مهما كانت الشريعة التي ينهجها) والفردِ الماديّ، في هذه المسألة . إنّ القرآنَ الكريمَ يعتبر وجودَ الله أمراً واضحاً وغنيّاً عن البرهنة، ويرى أنّ الشك والتردّد في هذه الحقيقة أمر غير مبرَّر، بل ومرفوضاً كما قال: (أفي اللهِ شَكٌ فاطِرِ السّموات والأرض)(۱). إلاّ أنّه رغم وضوحِ وجودِ الله وبداهته قد وضع القرآنُ الكريمُ أمام من يريدُ معرفة الله عن طريق التفكّر والبرهنة، وإزالة جميعَ الشكوك والاحتمالات المضادّة عن ذهنه، طرقاً تؤدي هذه المهمة وأبرزها هو: ۱ ـ إحساس الإنسان بالحاجة إلى كائنٍ أعلى، هذا الإحساس الذي يتجلّى في ظروف وحالاتٍ خاصّة، وهذا هو نداء الفطرة الإنسانية التي تدعوه إلى مبدأ الخلق يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: (فَأقِمْ وَجْهَكَ

---

۱ . إبراهيم | ۱۰ .

(۴۴)

للدِّينِ حَنِيفاً فطرتَ اللهِ الّتي فَطَرَ النَاسَ عَليها لا تبديلَ لخلق الله)(۱). ويقول أيضاً: (فَإذا رَكبُوا في الفُلْكِ دَعوُا اللَه مخلِصِينَ لهُ الدينَ فلمّا نجّاهُمْ إلى البَرّ إذا هُمْ يُشْركُون)(۲) . ۲ ـ الدعوة إلى مطالَعة العالَم الطبيعيّ والتأمّل في عجائب المخلوقات التي هي آياتٌ واضحةٌ، ودلائلٌ قويةٌ على وجود الله. إنّها آيات تدلّ على تأثير ودور العلم والقدرة، والتدبير الحكيم في عالم الوجود: (إنَّ في خَلْقِ السَّمواتِ والأرْضِ واْختلافِ اللَيلِ والنَهارِ لآياتٍ لأُولي الألباب)(۳). إنّ الآيات في هذا المجال كثيرة وما ذكرناه ليس سوى نماذج من ذلك. ومن البديهيّ أن ما ذكرناه لا يعني بالمرّة أن الطريق إلى معرفة وجودِ الله وإثباته يختص في هذين الطريقين، بل هناك طرق عديدة أُخرى لإثبات وجودِ الله أتى بها علماء العقيدة، والمتكلمون المسلمون في مؤلفاتهم المختصة بهذه المواضيع.

---

۱ . الروم | ۳۰ .

۲ . العنكبوت | ۶۵ .

۳ . آل عمران | ۱۹۰ .

(۴۵)

التوحيد هو الأصل الموحّد بين الشرائع

التوحيد هو الأصل الموحّد بين الشرائع تقوم جميعُ الشرائع والمناهجِ السماوية على أساس التوحيد كما وأنّ الاعتقاد بالتوحيد هو أبرز أصلٍ مشتركٍ بين تلك الشرائع، وإن كان هناك شيء من الانحراف لدى أتباع بعض تلك الشرائع فى هذه العقيدة المشتركة. وفيما يأتى مراتب التوحيد وأبعاده فى ضوء القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، والبراهين العقلية: الأصلُ الثامنُ والعشرون: التوحيد الذاتى ومعانيه إنّ أول مرتبة من مراتب التوحيد هو التوحيد الذاتى، وللتوحيد الذاتى معنيان: ألف : إنّ الله واحدٌ، لا مثيل له ولا نظير ولا شبيهَ ولا عديل. ب : إن الذات الإلَهيّة المقدّسة ذاتٌ بسيطةٌ لا كثرةَ فيها، ولا تركّب. يقول الإمام على بن أبى طالب ۷ حول كلا المعنيين: ۱ ـ«هُو وَاحدٌ لَيسَ له فى الأشْياء شَبَهٌ». ۲ ـ«وإنّه عزّ وجل أَحدىّ المعنى لا ينقسم فى وجودٍ ولا وَهمٍ ولا عقلٍ»(۱).

---

۱ . التوحيد، للصدوق ص ۸۴، الباب ۳، الحديث ۳.

(۴۶) وسورة «الإخلاص» التى تعكس عقيدة المسلمين فى مجال التوحيد تشير إلى كلا القسمين: فقوله تعالى: (وَلَمْ يَكُنْ لَه كُفُواً أحَد) إشارةٌ إلى القسم الأوّل. وقوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللهُ أحَد) إشارةٌ إلى القسم الثانى . وعلى هذا الأساس يكون «التثليث» باطلاً من وجهة نظر الإسلام، وقد صرّح القرآنُ الكريمُ فى آيات عَديدة بعدم صحة ذلك. كما أنّ هذه المسألة تَناولَتْها الكتبُ الكلاميّة (العقيديّة) بالبحث المُفَصَّل وفَنَّدَتْ التثليثَ بطرق مختلفة، ونحن نكتفى هنا بذكر طريق واحد: إنّ التثليث بمعنى كون الإلَه ثلاثاً لا يخلو عن أحد حالين: إمّا ان يكون لكلِّ واحدٍ من هذه الثلاثة وجودٌ مستقلٌّ، وشخصية مستقلّة، أى أنْ يكون كلُّ واحدٍ منها واجداً لكلّ حقيقةِ الألوهية، وفى هذه الصورة يتنافى هذا مع التوحيد الذاتى بمعناه الأوّل (أى كون الله لا نظير له). وإمّا أن تكون هذه الآلهة الثلاثة ذات شخصيّة واحدة، لا ـ متعدّدة ويكون كلُ إلَهٍ جزءاً من تلك الحقيقة الواحدةِ، وفى هذه الصورة يكون التثليث كذلك مستلزماً للتركب، ويخالف المعنى الثانىَ للتوحيد الإلَهىّ (أى بساطة الذاتِ الإلَهيّة). (۴۷) الأصلُ التاسعُ والعشرون: التوحيد فى الصفات المرتبة الثانية من مراتب التوحيد هو: التوحيد فى صفات الذات الإلَهيّة . نحن نعتقد أنّ الله تعالى موصوف بكلّ الصفات الكمالية، وأنّ العقلَ والوحىَ معاً يَدُلاّن على وجودِ هذه الكمالات فى الذات الإلَهيّة المقدسة. وعلى هذا الأساس فإنّ الله عالمٌ، قادرٌ، حىٌّ، سميعٌ، بصيرٌ و.. و . وهذه الصفات تتفاوت فيما بينها من حيث المفهوم، فما نفهمه من لفظة «عالِم» غير ما نفهمه من لفظة: «قادر». ولكن النقطة الجديرة بالبحث هو أن هذه الصفات كما هى متغايرة من حيث المفهوم هل هى فى الواقع الخارجىّ متغايرة أم متحدة؟ يجب القول فى معرض الإجابة على هذا السؤال: حيث إنّ تغايرَها فى الوجود، والواقع الخارجى، يستلزم الكثرةَ والتركّب فى الذات الإلَهيّة المقدسة، لذلك يجب القولُ حتماً بأنّ هذه الصفات مع كونها مختلفةً ومتغايرةً من حيث المعنى والمفهوم إلاّ أنّها فى مرحلة العينيةِ الخارجيةِ، والواقع الخارجِى متحدةٌ. وبتعبير آخر: إن الذات الإلَهيّة فى عين بساطتها، واجدةٌ لجميع هذه الكمالات، لا أنّ بعض الذات الإلَهيّة «عِلم» وبعضها الآخر «قُدرة» والقسم الثالث هو «الحياة» بل هو سبحانه ـ كما يقول المحقّقون: ـ علمٌ

(۴۸)

كلُّه وقدرةٌ كلّهُ وحياةٌ كلهُ... وعلى هذا الأساس فإنّ الصفاتِ الذاتية لله تعالى، مع كونها قديمةً وأزليةً فهى فى نفس الوقت عين ذاته سبحانه لا غيرها. وأمّا ما يقولهُ فريقٌ من أنّ الصفات الإلَهية قديمةٌ وأزليةٌ ولكنها زائدةٌ على الذات غير صحيح، لأنّ هذه النظرة تنبع ـ فى الحقيقة ـ من تشبيه صفات الله بصفات الإنسان وحيث إنّ صفاتِ الإنسان زائدةٌ على ذاته فقَد تصوَّروا أنّها بالنسبة إلى الله كذلك. يقول الإمام جعفر الصادق ۷: « لم يَزلِ اللهُ ـ جلّ وعزّ ـ ربُّنا والعلمُ ذاتُه ولا معلومَ، والسَمعُ ذاتُه ولا مسموعَ، والبَصَرُ ذاتُه ولا مُبْصَرَ، والقدرةُ ذاتُه ولا مقدورَ»(۱). ويقول الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب ۷: « وكمالُ الإخلاصِ له نفى الصفاتِ عنه، لشهادة كلِّ صفَةٍ أنها غيرُ الموصوف، وشهادةِ كلّ موصوفٍ أنّه غير الصفة»(۲)(۳).

---

١ . التوحيد، للصدوق، ص ١٣٩ الباب ٢١١، الحديث ١ .

٢ . نهج البلاغة، الخطبة ١ .

٣ . سمّى بعض من لا إلمامَ له بالمسائل الكلاميّة هذه النظرية بالتعطيل والمعتقدينَ بها بالمعطلة، فى حين أنّ المعطّلة إنما يُطلَقُ على من لا يُثبت الصفات الجمالية للذات الإلَهيّة، ويستلزم موقفُهم هذا خلوَّ الذات الإلَهيّة من الكمالات الوجودية، وهذه العقيدة الخاطئة لا علاقة لها مطلقاً بنظرية (عينيّة الصفات للذات الإلَهيّة ووحدتهما خارجاً) بل نظريةُ العينيّة هذه فى عين كونها تُثبت الصفاتِ الجماليّة والكماليّة لله، مُنزَّهَة من الإشكالات والإعتراضات الواردةِ على نظريّة زيادةِ الصفاتِ على الذات.

(۴۹) الأَصلُ الثلاثون: التوحيد فى الخالقية المرتبة الثالثة من مراتب التوحيد هى التوحيد فى الخالقية، بمعنى انّه لا خالق إلّا الله، وأنّ الوجود برمته مخلوقُه، وقد أكّد القرآن الكريم على هذه الحقيقة إذ قال: (قُلِ اللهُ خالقُ كلِّ شَىءٍ وَهُوَ الواحِدُ القَهّارُ)(١). (ذلكمُ اللهُ رَبُّكُم خالقُ كلِّ شَىءٍ لا إلهَ إلّا هُوَ)(٢). وليس الوحى وحده يثبت ذلك بل يقول به العقل ويؤكّده، لأنّ كل ما سوى الله ممكنٌ محتاجٌ، وترتفع حاجته ويتحقّق وجوده من جانب الله. إنّ التوحيد فى الخالقية لا يعنى نفى أصل السببيّة والعليّة فى عالم الوجود، لأنّ تأثيرَ كلِّ ظاهرة مادّية فى مثلها منوطٌ بإذن الله، ووجودُ السبب وسَببيّتُه كلاهُما من مظاهر المشيئة الإلَهية، فالله سبحانه هو الذى أعطى النور، والضوء للشمس والقمر، وإذا أراد سَلْبَه عنهما فعل ذلك دون مانع ومنازع، ولهذا كان الخالق الوحيد بلا ثان. وقد أيّد القرآن الكريم ـ كما أسلفنا فى الأَصل الثامن ـ قانون العليّة ونظام السببية فى الكون كما قال الله: (يُرسلُ الرياحَ فتثيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِى السَماءِ كيفَ يَشاء)(٣).

---

١ . الرعد | ١۶ .

٢ . غافر | ۶٢ .

٣ . الروم | ۴٨ .

(۵٠) فقد صَرَّحَتِ الآيةُ المذكورة بتأثير الرياح فى تحريك السحابِ وسَوْقها. إنّ تعميم خالقيّة الله على جميع الظواهر الطبيعيّة لايستلزم أبداً أن ننسب أفعال البشر القبيحة إلى الله تعالى، لأنّ كل ظاهرة من الظواهر الكونية لكونها كائناً إمكانياً وإن كان مستحيلاً أن ترتدى ثوب الوجود من دون الاستناد إلى القدرة، والإرادة الإلَهيّة الكلية. ولكن فى مجال الإنسان يجب أن نضيف إلى ذلك، أنّ الإنسان لكونهِ كائناً مختاراً، وموجوداً ذا إرادة، فهو يفعلُ أو يترك بإرادته واختيارِهِ بحكم التقدير الإلَهىّ أى إنّ الله قدّر وشاء أن يفعلَ الإنسانُ ما يريد فعلهُ بإرادته، ويترك ما يريد تركه بإرادته، لهذا فإنّ اصطباغ الفعل البشرى من حيث كونه طاعة أو معصية لله تعالى ناشىَ مِن نوعيّة إرادته واختيار الإنسان نفسهِ. وبعبارة أُخرى: إنّ الله واهبُ الوجود، والوجود مطلقاً مستند إليه، ولا قبح فى الأَمر من هذه الناحية كما قال: (الّذِى أحسَنَ كُلَّ شىءٍ خَلْقَه)(١). ولكنّ جَعْلَ وجود هذا الفعل مطابقاً أو غير مطابق لمعايير العقل والشرع، نابعٌ فى الحقيقة من كيفية اختيار الإنسان وإرادته، وعزمه. ولإيضاح المقصود نأتى بمثال : إنّ الأَكل والشرب من أفعال الإنسان بلا ريب فيقال أكل فلان

---

١ . السجدة | ٧ .

(۵١)

وشرب، ولكنّ كلاً من الفعلين يشتملان على جهتين: الأُولى: الوجود، وهو الأَصل المشترك بينه وبين سائر الموجودات. الثانية: تحديد الوجود وصبّه فى قالب خاص وانصباغه بعنوانى الأَكل والشرب، فالفعل من الجهة الأُولى منسوب إلى الله سبحانه، فلا وجود فى الكون إلّا وهو مفاض منه تعالى، ولكنّه من الجهة الثانية منسوب إلى العبد إذ هو الذى باختياره وقدرته صَبَغ الوجود بصبغة خاصة

وأضفى عليه عنوانى الاَكل والشرب، فهو بفمه يمضغ الغذاء ويبلع الماء. وبعبارة أُخرى: إنّ الله سبحانه هو الذى أقدر العبد على إيجاد الفعل، وفى الوقت نفسه أعطى له الحرية لصرف القدرة فى أىّ نحو شاء، وهو صرفها فى مورد الاَكل والشرب. الاَصلُ الواحدُ والثلاثون: التوحيد فى الربوبية المرتبة الرابعة من مراتب التوحيد هو: التوحيد فى الربوبية وتدبير الكون والاِنسان. والتوحيد الربوبى يكون فى مجالين: ١ ـ التَدبير التكوينىّ . ٢ ـ التَدبير التشريعىّ . وسنتحدّث عن التدبير التشريعىّ فى أصل مستقل، فيما بعد،

(٥٢)

ونركّز فى هذا الاَصل على التدبير فى المجال التكوينى. إنّ تاريخ الاَنبياء يشهد بأن مسألة التوحيد فى الخالقية لم تكن قط موضع نقاش فى أُممهم وأقوامهم، وانما كان الشرك ـ لو كان ـ فى تدبير الكون وإدارة العالم الطبيعى الذى كان يتبعه الشرك فى العبادة. فمشركو عصر النبى إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ كانوا يعتقدون بوحدة خالق الكون، إلاّ أنّهم كانوا يعتقدون خطأً بأنّ النجوم والكواكب هى الاَرباب والمدبّرات لهذا الكون، وقد تركّزت مناظرة إبراهيم لهم على هذه المسألة كما يتضح ذلك من بيان القرآن الكريم(١). وكذا فى عهد النبى يوسف ـ عليه السلام ـ الذى كان يعيش بعد النبى إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ فإنّ الشرك كان فى مسألة الربوبية، وكأنَّ الله بعد أن خلقَ الكون، فوّض أمر تدبيره وإدارته إلى الآخرين. ويتّضح هذا جلياً من الحوار الذى دار بين يوسف الصدِّيق ـ عليه السلام ـ وأصحابه فى السجن إذ يقول:(ءأربابٌ مُتَفَرِّقُون خَيْرٌ أمِ اللهُ الواحِدُ القهّار)(٢). كما ويُستفاد من آيات القرآن الكريم أن مشركى عصر الرسالة كانوا يعتقدون بأنّ بعض مصيرهم إنّما هو بإيدى معبوداتهم إذ يقول: (واتَّخذُوا مِنْ دُونِ الله آلِهَةً ليكُونوا لَهُمْ عزّاً)(٣). ويقول أيضاً: (واتَّخذُوا مِنْ دُونِ الله آلِهَةً لَعَلّهُم يُنْصَرون * لا

---

١ . راجع الاَنعام | ٧٦ ـ ٧٨ .

٢ . يوسف | ٣٩ .

٣ . مريم | ٨١ .

(٥٣)

يَستطِيعُون نَصْرَهم وَهُم لهُمْ جُندٌ مُحْضَرونَ)(١). إنّ القرآنَ الكريم يحذّر المشركين فى آياتٍ عديدة بأنّ ما يعبدونه من الاَرباب المختلفَة غير قادرةٍ على جلب نفعٍ إلى عابِدِيها ولا ـ دفعِ ضررٍ عنهم أبداً. إنّ هذه الآيات تكشف عن أنّ مشركى عصر الرسالة المحمدية كانوا يعتقدون بأنّ تلكَ المعبودات تضرُ أو تنفع عُبّادها.(٢)وهذا هو كان الدافع لهم إلى عِبادتها. إنّ هذه الآيات ونظائرَها ممّا يعكس ويصوّر عقائد المشركين فى عصر الرسالة، تحكى عن أنّه رغم أنّهم كانوا يعتقدون بالتوحيد فى الخالقية، إلاّ أنّهم كانوا مشركين فى بعض الاُمور المتعلّقة بربوبيّة الحق تعالى، إذ كانوا يعتقدون بأنّ معبوداتهم مؤثرة ـ على نحو الاستقلال ـ فى الاُمور والاَشياء، أى إنَّها فاعِلة فى صفحة الكون من دون إذن الله ومشيئته بل بصورة مستقلّةٍ وحسب مشيئتها وإرادتها لا غير، وهى من صفات الربِّ الحقيقى. ولقد عَمِدَ القرآنُ الكريمُ ـ بهدف منع أُولئك المشركين عن عبادة الاَصنام بصورة جذرية ـ إلى إبطال هذا الاِعتقاد الفاسد وهذا التصوّر الخاطئ، وقال بأنّ هذه الاَصنام لاتضرّ ولاتنفع ولامثقال ذرة، فليس لهم أىّ تدبير وربوبيّة.

---

١ . يس | ٧٤ ـ ٧٥ .

٢ . راجع : يونس | ١٨، والفرقان | ٥٥ .

(٥٤) ففى بعض الآيات يندّد القرآنُ بالمشركين لكونهم يتّخذون لله تعالى نظيراً وندّاً، وشبيهاً ومثيلاً، إذ يقول: (وَمن الناسِ مَنْ يتّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أنْداداً يُحبُّونَهُمَ كحبِّ اللهِ)(١). وقد ورد تقبيح اتّخاذ الندّ للهِ فى آيات قرآنية أُخرى أيضا(٢) ويتضح من الآيات المذكورة أنّ المشركين كانوا يعتقدون بأنّ لتلك الاَصنام شؤوناً مثل شؤون اللهِ سبحانه، ثم انطلاقاً من هذا التصوّر كانوا يحبّون تلك الاَصنام

ويودّونها بل ويعبدونها!! وبعبارة أخرى: لقد كان المشركون يعبدون تلك الأوثان والأصنام لكونها ـ حسب تصوّرهم وزعمهم ـ «أنداداً» و «نظراء» لله سبحانَه فى التدبير. إنّ القرآن الكريم ينقل عن المشركين يومَ القيامة بأنّهم يقولون تنديداً بأَنفسهم وبأَصنامهم: (تَاللهِ إنْ كُنّا لَفِى ضَلالٍ مُبينٍ * إذ نسَوِّيكُمْ بِرَبّ العَالَمِين)(۳) أجل إنّ دائرةَ ربوبيةَ الله واسعةٌ، ومن أجل هذا كان مشركو عصر الرسالة موحّدين فى أُمور هامّةٍ. كالرزق والإحياء والإماتة والتدبير الكلى للكون كما يقول القرآن الكريم: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ والأَرْض أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصارَ وَمَنْ يُخرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيّتِ وَيُخرِجُ الميّتَ منَ الحىّ وَمَنْ يُدَبّرُ الأمرَ فَسَيَقُولونَ الله فَقُلْ أفَلا تَتَّقون)(۴).

---

۱ . البقرة | ۱۶۵ .

۲ . راجع: البقرة | ۲۱، إبراهيم | ۳۰، سبأ | ۳۳، الزمر | ۸ ، فصلت | ۹ .

۳ . الشعراء ۹۷ ـ ۹۸ .

۴. يونس | ۳۱ .

(۵۵) (قُلْ لِمَن الأَرضُ ومَنْ فيها إنْ كنْتُمْ تَعلَمونَ * سَيَقُولونَ للهِ قُل أفَلا تَذَكَّرُون * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وربُّ العرشِ العظِيم * سَيَقُولُونَ لله قُلْ أفَلا تَتَّقُونَ)(۱). وَلكنَّ هؤلاء الأفراد أنفسَهم ـ كما مرّ فى آيات سورة مريم وسورة يس ـ ينسبون بعض الأُمور والشؤون مثل النَصر فى القتال والحفْظ فى السَفَر، وَما شابهَ ذلك، إلى مَعْبُوداتهم وأصنامِهِمْ ويَعْتَقدون بتأثيرها الذاتىّ والمُستقلِّ فى مصائرهم. وأبْرزُ من كل ذلك ؛ الشفاعةُ التى كانوا يرون أنّها حقٌّ طلْقٌ لتلك الأصنام وكانوا يَعتقدون بأنّها تشفع من غير إذن الله، وأنّ شفاعَتها مفيدةٌ لا مَحالة ومؤثّرة قطعاً وجزماً. وعلى هذا فلا منافاة بين أن يكون بعض الأفراد يعتقدون بتدبير اللهِ لبعض الأُمور دون سواه فيكونون موحّدين فى هذا المجال، بينما يعتقدون بتدبير الأصنام والأوثان لأُمور وجوانب أُخرى من مصائرهم وشؤونهم كالشفاعة والإضرار والإنفاع والإعزاز والمغفرة، فيكونون مشركين فيهذه المجالات . وَلكنّ «التوحيد فى الربوبية» يفنّد كلَّ لونٍ من ألوان تصوّر الإستقلال، والتأثير المستقل عن الإذن الإلَهىّ كليّاً كان، أو جزئياً . فهو يُبطل أى إسنادٍ، لتأثير غير الله فى مصير الإنسان والكون، وتدبير شؤونها بمعزلٍ عن الإذن الإلَهىّ وبهذا يُبطل ويرفُضُ عبادةَ غير اللهِ تعالى.

---

۱ . المؤمنون | ۸۴ ـ ۸۷ .

(۵۶) إنَّ الدليل على التوحيد الربوبىّ واضحٌ تمامَ الوضوح، لأنّ تدبيرَ عالم الخلق، فى مجال الإنسان والكون، لا ينفصل عن مسألة الخَلْقِ، وليس شيئاً غير عمليّة الخَلق. فإذا كانَ خالقُ الكونِ والإنسان واحداً، كان مدبّرهما بالطبع والبداهة واحداً كذلك، لوضوح العلاقة الكاملة بين عمليّة التدبير وعملية الخَلْق للعالم. ولهذا فإنّ الله تعالى عندما يصف نفسَه بكونه خالِقَ الأشياء يصف نفسَه فى ذات الوَقتِ بأنّه مدبّرُها (اللهُ الّذى رَفَعَ السَّمواتِ بِغيرِ عَمَدٍ تَرَونَها ثمّ اسْتَوى على العَرْشِ وسَخّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ كلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُسمًّى يُدَبّرُ الأمرَ...)(۱). وفى آية أُخرى يعتبر التناسقَ والانسجام السائد والحاكم على الكون دليلاً على وحدة مدبر العالم إذ يقول: (لَوْ كانَ فيهما آلِهةٌ إلاّ اللهُ لَفَسَدَتا) (۲). إنَّ التوحيد فى التدبير لاينافى وجودَ مدبّراتٍ أُخرى تقومُ بوظائفها بإذن الله فى صفحة الكون، فهى بالحقيقةِ مظاهِر لِربوبية الحق تعالى . ولهذا فإنَّ القرآن الكريم مع تأكيده الشديد على التوحيد فى الربُوبيّة والتدبير يصرّح بوجود مدبّراتٍ أُخرى فى صفحة الكون إذ يقول: (فالمدبّراتِ أمْراً)(۳).

---

۱ . الرعد | ۲ .

۲. الأنبياء | ۲۲ .

۳ . النازعات | ۵ .

(۵۷) الأصل الثانی والثلاثون: التوحید فی الحاکمیة والتقنین بعد أن ثبت ـ فی الأصل السابق ـ أنّ للکون مدبّراً حقیقیاً واحداً هو الله تعالی وأنّ تدبیر العالم وحیاة الإنسان بیده دون سواه، کان تدبیر أمر الإنسان فی صعید الشریعة ـ سواء فی مجال الحکومة أو التقنین أو الطاعة أو الشفاعة أو المغفرة ـ برمّته بیده تعالی، ومن شؤونه الخاصة به، فلا یحق لأحد أن یتصرّف فی هذه المجالات والأصعدة من دون إذن الله تعالی، ولهذا یُعتبر التوحیدُ فی الحاکمیة، والتوحید فی التشریع، والتوحید فی الطاعة، والتوحید فی الشفاعة والمغفرة.. من فروع التوحید فی التدبیر وشقوقه ولوازمه. فإذا کان النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ حاکماً علی المسلمین فإنّ هذا نابعٌ من إختیار الله تعالی إیّاه لهذا المنصب. وانطلاقاً من هذه العلّة ذاتها تجب إطاعتهُ ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ بل إنّ إطاعته نفس إطاعة الله، قال تعالی: (مَنْ یُطِعِ الرَسُولَ فَقَدْ أطاعَ اللهَ)(۱). وقال أیضاً: (وَما أرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ لِیُطاعَ بِإذنِ اللهِ)(۲). فلو لم یکن الإذنُ الإلهیّ ما کانَ النبی ـ صلی الله علیه وآله وسلم ـ حاکماً ولا مُطاعاً.

---

۱ . النساء | ۸۰ .

۲ . النساء | ۶۴ .

(۵۸) فحکومتهُ وطاعتهُ مظهرٌ لحاکمیة الله وطاعته. کما أنّ تحدیدَ الوظیفَة وتشخیص التکلیف بما أنّه من شُؤون الربوبیة، لم یَحِقّ ولا یحقّ لأحدٍ أن یحکم بغیر ما أمر الله به، وأن یقضیَ بغیر ما أنزل: (ومَنْ لَمْ یَحکُمْ بِما أنَزَلَ اللهُ فأُولئِکَ هُمُ الکافِرُونَ)(۱). وهکذا تکون الشفاعة ومغفرة الذنوب من حقوق الله الخاصة به فلا یقدر أَحَدٌ أنْ یَشْفَعَ لأحدٍ من دُون إذنهِ تعالی:(مَنْ ذا الّذی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بِإذنِهِ)(۲). وَعَلی هذا الأساس یکونُ شراء صُکوک الغفران وبَیعُها، تصوّراً بأنّ لأحدٍ غیر المقام الربوبی أن یَهبَ الجنّة لأحَدٍ، أو یخلّصَ أحداً من العذاب الأُخروی کما هو رائجٌ فی المسیحیّة، أمراً باطلاً لا أساس له من الصحَّة فی نظر الإسلام کما جاء فی القرآن الکریم: (فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاّ اللهُ)(۳). فالموَحدُ ـ فی ضوء ما قلناه ـ یجب أن یعتقِدَ ـ فی مجال الشریعة ـ بأنّ الله وحده لا سواه هو الحاکم والمرجَع، إلاّ أنْ یعیّن الله شخصاً للقیادة، وبیانِ الوظائف الدینیة.

---

۱ . المائدة | ۴۴ .

۲ . البقرة | ۲۵۵ .

۳ . آل عمران | ۱۳۵ .

(۵۹) الأصلُ الثالِثُ والثلاثون: التوحید فی العبادة إنّ التوحیدَ فی العبادة هو الأصل المشترک والقاعدة المتفق علیها بین جمیع الشرائع السماویة. وبکلمة واحدة: إنّ الهدف الأسمی من بَعث الأنبیاء والرُسُل الإلَهیّین هو التذکیر بهذا الأصل کما یقول: (وَلَقَدْ بَعَثْنا فی کلّ أُمَّةٍ رَسُولاً أن اعْبُدُوا اللهَ واجْتَنِبُوا الطاغوتَ)(۱). إنّ جمیع المسلمین یعترفون فی صلواتهم الیومیة بهذا الأصل ویقولون: (إیّاکَ نَعْبُدُ)(۲). وعلی هذا الأساس فإنّ وجوبَ عبادة الله وحده، والاجتناب عن عبادة غیره أَمرٌ مسلَّمٌ لا کلامَ فیه، ولا یخالف أحد فی هذه القاعدة الکلیة أبداً، وإنّما الکلام هو فی أنّ بعض الأعمال والممارَسات هل هی مصداق لعبادة غیر الله أم لا؟ وللوصُول إلی القولِ الفصلِ فی هذا المجال یجب تحدید مفهوم العبادة تحدیداً دقیقاً، وتعریفها تعریفاً منطقیاً، بغیة تمییز ما یدخل تحت هذا العنوان ویکون عبادة، ممّا لا یکون کذلک، بل یُؤتی به من باب التعظیم والتکریم. لاشک ولا ریبَ فی أنّ عِبادةَ الوالدین والأنبیاء والأولیاء حرامٌ وشرکٌ، ولکن مع ذلک یکون احترامهم واجباً وعینَ التوحید: (وَقضی رَبُّکَ

---

۱ . النحل | ۳۶ .

۲ . الفاتحة | ۵ .

(۶۰) أنْ لا تَعْبُدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحْساناً)(۱). والآن يجب أن نرى ما هو العنصر الذى يميّز «العبادةَ» عن «التكريم»؟ وكيف يكون العملُ الواحدُ فى بعض الموارد (مثل سجود الملائكة لآدم، وَسُجود يعقوب وأولاده ليوسف) عينَ التوحيد، ولكن نفسَ العمل يكونُ فى مواردَ أُخرى عينَ الشرك والوثنية. إنّ الجوابَ على هذا السؤال يتّضح من البحث السابق الذى كانَ حول التوحيد فى التدبير. إنّ العبادَة (التى نُفيت عَنْ غير الله ونُهى عنها) عبارة عن خضوع إنسانٍ أمام شىء أو شخصٍ باعتقاد أنّ بيده مصير العالم كلّهِ أو بعضه، أو بيده إختيار الإنسان ومصيره، وانّه مالك أمره، وبتعبير آخر: ربّه. أمّا إذا كان الخضوع أمام كائن مّا لا بهذا الاعتقاد، إنّما من جهة كونه عَبداً صالحاً لله، وصاحبَ فضيلةٍ وكرامة، أو لكونه منشأَ إحسان، وصاحب يدٍ على الإنسان، فإنّ مثل هذا العمل يكون مجردَ تكريم وتعظيم لا عبادةً له. ولهذا السبب بالذات لا يوصف سجود الملائكة لآدم، أو سجود يعقوب وأَبنائه ليوسف بصفة الشرك والعبادة فهذا السجود كان ينبع من الإعتقاد بعبوديّة آدم ويوسف إلى جانب كرامتهما ومنزلتهما عند الله، وليس نابعاً من الإعتقاد بربوبيّتهما أو أُلوهيّتهما.

---

۱ . الإسراء | ۲۳ .

(۶۱) بالنظر إلى هذه الضابطة يمكن الحكم فى ما يقوم به المسلمون فى المشاهد المشرَّفة من احترام وتكريم لَاولياء الله المقرَّبين، فإنَّ من الواضح أنّ تقبيل الضرائح المقدسة، أو إظهار الفَرَح والسُرور يوم ميلادِ النبى وبعثته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا ينطوى إلّا على تكريم النبى الكريم ولا يُقصَد منه إلّا إظهار مودّته ومحبته ولا تكون ناشئةً من أُمورٍ مثل الاعتقاد بربوبيته قَطْ. وهكذا الحال فى الممارسات الأُخرى مثل إنشاء القصائد والأَشعار فى مدح أولياء الله أو مراثيهم، وكذا حفظ آثار الرسالة، وإقامة البناء على قبور عظماء الدين، فانها ليست بشركٍ ولا بدعة. وأَمّا كونها ليست بشركٍ فلأَنّها تنبع من مودَّة أَولياء الله (لا الإعتقاد بربوبيتهم). وأمّا كونها ليست ببدعَة أيضاً فلأَنّ جميع هذه الأَعمال تقومُ على أساسٍ قرآنىّ وروائي، وينطلق من أصل وجوب محبة النبى وآله. فأَعمال التكريم هذه مَظْهَرٌ من مظاهِر إبراز هذه المودة والمحبة التى حثّ عليها الكتاب والسنّة (وسيأتى توضيح هذا الموضوع فى الفصل المتعلّق بالبدعة مستقبلاً). وفى المقابل يكون سجودُ المشركين لَاصنامهم مرفوضاً ومردوداً لكونه نابعاً من الإعتقاد بربوبيتها ومدبريَّتها وأنّ بيدها قسماً من شؤون الناس... أو على الأَقل لأَنّ المشركين كانوا يعتقدون بأنّ العزة والذِلّة، والمغفرة والشفاعة بأَيدى تلك الأَصنام!! (۶۲)

الفصل الثالث :فى صفات الله سبحانه

الأَصلُ الرابع والثلاثون: الصفات الجمالية والجلالية

الأَصلُ الرابع والثلاثون: الصفات الجمالية والجلالية لله سبحانه حيث إنّ الذاتَ الإلَهيّة لا مثيلَ لها ولا نظير، ولا يُتصوّر لله عديل ولا شبيه، فهو سبحانه أعلى من أن يعرفه الإنسان بالكُنْه، أى ليس للإنسان سبيلٌ إلى معرفةِ حقيقة الذات الإلَهية، على حين يمكن معرفته تعالى عن طريق صفاته الجمالية والجلالية. والمقصود من الصفات الجمالية هى الصفات التى تدلّ على كمالِ الله فى وجوده وذلك كالعلم والقدرة، والحياة، والإرادة والإختيار وما شابه ذلك. وتُسمّى بالصفات الثبوتية أيضاً. والمقصود من الصفات الجلالية هى الصفات التى يجلّ الله تعالى عن وصفه بها، لأَنّ هذه الصفات تدلّ على نقص الموصوف بها وعجزه، والله تعالى غنىٌ غِنىً مطلقاً، ومنزّه عن كلِّ نقص وعيب. والجسمانية، والإحتياج إلى المكان والزمان، والتركيب وأمثاله من جملة هذه الصفات، وتسمّى هذه الصفات أيضاً بالصفات السلبية فى مقابل الصفات الثبوتية (التى مرَّ ذكرها أوّلاً) والمقصود فى كلتا التسميتين واحد. (۶۶) الأَصلُ الخامسُ والثلاثون: طرق معرفة صفاته سبحانه لقد أسلفنا فى بحث المعرفة أنّ أبرز طرق المعرفة بالحقائق تتمثّل فى: الحسّ، والعقل،

والوحى. ويمكن لمعرفة الصفات الإلَهيّة الجمالية والجلاليّة الإستفادة من الطريقين التاليين: ١ ـ طريق العقل: فإنّ التأمّل فى عالم الخَلق، ودراسة الأسرار الكامنة فيه والتى تدل برمّتها على أنّها مخلوقة لله، تقودنا إلى كمالات الله الوجودية، فهل يمكن أن يتصوّر أحدٌ أنّ بناء الكَون الشاهق قد تمّ من دون عِلم وقدرةٍ واختيارٍ. إنّ القرآن الكريم يدعو ـ تأْييداً لحكم العقل فى هذا المجال ـ بالتدبّر فى الآيات التكوينية فى صعيد الآفاق والأنفس إذ يقول: (قُلِ انْظُرُوا ماذا فى السَّماواتِ وَالأَرْضِ)(١). أى أُنظُروا نظرة تدبّر وتأمل لتكتشفوا الحقائق العظيمة . على أنّ من البديهىّ أنّ العقلَ يسلك هذا الطريق بمعونة الحسّ، أى أنّ الحس يبدأ أوّلاً ـ باكتشاف وإدراك الموضوع بصورةٍ عجيبةٍ، ثم يعتبر العقل عظمة الموضوع، وتكوينه العجيب، دليلاً ـ على عظمة الخالق وجماله. ٢ ـ طريق الوحى: فبعد أن أثبتت الأدلةُ القاطعةُ النبوّةَ والوحىَ،

---

١ . يونس | ١٠١ .

واتّضح أنّ الكتاب الذى أتى به النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكذا قوله كان برمّته من جانب الله، كان من الطبيعىّ أن يكون فى مقدور الكتاب والسُّنّة أن يساعدا البشريةَ فى معرفة صفات الله، فقد ذُكِرت صفات الله الجماليّة والجلاليّة فى هذين المصدرين بأفضل نحو. ويكفى أن نعرف أنّه جاء بيان قرابة ١۴٠ صفة لله تعالى فى القرآن الكريم، ونكتفى هنا بذكر آية واحدة تذكر بعض تلك الصفات: (هُوَ اللهُ الّذِى لا إلَهَ إلاّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ ألْمُؤْمِنُ الْمُهَيمنُ الْعَزيزُ الْجَبّارُ الْمُتَكَبّرُ سُبْحانَ اللهِ عمّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللهُ الخالِقُ البارئُ المُصَوّرُ لَهُ الأسْماءُ الحُسنى يُسَبّحُ لَهُ ما فى السَّمواتِ وَالأرْضِ وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ)(١). هذا والجدير بالذكر أنّ هناك من احتج بعجز البشر عن معرفة الموجودِ الأعلى فترك البحثَ عن صفات الله، ونهى عن ذلك، وهؤلاء فى الحقيقة هم «المعطّلة» لأنّهم حَرَموا الإنسان من المعارف السامية التى أرشد إليها العقلُ والوحىُ معاً. ولو كانَ البحثُ والنّقاش حولَ هذه المعارف مَمنُوعاً حقاً لكان ذِكرُ كّلِ هذه الصفات فى القرآن الكريم، والأمرُ بالتدَبر فيها غيرَ ضرورىّ بل لغواً. ويجب أن نقول ـ مع بالغ الأسف ـ إنّ هذا الفريق حيث إنّه أوصد على نفسه بابَ المعرفة، وقع نتيجةً لتعطيل البحث العلمى فى ورطة «تجسيم الله وتشبيهه وإثبات الجهة له سبحانه».

---

١ . الحشر | ٢٣ ـ ٢۴ .

(۶۸) الأصلُ السادسُ والثلاثون: صفات الذات وصفات الفعل تنقسمُ الصِفات الإلَهيّة من جهة أُخرى إلى قسمين : ألف: صِفات الذات . ب: صِفات الفِعل . والمقصودُ من (صفات الذات) هى الصفات الّتى يلازم تصوُّرها تصوّرَ الذات الإلَهية، كالعلم والقدرة والحياة، وإن لم يصدر منه سبحانه فعلٌ من الأفعال. والمقصود من (صفات الفِعل) هى الصفات التى تُوصف الذات الإلَهيّة بها بملاحظة صدور فعل مّا منه تعالى، كالخالقية، والرازقية وما شابَهَ ذلك من الصفات التى تنتزَعُ من مقام الفعل، ويوصَف بها اللهُ تعالى بعد ملاحظة ما صدر منه من الأفعال. وبعبارةٍ أُخرى مالم يصدر من الله فعل كالخالقية والرازقيّة والغفارية والراحمية لا يمكن وصفه فعلاً بالخالق والرازق وبالغفّار والرحيم، وإن كان قادراً ذاتاً على الخلق والإرزاق والمغفرة والرحمة. ونذكّر فى الخاتمة بأنّ كلَّ صفات الفعل التى يوصف بها اللهُ تعالى نابعةٌ من كماله الذاتى، وأن الكمال الذاتى المطلق له تعالى هو مبدأ جميع هذه الكمالات الفعلية ومنشؤها.

صفات الله الثبوتيّة

صفات الله الثبوتيّة

بعدما تبيّن انقسامُ الصفات الإلَهيّة إلى صفاتٍ ثبوتيّة وسلبيّة، وذاتيّة فعليّة ينبغى أن نطرح على بساط البحث أهمّ المسائل والقضايا المتعلّقة بها. الأَصلُ السابعُ والثلاثون: صفاته الذاتية ألف: العلمُ الأَزَلىّ عِلمُ الله ـ لكونه عينَ ذاته ـ أزليٌّ، كما انّه مثل ذاته مطلقٌ، ولا نهايةَ له. إنّ الله تعالى ـ مضافا إلى علمه بذاته ـ يعلم بكل شىء ممّا سوى ذاته، كليّاً كان أم جزئياً، قبل وقوعه وتحقّقه، وبَعد وقوعه وتحقّقه. ولقد أكّد القرآنُ الكريمُ على ذلك تأكيداً كبيراً إذ قال: (إنَّ اللهَ بِكُلّ شَىءٍ عَلِيْمٌ)(۱).

---

۱ . العنكبوت | ۶۲ .

(۷۰) وقال أيضاً: (ألا ـ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وُهَوُ اللَّطِيْفُ الخَبِيْرُ)(۱). ولقد وَرَدَ مثل هذا التأكيد المكرّر والقوىِّ على أزليّة العلم الإلَهىّ، وسعته وإطلاقه فى الأَحاديث المرويّةَ عن أئمة أهل البيت: مثل قول الإمام جَعْفَر الصادق ـ عليه السلام ـ : «لَمَ يَزَل عالِماً بالمَكانِ قَبْلَ تَكوينه كَعِلْمِهِ به بَعْدَ ما كوَّنَهُ وَكَذلِكَ عِلمُهُ بِجَمِيعِ الأَشياءِ»(۲). ب : القُدرةُ الواسِعَةُ إنّ قدرةَ الله مثلُ عِلمه أَزَليّةٌ، وَلكونها عينَ ذاته فهى مثلُ عِلمِهِ تعالى، مطلقةٌ وغير محدودة. إنّ القرآن الكريم يؤكّد على سِعةِ قدرة الله ويقول: (وَكانَ اللهُ على كُلّ شىءٍ قَدِيراً)(۳). ويقول: (وَكانَ اللهُ عَلى كُلّ شَىءٍ مُقْتَدِراً) (۴). وقالَ الإمامُ جعفرُ الصّادق ـ عليه السلام ـ : « الأَشياءُ لَهُ سَواءٌ عِلماً وقُدْرةً وَسُلْطاناً، ومُلْكاً وإحاطةً»(۵).

---

۱ . الملك | ۱۴ .

۲ . التوحيد للصدوق ص ۱۳۷، الباب ۱۰، الحديث ۹ .

۳ . الأَحزاب | ۲۷ .

۴. الكهف | ۴۵ .

۵ . التوحيد للصدوق الباب ۹ الحديث ۱۵ .

(۷۱) وأمّا إذا كان إيجاد الأَشياء المستحيلة والممتنعة ذاتاً خارجة عن إطار القُدرة الإلَهية، فليس ذلك لأَجْل نقصٍ فى القدرة الإلَهيّة، بَلْ لأَجل عدم قابليّة الشىء الممتنع، للتحقّق والوجُود (فهو نَقْصٌ فى جانب القابل لا فى جانب الفاعل). يقول الإمامُ علىٌّ ـ عليه السلام ـ فى الردّ على من سَألَ حول إيجاد الممتنعات: «إنّ الله تباركَ وتعالى لايُنسَبُ إلى العَجز، والّذى سَألْتنِى لا يَكُونُ»(۱). ج : الحياة إنّ اللهَ العالِمَ القادرَ حيٌّ كذلك قطعاً، لأنّ الصفتين السابقتين من خصوصيات الموجود الحى وتوابعه، ومن هذا تتضح دلائل الحياة الإلَهيّة أيضاً. على أنّ صِفة الحياة التى يُوصف بها الحقُّ تعالى هى مثل سائر الصفات الإلَهيّة منزَّهةٌ عن كلّ نقص، ومن كل خصوصيّات هذه الصّفة فى الإنسان وما شابهه (كعروض الموت)، وحيث إنّ اللهَ حيٌّ بالذات لهذا لاسبيلَ للموت إلى ذاته المقدّسة كما يقول: (وَتَوَكَّلْ على الحيِّالذى لايَموتُ)(۲).

---

۱ . التوحيد للصدوق: ص ۱۳۰، باب القُدرة .

۲ . الفرقان | ۵۸ .

(۷۲)

د : الإرادةُ والإختيار إنَّ الفاعلَ الواعى لفعله أكملُ من الفاعِلِ غير الواعى لفعله، كما أنّ الفاعلَ المريدَ لفعلِهِ المختار فيه (وهو الّذى إذا أراد أن يفعلَ فَعَل، وإذا لم يُرِدْ أن يفعَلَ لم يفعل) أكمل من الفاعل المضطرّ المجبور، أى الذى ليس أمامَه إلّا أحد أمرين: إمّا الفعل وإمّا الترك. وبالنظر إلى ما قلناه، وكذلك نظراً إلى أنّ الله أكملُ الفاعلين فى صفحة الوُجود، فإنَّ من البديهى أن نقول إنَّ اللهَ

فاعلٌ مختارٌ، وليس تعالى بمجبورٍ من جانب غيرهِ، ولا بمضطرٍ من ناحيةِ ذاته. والمقصود من قولنا: إن اللهَ مريدٌ، هو أنّه تعالى مختارٌ وليس بمجبورٍ ولا مضطَرّ. إنّ الإرادةَ ـ بمعناها المعروف في الإنسان والذي هو أمر تدريجي وحادث ـ لا مكان لها في الذات الإلَهيّة المقدسة. من أجل هذا وُصِفت الإرادةُ الإلَهيّة في أحاديث أهل البيت: بأنّها نفسُ إيجاد الفعل وعينُ تحقّقه، مَنعاً من وقوع الأشخاص في الانحراف والخطأ في تفسير هذه الصفةِ الإلَهيّة وتوضيحها. قال الإمام موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ : «الإرادةُ من الخَلق: الضميرُ وما يَبْدُو لهم بعدَ ذلك من الفِعْل. وأمّا مِنَ الله تعالى فإرادتُهُ: إحداثُه لاغير، ذلك لأنَّه لايُرَوّى ولايَهِمُّ ولا يَتَفَكَّرُ، وهذهِ الصِّفاتُ مَنْفيّةٌ عَنْهُ وَهيَ صِفاتُ الخَلْقِ. (۷۳) فإرادَةُ اللهِ، الفِعْلَ؛ لا غير ذلكَ يَقولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ بلا لَفْظٍ ولا نُطْقٍ بلسان ولا همّةٍ ولا تفكّر ولا كيف لِذلِكَ، كما أنَّه لا كيفَ له»(۱). فظهر ممّا ذكرناه: انّ وصفه سبحانه في مقام الذات بأنّه مريد، بمعنى انّه مختار ووصفه به في مقام الفعل بمعنى انّه موجد ومحدث_____.

۱ . أُصول الكافي ج۱، ص۱۰۹ باب الإرادةِ انّها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل،الرواية ۳.

(۷۴)

الله وصفاتُ الفِعل

الله وصفاتُ الفِعل والآن بعد أن اطَّلعنا على أُمهات المطالب المتعلّقة بصفات الذات ينبغي التعرّف على بعض صفات الفعل. وندرس هنا ثلاث صفات فقط من صفات الفِعل: ۱. التكلّم. ۲. الصِدق . ۳. الحِكمة. الأصلُ الثامن والثلاثون: كون الله متكلّماً إنّ القرآن الكريم يصفُ الله تعالى بصفة التكلّم إذ يقول: (وَكَلَّم اللهُ مُوسى تَكْلِيماً)(۱). وقال أيضاً: (وَما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكلِّمَهُ اللهُ إلاّ وَحْياً أوْ مِن وَراءِ حِجابٍ أو يُرْسِلَ رَسُولاً)(۲).

---

۱ . النِساء | ۱۶۴ .

۲ . الشورى | ۵۱ .

(۷۵) وعَلى هذا الأساس لاشكّ في كون التكلّم إحدى الصِفات الإلَهيّة. إنّما الكلام هو في حقيقة التكلّم وأنّ هذه الصِفة هل هي من صِفات الذات أم من صفات الفعل؟ إذْ مِنَ الواضح أنّ التكلّم بالشَكل الموجود عند الإنسان لا يجوزُ تصوّرُهُ في الحقّ تعالى. وحيث إنّ صِفَةَ التَكلّم ممّا نطق بها القرآن الكريم، وَوَصَف بها الله، لذلك يجب الرّجوع إلى القرآنِ نفسه لِفَهم حقيقته كذلك. إنّ القرآن يقسّم تكلّم اللهِ مع عباده ـ كما عرفنا ـ إلى ثلاثةِ أنواع، إذ يقول: (وَما كانَ لِبَشَرٍ أن يُكلِّمَهُ اللهُ إلاّ وَحْياً أو مِن وَراءِ حِجابٍ أو يُرسِلَ رَسُولاً فيوُحِيَ بإذنِهِ ما يشاء إنّه عَليٌّ حَكيمٌ)(۱). إذَن فلا يمكن للبشر أن يكلّمهُ الله إلاّ من ثلاث طرق: ۱ ـ «وَحْياً» الإلهام القلبي . ۲ ـ «أو مِنْ وَراءِ حِجابٍ» كأن يكلّم اللهُ البشرَ من دون أن يراه كتكلّم اللهِ مع موسى ـ عليه السلام ـ . ۳ ـ «أو يُرسِلَ رسولاً...» أي مَلَكاً يوحي إلى النبيّ بِإذنِ الله تعالى. ففي هذه الآيةِ بَيَّنَ القرآنُ تكلُّمَ اللهِ بأنّه تعالى يوجدُ الكَلامَ تارةً من دون واسطةٍ، وَأحْياناً مع الواسطةِ، عَبر مَلَك من الملائكة. كما أنّ القِسمَ الأوّل تارةً يكون عن طريقِ الإلقاء والإلهام إلى قلب النبي مباشرةً، وتارةً بالإلقاء إلى سَمْعِهِ ومنه يصلُ الكَلامُ إلى قلبه.

---

۱ . الشورى | ۵۱ .

(۷۶) وعلى كلّ حال يكونُ التكلّم بِصُوره الثلاث بمعنى إيجاد الكلام وَهَو من صِفات الفعل. إنّ هذا التَفْسير والتحليل لصفة التكلّم الإلَهيّ هو أحدُ التفاسير التي يمكن استفادتها بمعونةِ القرآنِ وإرشاده وهدايته. وهناكَ تفسيرٌ آخرٌ لهذه الصفةوهو: أنَّ اللهَ اعتبر مخلوقاتِهِ من كلماتِه فقال: (قُلْ لَوْ كانَ البَحْرُ مِداداً لِكَلماتِ رَبّي لَنَفِدَ البَحرُ قَبْلَ أنْ تَنَفَدَ كَلِماتُ رَبِيّ وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً)(۱).

فالمقصودُ من «الكلمات» فى هذه الآيةِ هو مخلوقات الله الّتى لا يقدرُ شىءٌ غيرُ ذاته سبحانه على إحصائها وعدّها، ويدعم هذا التفسيرَ للكلمةِ وصفُ القرآن الكريم المسيحَ ابنَ مريم ـ عليه السلام ـ بأنّه «كلمةُ الله» إذ قال: (وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مَرْيَمَ)(۲). إنّ الإمام أميرَ المُؤْمنين ـ عليه السلام ـ فسّر تَكَلّم الله تعالى فى إحدى خُطَبِه وأحاديثه بأنّه إيجادٌ وفِعلٌ، فقال: «يَقُولُ لِمَنْ أرادَ كَوْنَهُ «كُنْ»، لا بصَوتٍ يَقرَعُ، ولا بنداءٍ يُسْمَعُ وَإنّما كَلامُهُ سُبحانَه فِعلٌ منه، أنشَأهُ وَمَثّله»(۳). فإذا كان الكلام اللفظىّ معرباً عمّا فى ضمير المتكلّم، فما فى الكون من عظائم المخلوقات إلى صغارها يعرب عن علم الله تعالى وقدرته وحكمته.

---

۱ . الكهف | ۱۰۹ .

۲ . النساء | ۱۷۱ .

۳ . نهج البلاغة، الخطبة ۱۸۶ .

(۷۷) الأصل التاسعُ والثلاثون: هل القرآن مخلوق أم قديم؟ اتّضح مِنَ البَحْث المتَقَدّم الذّى تضمّن تفسيراً لِحقيقة كلام الله، بنحوين، أنَّ التفسيرَ الثانى لا يخالف التفسير الأوّل، وانّه سبحانه متكلم بكلا الوجهين. كما ثَبَتَ أنَّ كلامَ اللهِ حادثٌ وليس بقديم، لأنّ كلامَهُ هو فِعْلُه، ومن الواضح أنّ الفِعلَ حادثٌ، فَيَنتُجُ من ذلك أنّ «التكلّم» أمرٌ حادِثٌ أيضاً. ومع أنّ كلامَ الله حادثٌ قطعاً فإنّنا رِعايةً للأدب، وكذا دَرءاً لسوءِ الفهم لا نقول: إنّ كلام الله (القرآن) مخلوق إذ يمكن أن يصفه أحدٌ فى ضوء ذلك بالمجعول والمختلق وإلاّ فإنّ ما سوى اللهِ مخلوقٌ قطعاً. يقول سليمان بن جعفر الجعفرى: سألت الإمامَ علىَ بن موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ: يا ابْن رسول الله أخبِرنى عن القرآن أخالقٌ أو مخلوقٌ؟ فأجاب ـ عليه السلام ـ قائلاً: «ليس بخالقٍ ولا ـ مخلوقٍ، ولكنّه كلامُ الله عزّ وجلّ»(۱). وهنا لابدّ من التذكير بنقطةٍ تاريخيةٍ فى هذا المجال وهى أنّه طُرحت فى أوائل القرن الثالث الهجرى، فى عام ۲۱۲ هـ فى أوساط المسلمين مسألة ترتبط بالقرآن الكريم، وهى: هل القرآنُ حادثٌ أو قديمٌ؟ وقد صارت هذه المسألة سبباً للفرقة والاختلاف الشديدين، على

---

۱ . التوحيد للصدوق: ص ۲۲۳ باب القرآن ما هو، الحديث ۲ .

(۷۸)

حين لم يمتلك القائلون بِقدَم القرآن أىَّ تبرير صحيح لمزعمتهم، لأنّ هناك احتمالات يكون القرآنُ حسب بعضها حادثاً، وحسب بعضها الآخر قديماً. فإذا كان المقصود من القرآن هو كلماته التى تُتلى وتُقرَأ، أو الكلمات التى تلقّاها الأمينُ جبرائيل، وأنزلها على قلب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإنّ كل ذلك حادثٌ قطعاً ويقيناً. وإذا كان المقصود هو مفاهيم الآيات القرآنية ومعانيها، والتى يرتبط قسمٌ منها بقصص الأنبياء، وغزوات الرسول الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، فهى أيضاً لا يمكن أن تكون قديماً. وإذا كان المقصودُ هو علم الله بالقرآن لفظاً ومعنى فإنّ من القطعىّ والمسلَّم به هو أنّ علم الله قديمٌ، وهو من صفات الذات، ولكن العِلمَ غيرُ الكلام كما هو واضحٌ. الأصلُ الأربعون: كون الله صادقاً ومن صفاته سبحانه «الصدقُ» وهو القول المطابق للواقع فى مقابل الكذب الذى هو القول المخالف للواقع. فاللهُ تعالى صادقٌ لا سبيلَ للكذب إلى قوله، ودليلُ ذلك واضحٌ تمام الوضوح، لأنّ الكذبَ شيمةُ الجَهَلة، والعَجزة والجُبَناء. والله منزهٌ عن ذلك كُلّه. وبعبارة أُخرى ؛ إنَّ الكذبَ قبيحٌ والله منزهٌ عن القبيح. (۷۹) الأصلُ الواحدُ والأربعون: كون الله حكيماً ومِنَ الصّفات الكماليّة الإلَهيّة «الحكمةُ» كما يوحى بذلك تسميتُهُ تعالى بالحكيم. والمقصود من كون الله حكيماً: أوّلاً: أنّ أفعال الله تعالى تتسم بمنتهى الإتقان والكمال. ثانياً: أنَّ الله تعالى منزّهٌ عن الأفعال الظالمة، والعابثة. ويدل نظامُ الخلق الرائع العجيب على المعنى الأوّل حيث أُقيم صرحُ الكَون العظيم على أتّم نظام وأحسن صورةٍ، إذ يقول: (صُنْعَ اللهِ الَّذِى أتْقَنَ كُلَّ شىءٍ)(۱). ويشهد بالمعنى الثانى قولُه تعالى: (وما خَلَقْنا السَّماءَ والأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً)(۲). وهو أمرٌ يَدْعَمُه العلمُ والعقْلُ كلّما تقدَّم بهما الزمنُ، وَوَقفنا على أسرارِ الكونِ وقوانينه.

۱ . النمل | ۸۸ .

۲ . ص | ۲۷ .

(۸۰)

صفاتُ الله السلبيّةُ

صفاتُ الله السلبيّةُ الأَصلُ الثانى والأَربعون: إنّ الله لا يرى بالعين مطلقاً ذكَرْنا عند تصنيف صفات الله تعالى أنَّ الصفات الإلَهيّة على نَوعين: صفات الجمال، وصفات الجلال، وأنّ ما هو من سِنخ الكمال ومقولته يُسمّى «الصفات الجماليّة» أو «الثبوتية»، وما هو من مقولة النقص وسنخه يسمّى «الصفات الجلالية» أو «السلبية». والهَدَف من الصِّفات السَلبيّة هو تنزيه ذات الله سبحانه من النقص، والحاجة والفقر. إنّ الله تعالى ـ لكونه غنيّاً موصوفاً بالكمال المطلق ـ منَّزهٌ عن كُلّ وصفٍ يحكى النقص، والحاجة والفقر، ولهذا قال علماء العقيدة المسلمون (علماء الكلام) إنّ الله ليس بجسمٍ ولا ـ جسماني، ولا ـ محلاً ـ لِشيءٍ، ولا ـ حالاًّ ـ في شيء، ذلك لأَنّ كل هذه الخصوصيات ملازمة للنقص والاحتياج ومستتبعة للفقر والإمكان، وهى تعارضُ كونه غنياً غنيً مطلقاً، وتنافى كونه واجبَ الوجود قطعاً ويقيناً. هذا ومن الصفات التى تحكى النقص كون الشيء مرئياً، ذلك لأَن

(۸۱) الشيء لا يكون مرئياً إلّا بعد تحقّق شروط ضرورية هى: ألف : أن يكون فى مكانٍ وجهةٍ خاصةٍ. ب : أن لا يكون فى ظلمة، بل يشع عليه النور . جـ : أن يكون بينه وبين الرائى فاصلة معينة ومسافة مناسبة . ومن الواضح أنّ هذه الشرائط من آثار الكائن الجسمانى ومن خصائص الموجود المادّى لا الإلَه ذى الوجود الأَسمى والأَعلى من ذلك. هذا مضافاً إلى أنّ كون الله مرئياً لا يخلو من حالتين: إمّا أن يكونَ كلّ وجودِه مرئياً. وإمّا أن يكونَ بعض وجودِه مرئياً. وفى الصورة الأُولى يكون الله المحيط ؛ مُحاطاً ومحدوداً. وفى الصورة الثانية يكونُ الحق تعالى ذا أجزاء وأبعاض. وكلا الأَمرين لا يليقان بالله سبحانه فهو تعالى محيطٌ غير محاط به، مطلق غير مقيد، منزّه عن التركب والتبعّض. على أنَّ ما قلناه يرتبط بالرؤية الحسيّة والبصرية، لا الرؤية القلبيّة، والشهود الباطنىّ الّذى يتحقّق للمرء بفضل الإيمان الكامل، واليقين الصادق فإنّ هذا القسمَ خارجٌ عن محطّ البحث، وإطار النقاش. ولا ريب فى إمكان وقوعه بل وقوعه لأَولياءِ الله، وعبادة الصالحين المقربين. (۸۲) قال ذعلب اليمانىّ ـ وهو من أصحاب الامام على ـ عليه السلام ـ ـ قلت للإمام ـ عليه السلام ـ هل رأيتَ ربَّك يا أميرَ المؤمنين؟ قالَ الإمامُ ـ عليه السلام ـ : «أفَأَعْبُدُ ما لا أرى». فقال ذعلب: وكيف تراهُ ؟ فقال ـ عليه السلام ـ : «لاَ تراهُ العُيُونُ بمشاهدة العَيانِ وَلكِنْ تدركهُ القُلُوب بِحَقائِقِ الإيمانِ»(۱). إنّ الرؤية بالبصر علاوةً على كونِها ممتنعةً عقلاً، مرفوضةً من جانبِ القرآن الكريم، فقد صرّحَ القرآن الكريم بنفِى إمكان ذلك. فعندما طَلَب النبىّ موسى ـ عليه السلام ـ من الله (تحت إلحاحٍ وضغطٍ مِن قومه) أن يريه نفسَه ردّ عليه سبحانه بالنفى المؤكد المؤبد كما يقول: قائلاً: (رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إلَيْكَ قالَ لَنْ تَرانِى)(۲). ويمكن أن يَسأَل أحد: إذا كانت رؤيةُ الله بالبصر والعَين غير ممكنة فلماذا قال القرآن الكريم: (وُجُوهٌ يَوْمِئِذٍ ناضِرَةٌ * إلى رَبِّها ناظِرَةٌ)(۳). والجواب على ذلك هو: أنّ المقصود من النظر فى الآية الكريمة، هو انتظار الرحمة الإلَهية، لأَنّ فى الآية شاهدين على ذلك: ۱ ـ إن النظر فى هذه الآية نُسِبَ إلى الوجوه وقال ما معناه: إنّ الوجوه المسرورة تنظرُ إليه. ولو كان المقصود هو رؤية الله بالبصر لنُسِبَ النظر

۱ . نهج البلاغة: الخطبة ۱۷۹ .

۲. الأَعراف | ۱۴۳ . ۳. القيامة | ۲۲ ـ ۲۳.

(۸۳)

إلى العيون لا- إلى الوجوه. ۲ ـ إن الكلام فى هذه السورة عن فريقين: فريق يتمتّع بوجوهٍ مسرورةٍ مشرقةٍ وقد بيّن ثوابَها بقوله: (إلى رَبّها ناظِرَةٌ). وفريق يتسم بوجوه حَزينة مكفهرّة وقد بيّن جزاءها وعقابها بقوله: (تَظُنُّ أنْ يُفْعَلَ بها فاقِرَةٌ). والمقصود من الفقرة الثانية واضح وهو أنّ هذا الفريق يعلم بأنّه سيصيبه عذابٌ يفقر الظهر، ويكسره ولهذا فهو ينتظر مثل هذا العذاب الأليم. وبقرينة المقابلة بين هذين الفريقين يمكن معرفة المقصود من الآية الأُولى وهو أنَّ أصحاب الوجوه المسرورة تنتظر رحمة الله، فقوله تعالى: (إلى رَبّها ناظِرة) كنايةٌ عن انتظار الرَّحمة الإلَهية، ولهذا النّوع من التكنية وذكر شىء وإرادة شىء آخر كنايةً نظائر فى المحاورات العرفية فيقال فلانٌ عينه على يد فلان أى أنّه ينتظر إفضالَه وإنعامه عليه. وخلاصة القول ؛ أنّه كما ينتظر أصحابُ الوجوهِ الحزينةِ عذاباً إلَهيّاً، ينتظرُ أصحابُ الوجوهِ المسرورةِ رحمةً إلَهيةً كُنّى بها بالنَظَر إليه جرياً على العادةِ المألوفةِ فى المحاورات العرفيّة العربيّة، وبقرينة المقابلة التى هى من قوانين البلاغة وقواعدها. هذا مضافاً إلى أنّه يجب أن لا يُكتفى فى تفسير الآيات القرآنية بآيةٍ واحدةٍ بل لابدّ من استعراض ما يشابهُها من الآيات من حيثُ الموضوع،

(۸۴)

والتوصل إلى المفهوم الحقيقى بعد ملاحظة مجموعة تلك الآيات. وفى مسألة الرُؤية لو لاحظنا كلّ الآيات المتعلّقة بها فى القرآن الكريم، بالإضافةِ إلى الأحاديثِ الشريفةِ فى هذا المجال لاتّضحَ عدمُ إمكان رؤية الله تعالى فى نظر الإسلام من دون غموضٍ. وفى خاتمة المطاف تفسّر الرؤية الواردة فى قصة موسى ـ عليه السلام ـ مع أصحابه، انّ موسى ـ عليه السلام ـ اختار من قومه سبعين رجلاً لميقات ربه لكى يشاهدوا نزول التوراة، فلمّا بلغوا الميقات اقترحوا عليه ان يريهم الله سبحانه، يقول تعالى: (وإذ قُلتم يا موسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّى نَرى اللهَ جَهْرَةً)(۱) وقال سبحانه: (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكتابِ أن تُنَزِّلَ عَلَيْهِم كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) (۲) فلما أفاقوا بدعاء من نبيهم موسى ـ عليه السلام ـ اقترحوا عليه شيئاً آخر، فقالوا: إنك تسمع كلام الله وتصفه لنا أدع ربك حتّى يريك نفسه فتنقله إلينا فأصرّوا وألَحّوا فى ذلك، فطلب موسى ـ عليه السلام ـ بضغط وإلحاح من قومه ان يريه الله ذاته مع علمه بامتناع رؤيته، وقال: (رَبِّ أَرِنى أَنْظُرْ إلَيْكَ) فوافاه الجواب: (قالَ لَنْ تَرانِى)(۳). فتبيَّن من ذلك انّ طلب موسى لم يكن من تلقاء نفسه بل كان إجابة لإلحاح قومه المعروفين باللجاج والإصرار.

---

۱ . البقرة | ۵۵ .

۲. النساء | ۱۵۳ .

۳. الأعراف | ۱۴۳ .

(۸۵)

الصِّفات الخَبَريّة

الصِّفات الخَبَريّة الأصلُ الثالثُ والأربعون كُلُّ ما ذُكر إلى هُنا من الصّفاتِ الإلَهيّة (ما عدا التكلّم) كانَ برمّته مِن نوع الصّفاتِ التّى يقضى العقلُ بإثباتِها للهِ أو نَفْيِها عنهُ. غَير أنَّ هناكَ مجموعةً من الصّفات وَرَدَت فى آياتِ القرآنِ وفى السُّنة ولم يكن لها من مُسْتَنَدٍ ومَصْدرٍ سوى النقل مثل: ۱ ـ يَدُ الله: (إنَّ الّذينَ يُبايعُونَكَ إنّما يُبايعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوقَ أيْدِيهِمْ) (۱). ۲ ـ وَجْهُ الله: (وَللهِ المَشْرِقُ والمَغْرِبُ فَأَيْنما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إنَّ اللهَ واسِعٌ عَليمٌ)(۲). ۳ ـ عَيْنُ الله: (وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْينا)(۳). ۴ ـ الإستواء عَلى العَرش: (الرَّحْمنُ عَلى الْعَرْشِ استوى)(۴). والعلّة فى تسمية هذا النوع من الصفات، بالصفات الخبرية، هو

---

۱ . الفتح | ۱۰ .

۲. البقرة | ۱۱۵ .

۳ . هود | ۳۷ .

۴. طه | ۵ .

(۸۶)

ثبوتها لله بإخبار الكتابِ والسُنّة بِها فقط. وللحصول على التفسير الواقعيّ لهذا النوع من الصفات يجب أيضاً ملاحظة كلّ الآيات المتعلّقة بهذا المجال. كما أنّه يجب أن نعلم أنّ اللّغة العربية شأنها شأن غيرها من اللّغات الأُخرى زاخرة بالكنايات والإستعارات والمجازات، وبما أنّ القرآن نزل بلغة القوم لذلك استخدم هذه الأساليب أيضاً. وإليك الآن بيان هذه الصفات وتفسيرها فى ضوءِ ما مرَّ. ألف: فى الآية الأُولى قال تعالى: (إنّ الّذيْنَ يُبايِعُونَكَ إنّما يُبايِعُونَ اللهَ) لأنّ مبايعة الرسول بمنزلةِ مبايعةِ المرسِلِ. ثم يَقُول بعد ذلك: (يَدُ اللهِ فوقَ أيْدِيهِمْ) وهذا يعنى أن قدرة الله أعلى وأقوى من قدرتهم وَلا يعنى أنّ لله يَداً جسمانية حِسيّة تكون فوق أياديهم. ويشهد بذلك أنّهُ قال فى ختام الآية وعقيب ما مرّ: (فَمَنْ نَكثَ فَإنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوفى بما عاهَدَ عَلَيْه الله فسيُؤتيه أَجْراً عَظِيماً). فمن نكث بيعته فلا يضرّ الله شيئاً لأنّ قدرة الله فوق قدرتهم. إنّ هذا النمط من الكلام والخطاب الذى يتضمن تهديدَ الناكثين لعهدهم، والتنديد بهم، وامتداح الموفين بعهدهم وتبشيرهم، يدل على أنّ المقصود من «يَدِ الله» هو القدرةُ والحاكمية الإلَهية. (۸۷) على أنّ لفظة «اليَد» تُستخدَم أحياناً فى جميع اللُغات للكناية عن القُدرةِ والقُوةِ، والسُلطةِ والحاكميةِ، ومن هذا الباب قولِهم: فَوْقَ كل يدٍ يدٌ، أى فوقَ كُلّ قوةٍ قوةٌ أعلى، وفوق كلّ قدرةٍ قدرةٌ أكبر. ب : إنّ المقصودَ من الوَجه الذى نُسِبَ إلى الحقّ تعالى هنا هو ذاته سبحانه لا العضوُ الخاصُ الموجودُ فى جسم الإنسان وما يشابِهُهُ. فالقرآنُ عندما يتحدّث عن هلاك ما سوى الله وفنائه يقول: (كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ)(۱). ثم يخبر عقيبَ ذلك مباشرةً عن بقاء الذات الإلَهيّة ودوامِها وأنّه لا سبيل للفناء إليها فيقول: (وَيَبْقى وجهُ ربّك ذو الجَلالِ والإكرام)(۲). أى تَبقى ذاته المقدسة، ولا تفنى أبداً. من هذا البيان يتّضح بجلاءٍ معنى الآية المبحوثة هنا ويتبين أنّ المقصودَ هو أنّ الله ليس فى جهةٍ أو نقطةٍ معيّنةٍ، بل وجوده محيط بجميع الأشياء فأينما وَلَّينا وُجوهَنا، فقد وَلَّينا وجوهَنا شطرهُ. ثم إنّ القرآن أتى لإثبات هذه الحقيقة العظيمة بوصفين لله تعالى: ۱ ـ واسِعٌ: أىْ إنّ وجود الله لا ـ نهاية له ولا ـ حدود . ۲ ـ عَلِيْمٌ: أىْ إنّه عارفٌ بجميع الأشياء. ج : فى الآية الثالثة يذكر القرآنُ الكريم أنّ نوحاً ـ عليه السلام ـ كُلّف من جانب

---

۱ . الرحمن | ۲۶ .

۲ . الرحمن | ۲۷ .

(۸۸)

اللهِ بصنع سفينة وإعدادها. وحيث إنّ صنعَ تلك السفينة كان فى مكان بعيدٍ عن البحر، لذلك استهزأ قومُه به، وسخر به الجهلة منهم، وآذَوه. ولذا فى مثل هذه الظروف قال له الله تعالى: إصنع أنتَ السفينة ولا تُبالى، فأنتَ تفعل ذلك تحت إشرافنا، وهو أمرٌ قد أوحينا نحن به إليك. فالمقصود من قوله (واصنَعِ الفُلْكَ بأَعْيُننا) هو ان نوحاً قامَ بما قام من صُنْع السفينة حسب أمر الله له، ولهذا فانّ الله سيحفظه ويكلاَوه برعايته، ويحميه، ولن يَصل إليه من المستهزئين شىءٌ إذ هو فى رعاية الله، ويعمل تحت عنايته. د : إنّ العَرشَ فى اللغة العربية بمعنى السرير، ولفظ «الاستواء» إذا جاء مع لفظة «على» كان المعنى هو الاستقرار والاستيلاء. وحيث إنّ الملوك والأُمراء بعد أن جلسوا على منصة العرش يعمدون إلى تدبير الأُمور، وتسييرها فى بلادهم، لهذا كان هذا النوعُ من التعبير (أعنى: الإستواء على العرش) كناية عن الإستيلاء، والسيادة، والقدرة على تدبير الأُمور، خاصة إذا نُسِبَ ذلك إلى الله سبحانه. هذا مضافاً إلى أنّ الأَدِلّة العَقلية والنقلية أثبتت تنزّه الحق تعالى عن المكان. وممّا يشهد بأنّ الهدف من هذا النمط من التعابير، ليس هو الجلوسُ على السَرير المادىّ، بل هو كناية عن تدبير أُمور العالم أمران: (۸۹) ۱ ـ إنّ هذه العبارة جاءت فى كثير من آيات الكتاب العزيز مسبوقةً بالحديث

عن خلق السماوات والأرض، للإشارة إلى أنّ هذا الصرح العظيم قائم من غير أعمدة مرئيّة. ۲ ـ إن هذه العبارة جاءت فى آيات كثيرة من الكتاب العزيز ملحوقةً بالكلام عن تدبير العالم. إنّ مجيئ هذا التعبير فى القرآن الكريم مسبوقاً تارةً بالحديث عن الخلق، وملحوقاً تارة أُخرى بالحديث عن التدبير يمكن أن يساعِدَنا على فهم المقصود من الاستواء على العرش، وأنّ القرآن يُريدُ بهذه العبارة أن يُفَهّمَ البشريةَ أنَّ خلق الوجود على سعته، وعظمتهِ، لم يوجب خروج هذا الكون العظيم عن نطاق تدبيره ومشيئته، بل الله تعالى مضافاً إلى كونه خالقَ الكون، وموجده، فهو مدّبرُه، ومصرّفُ شؤونه . وها نحن نختارُ من بين الآيات العديدة فى هذا الصعيد آيةً جامعةً للحالتَين (المذكورتين سابقاً) تفيد ما ذكرناه: (إنّ رَبَّكُمُ اللهُ الّذى خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ فى ستَّةِ أيّامٍ ثُمَّ اسْتوى عَلى العَرْش يُدَبّرُ الأَمرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إلاّ مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ..)(۱_____).

۱ . يونس | ۳.

۲ . يراجَع فى هذا الصدد الآيات: ۲ | الرعد، ۴ | السجدة، ۵۴ | الأعراف.

(۹۰)

الفصل الرابع : العَدلُ الإلهىُّ

اشاره

الفصل الثالث :فى صفات الله سبحانه

الأَصلُ الرابعُ والأَربعُون: العدل من الصفات الجمالية

الأَصلُ الرابعُ والأَربعُون: العدل من الصفات الجمالية يعتقدُ المسلمون جميعاً بعدل الله تعالى والعَدلُ من الصفات الإلَهيّة الجماليّة. وَيَنطلقُ هذا الإعتقادُ مِن نفي القرآن لأىّ نوعٍ من أنواع الظُلْم عَنِ اللهِ تعالى، ووَصفِه بكونهِ «قائماً بالقِسط» كما يقول: (إنّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرّةٍ)(۱). ويقول أيضاً: (إنّ اللهَ لا يَظْلِمُ النّاسَ شَيْئاً)(۲). ويقولُ كذلك: (شَهِدَ اللهُ أنَّهُ لا إلَه إلاّ هُوَ وَالملائكةُ وَأُوْلوا العِلْمِ قائِماً بالقسْط)(۳).

إنّ العقل ـ مضافاً إلى الآيات المذكورة ـ يحكم بوضوح بالعَدلِ الإلَهىّ لأنَّ العَدْلَ صفةُ كمالٍ، والظلمُ صفةُ نقصٍ، والعقلُ يحكمُ بأنّ الله تعالى مُستجمعٌ لجميع صفاتِ الكمالِ، منزَّهٌ عن كلّ عيبٍ ونقصٍ فى مقام

---

۱ . النساء | ۴۰ .

۲ . يونس | ۴۴ .

۳ . آل عمران | ۱۸ .

(۹۴)

الذات والفعل. والظلمُ أساساً نابعٌ من أَحَدِ عواملَ ثلاثة: ۱ ـ جَهل الفاعلِ بقبح الظُلم. العدل الإلَهىّ ... ۲ ـ إحتياج الفاعلِ للظُلم إلى الظلم مع عِلمه بقبحه، أو عجزه عن القيام بالعدل. ۳ ـ كون فاعلِ الظُلم سفيهاً غيرَ حكيم، فهو لا يبالى بإتيان الأَفعالِ الظالِمة رغم علمه بقبحها، ورغمَ قدرتهِ على القيام بالعدل. ومِن البديهى أنّه لا سبيل لأىّ واحدٍ من هذه العَوامل إلى الذات الإلهيّة المقدّسة، فهو تعالى منزّهٌ عن الجَهل، والعَجز، وعن الإحتياج والسَفه، ولهذا فإنّ جميع أفعالهِ تتسم بالعَدل والحكمة. ولقد أشار الشيخ الصدوق إلى هذا إذ قال: «والدليل على أنّه لا يقع منه عزّ وجلّ الظلم ولا يفعلهُ أنّه قد ثبت أنّه تبارك وتعالى قديم غنىٌ عالم لا يجهل، والظلم لا يقع إلاّ

من جاهل بقبحه أو محتاج إلى فعله منتفع به».(۱) كما أشار إليه المحقّق نصير الدين الطوسى بقوله: «واستغناؤه وعلمه يدلّان على انتفاء القبح عن أفْعالِهِ تعالى»(۲). ونظراً إلى هذه الآيات اتّفقَ المسلمون على ثبوت العدل لله تعالى

---

۱ . التوحيد للصدوق ص ۳۹۶ ـ ۳۹۷ .

۲ . كشف المراد ص ۳۰۵ .

(۹۵)

والإعتقاد بكونه عادلاً ـ إلاّ أنّهم اختلفوا فى تفسير العدل الإلَهى واختارَ كلُ فريقٍ إحدى النظريّتين التاليتين: ألف: إنّ العقلَ البشرىّ السليمَ يدرك بنفسه حسنَ الأفعال وقبحها، ويعتبر الفعلَ الحَسَن علامةً لكمال فاعله، والفعلَ القبيحَ علامةً لنقصان فاعله. وحيث إنّ الله مستجمعٌ بذاته لجميع صفات الكمال، لهذا فَانّ فعلَه كاملٌ ومحمودٌ، وذاته المقدّسة منزّهةٌ عن كل فعلٍ قبيح. هذا ويجدُر التذكيرُ بنقطة هامّةٍ هنا، وهى أنّ العقلَ لا يحكم على الله بشىءٍ، ولا يقول: يجب على الله أن يكون عادلاً، بل كلُ ما يفعلهُ العقلُ هنا هو أن يكتشفَ واقعيّةَ الفعلِ الإلَهىّ، يعنى أنّه بالنَظَرِ إلى كمالِ اللهِ المطلَقِ، وتنزُّهِهِ سبحانه عن كلّ نقصٍ وعيبٍ، يكتشف أنّ فِعلَه كذلك فى غاية الكمال، وأنّه منزَّه أيضاً عن النقص، فهو بالتالى سيعامل عباده بالعدل، ولا يظلم أحداً منهم أبداً. وما ذكَرتهُ الآياتُ القرآنيّةُ فى هذا المجال إنّما هو فى الحقيقة تأكيدٌ وتأييدٌ لما أدركه الإنسان من طريق العقل. وهذا هو ما اصَطُلِحَ عليه فى علم الكلام الإسلامىّ بمسألة الحُسن والقُبح العقليّين، ويُسمّى القائلون بهذه النظرية بالعَدليّة، ويقف فى طليعتهم الشيعةُ الإماميّةُ الاثنا عشرية. (۹۶) ب ـ وتقابل تلك النظرية، نظريةٌ أُخرى وهى أنّ العقلَ البشرىّ عاجز عن إدراك الحُسن والقُبح فى الأفعال حتى فى صورتها الكليّة، وتحصر الطريق لمعرفة الحسن والقبح فى الوحى الإلَهىّ، فما أمرَ به اللهُ فهو حَسَنٌ وما نهى عنه فهو قبيحٌ. وعلى هذا الأساس فلو أمَرَ اللهُ بإلقاءِ إنسان بَرىء فى النار، أو إدخال عاصٍ فى الجنة كان ذلك عينَ الحسن والعدل. وقول هذا الفريق هو: إنّ وصف الله بالعدل ليس إلاّ لكون هذا الوصف جاء فى القرآن الكريم ليس إلاّ. الأصلُ الخامسُ والأربعون: إدراك العقل للحسن والقبح حيث إنّ مسألة الحُسن والقُبح العقليّين تُمَثّلُ الأساسَ والقاعدة للكثير من عقائد الشيعة الإمامية، لذلك نشير فيما يأتى إلى دليلَين من أدلّتها العديدة: ألف: إنّ كلَّ إنسان ـ مهما كان دينه ومسلكه، وأينما حلّ من بقاع الأرض ـ يدرك بنفسه حُسنَ العدل، وقبح الظلم، وكذلك يدرك حُسنَ الوفاءِ بالعهد، وقبحَ نقضه، وحسنَ مقابلة «الإحسان بالإحسان» وقبح مقابلةِ «الإحسان بالإساءة». ودراسةُ التاريخ البشرىّ تشهدُ بهذه الحقيقة وتؤكّدُها، ولم يُرَ حتى اليوم إنسانٌ عاقلٌ ينكرها قط. (۹۷) ب : لو فَرَضْنا أنّ العقل عجز تماماً عن إدراك حسنِ الأفعال وقبحها، واحتاج الناس فى معرفة حسن جميع الأفعال وقبحها إلى الشرع، لزم من ذلك عدم إمكانِ إثبات الحسن والقبح الشرعيّين أيضاً ذلك لأنّنا لو فَرضنا أن الشارع أخبَرَ عن حُسن فعل أو قبح آخر لا يمكننا أنْ نتوصَّل إلى معرفة حُسن ذلك الفعلِ أو قبحِه، بواسطة هذا الإخبار، ما دمنا نحتمل الكذب فى إخبار الشارع، وكلامِهِ إلاّ إذا ثبت قَبْل ذلك قبحُ المين والكذب وتنزّهِ الشارع عن هذه الصفةِ القبيحةِ، ولا يمكن إثبات ذلك إلاّ من طريق العقل.(۱)

هذا مضافاً إلى أنّه يُستفاد من الآيات القرآنية أنّ العقل البشرىّ قادرٌ على إدراك حسنِ بعض الأفعال أو قبحها، ولهذا احتكم القرآنُ إلى العقل واللبّ، ودعا إلى تحكيمه أكثر من مرة إذ قال: (أفَنَجْعَلُ المُسْلِمين كَالْمُجرِمِين * مالَكُمْ كيْفَ تَحْكُمُونَ)(۲). وقال أيضاً: (هَلْ جَزاءُ الإحْسانِ إلاّ الإحْسانُ) (۳). وهنا يُطرح سؤال لابدّ من الإجابة عليه وهو أن الله تعالى قال: (لايُسْئَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُون) (۴). والسُؤال الآن هو: إذَنْ لا يمكن أن يُسأَل اللهُ عن أىّ فعل قامَ به

---

۱ . وعبارة المحقّق الطوسى فى تجريد الاعتقاد تشير إلى هذا البرهان حيث قال: «ولانتفائهما مطلقاً (أى عقلاً وشرعاً) لو ثبتا شرعاً» أى لو انحصر إثبات الحسن والقبح فى إخبار الشرع لانتفى حسنُ الأفعال وقبحُها بالكلية، ولم يثبُتا لا شرعاً ولا عقلاً.

۲ . القلم | ۳۵ ـ ۳۶ .۳. الرحمن | ۶۰ .۴. الأنبياء | ۲۳ .

(۹۸) والحال أنّه بناءً على كونِ الحُسن والقبح عَقْلِيَّين إذا فَعَلَ اللهُ قبيحاً ـ إفتراضَاً ـ يُسأَل ويُقال: لماذا فَعَلَ هـذا الفِعْل؟ والجواب هو: إنّما لا يُسأَل الله عن فعله لأنّه حكيمٌ، والحكيم لا يصدر منه القبيحُ قط، ففعلهُ ملازمٌ للحكمة أبداً، ولهذا لايَبقى هناك ما يَستدعى المساءلة والإستفسار. الأصلُ السادسُ والأربعون: تجلّيات العدل الإلهى فى مجالى التكوين والتقنين إنّ للعَدل الإلَهى فى مجالات التكوين والتشريع والجزاء، مظاهر مختلفة نبيّنها واحداً بعد آخر: ألف : العَدلُ التكوينىّ: لقد أعطى الله تعالى لكلّ مخلوقٍ خَلَقَه، ما هو لائقٌ به، ولازمٌ له، ولم تَغَبْ عنه القابليّاتُ عند الإفاضة والإيجاد أبداً. يقول القرآنُ الكريمُ فى هذا الصدد: (رَبُّنا الّذِى أعطى كلَّ شَىءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى)(۱). ب : العدلُ التشريعىّ: لقد هدى اللهُ الإنسانَ الّذى يمتلكُ قابليّة الرُشد والتكامل، واكتساب الكمالات المعنويّة، بإرسال الأنبياء، وتشريع القوانين الدينيّة له. كما أنّه لم يُكلّف الإنسان بما هوَ فوق طاقته، ووُسعه، كما يقول: (إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ وَالإحْسانِ وإيْتاءِ ذِى القُرْبى ويَنْهى عَنِ

---

۱ . طه | ۵۰ .

(۹۹)

الفَحْشاءِ وَالْمُنْكرِ والبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)(۱). وحيث إنّ العَدل والإحسان وإيتاء ذى القربى توجب كمال الإنسان وتوجب الأفعالُ الثلاثة الأخرى (الفحشاء والمُنكر والبغى) سقوطَه، أمرَ سبحانه بالأعمال الثلاثة الأُولى، ونهى عن الأفعال الأخيرة. ويقول عن ملائمة التكاليف الإلَهيّة لاستطاعة الإنسان وقدرته وعدم كونها خارجة عن حدود هذه الإستطاعة أيضاً: (لا يُكَلّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها)(۲). ج : العدل فى الجزاء: إنّ الله لا ينظر إلى المؤمن والكافر، والمحسن والمسىء من حيث الجزاء نظرةً سواء قط، بل يجازى كُلاًّ طبقاً لاستحقاقه ووفقاً لِعَمله فيثيبُ المحسنَ، ويعاقبُ المسىء. وعلى هذا الأساس لا يعاقبُ مَن لَمْ تبلُغْهُ تكاليفهُ عن طريق الأنبياء والرسل، ولم تتم عليه الحجةُ كما يقول: (وما كنُّا مُعَذّبينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولاً)(۳) . ويقول أيضاً: (وَنَضَعُ المَوازِيْنَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيامَةِ فَلا تُظلَمُ نَفْسٌ شَيئاً)(۴).

---

۱ . النحل | ۹۰ .

۲ . البقرة | ۲۸۶ .

۳ . الإسراء | ۱۵ .

۴ . الأنبياء | ۴۷ .

(۱۰۰) الأصلُ السابعُ والأربعون: الهدفيّة فى خلق الإنسان إنّ الله خلق الإنسان، وكان لخلقه وإيجاده هدفٌ خاصٌ، وهو وُصول الإنسان إلى الكمالِ الإنسانِى المطلوبِ الذى يتحقّق فى ظلّ عِبادةِ اللهِ، وطاعتِه. ولو كان وصولُ الإنسان إلى الهدف متوقِّفاً على مقدّمات، هَيَّأ سبحانه تلكَ المقدّمات، وسهّل لَه طريق الوُصول إلى الهدف، وإلاّ كان خلقُ الإنسان عبثاً خالياً عَنِ الهَدَف. مِن هنا بعث اللهُ أنبياءَه ورسُلَه وزوّدهم بالبيّنات والمعاجز، كما أنّه ترغيباً لعبادِهِ فى الطاعة، وتحذيراً لَهُمْ عن المعصيَةِ ضمَّنَ تلكَ الرسالات وَعْدَه ووعيده، فبشّروا وأنذروا. وهذا الّذى قُلناه هو خلاصة ما يسمّى فى كلام «العدلية» بـ « قاعدةِ اللُّطف» وهى من فُروع قاعدة الحُسنِ والقبحِ العقليّين، كما أنّها هى الأساس والمنطلَق للكثيرِ من قضايا العقيدة ومسائلها.

(۱۰۱)

القضاء والقَدَر

القضاء والقَدَر الأصلُ الثامنُ والأربعون: القضاء والقدر فى الكتاب والسنّة القضاءُ والقدرُ من العقائد الإسلامية المسلَّمة الّتى وَرَدَت فى الكتاب والسُّنة، وأيَّدَتْها الأدلةُ والبراهينُ العقليّةُ القاطعةُ. إنّ الآيات التى تَتحدَّثُ عن «القضاء والقدر» كثيرة جداً ونحن نأتى بنماذج منها هنا: يقول القرآن حول القدر: (إنّا كلَّ شىءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَر)(۱). ويقول أيضاً: (وإنْ مِنْ شَىءٍ إلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إلاّ بقدرٍ مَعْلُوم) (۲). كما يقول حول القضاء: (وَإذا قضى أمْراً فَإنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكونُ)(۳). ويقول أيضاً: (هُوَ الَّذِىْ خَلَقَكُمْ مِنْ طِيْنٍ ثمَّ قضى أَجَلاً) (۴).

---

۱ . القمر | ۴۹ .

۲. الحجر | ۲۱ .

۳ . البقرة | ۱۱۷ .

۴. الأنعام | ۲ .

(۱۰۲) وَبالنَظَر إلى هذه الآيات والروايات العديدة فى هذا الصعيد لا يُمكنُ لمسلم أن يُنكر «القضاءَ والقدرَ» وإنْ لَم يجب الإلمامُ بتفاصِيل هذه المسألة ومعرفةُ جزئياتِها. وأساساً لا يَصْلُح الخَوضُ فى هذه المسائل الدقيقة لمن لم يمتلك القابلية الذهنيّة والفكرية اللازمة لمثل هذه الحقائق الدقيقة، إذ طالما يمكن أن يتورّط مثل هذا فى شكٍّ أو تردّد فى عقيدته، ويقعَ فى الضلال فى نهاية المطاف. ولهذا قال الإمام على ـ عليه السلام ـ مخاطباً هذا الفريق من الناس: «طَريقٌ مُظْلِمٌ فَلا تَسْلكوهُ، وبَحرٌ عَميق فَلا تَلِجُوهُ، وسِرُّ الله فلا تَتكَلَّفوه»(۱). نعم تحذير الإمام ـ عليه السلام ـ هذا مُوَجّه إلى مَن لا يمكنه فهمُ هذه المعارف الدقيقة، وهضمها واستيعابها، بل وربّما يُؤدّى به الدُخول فيها إلى الضلال والانحراف . ويشهد بهذا الموضوع أنّه ـ عليه السلام ـ طالَما عَمَد ـ فى موارد ومواضع أُخرى ـ إلى شرح وبَيان مسألة القضاء والقدر(۲). ولهذا فإنّنا نشرح هذه المسألة فى حدود معرفتنا مستعينين بالآيات والروايات والعقل.

---

۱ . نهج البلاغة، الكلمات القصار | ۲۸۷ .

۲ . أُصول الكافى ج ۱، ص ۱۵۸ .

(۱۰۳) الأصلُ التاسعُ والأربعون: معنى القدر والقضاء «القَدَر» فى اللُّغة يعنى المقدار، والقضاء يعنى الحَتم والجَزم. يقول الإمامُ الرّضا ـ عليه السلام ـ فى تفسيره للقدر والقضاء: «القَدَرُ هى الهَنْدَسَة، وَوَضْعُ الحُدود من البقاء، والفَناء. والقضاء هو الإبرامُ، وإقامة العَيْن»(۱). والآن وَبعد أن اتَّضَحَ معنى الْقَدر والقضاء من حيث اللُّغة، نَعْمَدُ إلى بيان معناهما حسب المصطلَح الدينى. ألف : القَدَر إنَّ لِوُجود كلّ مخلوقٍ من المخلوقات بحكم كونه من الموجودات الممكنة (أى موصوفاً بصفة الإمكان) حَدّاً معيناً، ومقداراً خاصّاً. فلوجود «الجماد» مثلاً حدّ خاص، ومقدار معيّن، ولوجود «النبات» و«الحيوان» مقدار وحَد آخر. وحيث إنّ الوجود المقدَّر لكلّ شىء هو بدوره مخلوق لله تعالى، لذا فإنّ من الطبيعى أن يكونَ التقديرُ والتحديدُ نفسه تقديراً إلَهياً. كما أنّ هذا التقديرَ من جهة كونه فِعلَ الله يسمّى «التقدير الفِعلى» ومن جهة كون الله يعلم به قبل خَلْقه يُسمّى «التقدير العِلمىّ».

---

۱ . أُصول الكافى ج ۱، ص ۱۵۸ .

(۱۰۴) وفى الحقيقة إن الإعتقاد بالقَدَر، اعتقادٌ بخالقية الله بلحاظ خصوصيات الأشياء. وحيث إنّ هذا التقدير الفعلىّ مُستندٌ إلى علم الله الأزلىّ، لهذا فإنَّ الاعتقاد بالقَدَر العِلمىّ يكون فى حقيقته إعتقاداً بعلم الله الأزلى. ب : تفسير القضاء إنّ «القضاء» كما أسلفنا يعنى الحَتمَ والجَزمَ بوجود الشىء، ومن المُسلَّم أنّ حتمية وجود أىّ شىء وتحقّقه على أساس العليّة والمعلولية رهن تحقّق علّته التامّة، وحيث إنّ سلسلة العلل والمعلولات (وبالأحرى النظام العِلّى) تنتهى إلى الله تعالى، لهذا فإنّ حتمية تحقّق أىّ شىءٍ يستند ـ فى الحقيقة

ـ إلى قدرةِ الله ومشيئته سبحانه. وهذا هو قضاءُ الله فى مقام الفعل والخَلق. وعلمُ اللهِ الأزَلىّ فى مجال هذه الحتميّة يكون قضاءَ الله الذاتىّ . كلُّ ما سَلَف يرتبط بقضاءِ الله وقَدَره التكوينيين، فعليّاً كان أم ذاتياً، وقد يكونُ «القضاء والقدر» مرتبطين بعالم التشريع ومجاله، بمعنى أنّ أصلَ التشريع، والتكليف الإلَهىّ يكون قضاءَ الله، وكذا تكون كيفيته وخصوصيّته كالوجوب، والحرمة، وغير ذلك تقديراً تشريعياً لله تعالى. وقد ذكّر الإمامُ أمير المؤمنين علىُ بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ فى جواب من سَأل عن حقيقة القضاء بهذه المرحلة من «القضاء والقدر» إذ قال: (۱۰۵) «الأمرُ بالطاعَة، والنَّهْىُ عَنِ المعصِيَة، والتَمْكِينُ مِن فِعْلِ الْحَسَنَة، وتركُ المَعْصِيَة، والمعُونَةُ على القُرْبةِ إلَيْه، والخِذْلانُ لِمَنْ عصاهُ، والوَعْدُ والوَعِيْدُ، والتَرْغِيْب والتَرْهِيْبُ كُلُّ ذلكَ قضاءُ الله فى أفعالنا وقَدَرُهُ لأعمالنا»(۱). هذا ولعل اقتصار الإمام أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فى الإجابةِ على سؤال السائل ـ على شرح «القضاء والقَدَر» التشريعيين، كان رعايةً لحال السائل، أوالحاضرين فى ذلك المجلس، لأنّه كان يُستنبطُ مِنَ القضاء والقدر التكوينيين وشمولهما لأفعال الإنسان فى ذلك اليوم الجَبْرُ وسلبُ الاختيار. ولهذا ختم الإمام ـ عليه السلام ـ كلامه المذكور بقوله: «أمّا غير ذلك فلا تَظُنَّهُ فَإنَّ الظّنَّ لَهُ مُحْبِطٌ لِلأعمال». والمقصود هو أنَّ قيمةَ الأعمال تنبُعُ من كونِ الإنسانِ مختاراً يأتى بأفعاله بإختيارِوإرادةٍ منه، ومع فَرضِ الجَبْرِ لا تبقى للأفعالِ أيَّةُ قيمةٍ. والحاصلُ أنّ «القَضاء والقدر» قَد يكونان فى مجال التكوين، وقد يكونان فى مجال التشريع. ولكلٍّ من القِسْمَيْن مرحلتان: ۱ ـ الذاتى (= العِلمى). ۲ ـ الفِعلى .

---

۱ . بحار الأنوار: ۵ | ۹۶، الحديث ۲۰ .

(۱۰۶) الأصل الخَمْسُون: لاتنافى بين القضاء والقدر والاختيار إنّ «القَضاء والقَدَر» فى مجال أفعال الإنسان لا ينافيان اختياره، وما يوصف به من حرّية الإرادة قط، لأنَّ التقديرَ الإلَهىَّ فى مجال الإنسان هو فاعليّتُهُ الخاصّة وهو كونه فاعلاً مختاراً مريداً، وأن يكون فعلُهُ وتركُهُ لأىّ عَمَلٍ تحت إختياره وبإرادته. إنّ القضاء الإلَهى فى مجال فعلِ الإنسان هو حتميَّتُهُ وتحقُّقهُ القطعىُّ بعد إختيار الإنسان له بإرادته. وبعبارةٍ أُخرى ؛ إنّ خلْقَةَ الإنْسان مجبولةٌ على الإختيار، ومزيجةٌ بحرّية الإرادة ومقدّرة بذلك، وإنّ القضاءَ الإلَهىَّ ليس إلاّ هذا، وهو أنَّ الإنسان متى ما أوْجَدَ أسباب وقوعِ فِعْلٍ مّا تمَّ التنفيذ الإلَهىّ من هذا الطريق. إنّ بعض الأشخاص يَعتَبر كونَه عاصياً، ظاهرة ناشئةً من التقدير الإلَهىّ، ويتصوَّر أنّه لا يقدر على اختيار طريق آخر غير ما يسلكهُ، فى حين يَرفُضُ العقلُ والوحىُ هذا التصوّرَ لأنّ العقلَ يقضى بأنَّ الإنسانَ هو الّذى يختار بنفسِهِ مصيرَه وهو كذلك فى نظر الشرع أيضاً، أى إنّه حَسْب نظرِ الوَحْيِ يقْدِر انْ يكون إنساناً شاكِراً صالحاً، أو كافراً طالِحاً. (إنّا هَدَيْناهُ السَّبيلَ إمّا شاكِراً وإمّا كَفُوراً)(۱).

---

۱ . الإنسان | ۳ .

(۱۰۷) وفى عصر الرّسالة كان ثمّت فريق من الوثنيّين يتصوّرون أنّ ضلالَهم ناشئٌ من المَشيئة الإلَهية. وكانوا يقولون: لَوْ لَمْ يُرِدِ اللهُ أن نكون مشركين لما كنا مشركين. إنّ القرآن الكريم يروى منطِقَهم وتصوُّرَهم هذا بقوله: (سَيَقولُ الّذين أشرَكُوا لو شاءَ الله ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمنا مِن شيءٍ)(۱). ثم يقول فى معرض الردّ عليهم: (كَذلِكَ كَذَّبَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتّى ذاقوا بأسَنا). وفى الختام نُذَكّر بأنّ سُنَنَ الله الكليّة فى عالم الخلق والتى تؤدّى إلى سعادةِ الإنسانِ تارةً، وإلى شقائه وخُسرانهِ تارة أُخرى، هى من مظاهر «القضاء والقَدَر» الإلَهيّين، وأنّ البشر هو الّذييختار أحد هذين بنفسه. وقد مرّت الإشارَةُ إلى أُمورٍ فى هذا المجال فى الأبحاث السابقة المتعلّقة بالإنسان وموقِعِهِ فى نظرةِ الإسلام إلى الحياة.

---

۱ . الأنعام | ۱۴۸ .

(۱۰۸)

الإنسانُ والإختيار

الإنسانُ والإختيار الأَصلُ الواحدُ والخمسون: الاختيار حقيقة مسلّمة إنّ اختيار الإنسان، وحريّة إرادته، حقيقة مسلّمةٌ وواضحةٌ، وفى مقدور كلّ أحَدٍ أن يُدركَه، ويقف عليه من طُرُقٍ مختلِفةٍ نشير إليها فيما يأتى: ألف : إنّ وجدان كُلّ شخص يشهَد بأنّه قادرٌ ـ فى قراراته ـ على أن يختارَ أحدَ الطرفين: الفعلَ أو التركَ، ولو أنّ أحداً تردّد فى هذا الإدراك البديهى وجب أن لا ـ يقبل أيَّة حقيقةٍ بديهيةٍ أيضاً. ب : إنَّ المدحَ والقدحَ للأشخاص المختلفين فى كلّ المجتمعات البشرية الدينيّة وغير الدينيّة، علامةٌ على أن المادحَ أو القادحَ اعتبر الممدوح، أو المقدوحَ فيه ، مختاراً فى فعلِه، وإلّا لَما كانَ المدحُ والقدح منطقياً، ولا مُبرَّراً. ج : إذا تَجاهَلنا اختيارَ الإنسان وحرّية إرادته، كان التشريعُ أمْراً لَغواً وغيرَ مفيد أيضاً، لأنّ الإنسانَ إذا كان مضطراً على سلوك دون اختياره، بحيث لا يمكنه تجاوزه، والخروجَ عنه، لم يكن للأمرِ والنهى والوَعد

(۱۰۹)

والوعيد، ولا الثواب والعقاب أيُّ مَعنى. د : نَحنُ نرى طوالَ التاريخ البشرى أشخاصاً أقدَموا على إصلاح الفردِ، أو المجتمع البشرى وبذَلوا جهوداً فى هذا السبيل فَحَصَدُوا على نتائجها وثمارها. إنّ مِنَ البَدِيهى أنّ تحقّق هذه النتائج لا يتناسب مع كون الإنسان مجبوراً، لأنّه مع هذا الفَرض تكونُ كلُ تلك الجهود لاغيةً وغيرَ منتجة. إنَّ هذه الشواهدَ الأربعةَ تؤكّدُ مبدأَ الاختيار، وحرية الإرادة، وتجعله حقيقة لا ـ تقبل الشك والترديد. على أنّنا يجب أن لا نستنتج من مبدأ حرية الإنسان وكونه مختاراً أن الإنسان متروكٌ لحالِه، وأن إرادته مطلقةُ العنان، وأنّه ليس لله أىّ تأثيرٍ فى فعله، لأنّ مثل هذه العقيدة التى تعنى التفويض تنافى أصل احتياج الإنسان الدائم إلى الله، كما أنّ ذلك يحدّد دائرةَ القُدرة والخالقية الإلَهيّتين، ويقيّدهما، بل حقيقةُ الأمر هى على النحو الذى سيأتى بيانهُ فى الأَصل التالى.

الأَصلُ الثانى والخَمسون: لاجبر ولاتفويض بل أمر بين أمرين بعد وَفاة النبىّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ طُرحَت مسائل خاصّة فى المجتمع الإسلامى منها مسألة كيفية صدورِ الفِعل من الإنسان . فقد ذَهَبَ فريق إلى اختيار عقيدةِ الجبر، وقالوا بأنَّ الإنسان فاعلٌ مجبور، مسيَّر. (۱۱۰) وفى المقابل ذَهَبَ فريقٌ آخر إلى اختيار نظرية مخالفة، وقالوا إنّ الإنسانَ كائن متروكٌ لحاله، مفوّضٌ إليه، وأنّ أفعاله لا تستند إلى الله مطلقاً. إنّ كلا الفريقين تصوّرا ـ فى الحقيقة ـ أنّ الفِعل إمّا أنّه يجب أن يستند إلى الإنسان، أو يستند إلى الله، أى إمّا أن تكون القدرة البشرية لوحدها هى المؤثرة، وإمّا أن تكون القدرةُ الإلَهيّة هى المؤثّرةُ، ليس إلّا. فى حين هناك طريق ثالث أرشدنا إليه الأئمة المعصومون. يقول الإمامُ جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ : «لا ـ جَبْرَ ولا تفويضَ، ولكن أمرٌ بَين الأمرين»(۱). يعنى أنّ فعل الإنسان فى حال كونه مستنداً إلى العبد، مستند إلى الله أيضاً، لأنّ الفعلَ صادرٌ مِن الفاعل، وفى نفس الوقت يكون الفاعلُ وقدرتهُ مخلوقين لله، فكيف يمكن أن ينقطع عن الله تعالى؟ إنّ طريقة أهل البيت: فى بيان حقيقة الفعل البشرىّ تتطابق تماماً مع ما جاء فى القرآن الكريم. فإنّ هذا الكتاب السماوى ربّما نَسَب فِعلاً ـ مع نِسبَتِه وإسناده إلى فاعله ـ إلى الله تعالى أيضاً، يعنى أنه يقبل كِلا ـ الإسنادين وكلتا النِسبتين، إذ يقول: (وما رَمَيْت إذ رَمَيْتَ ولكنَّ اللهَ رَمى)(۲). والمراد هو أنّ النبىَّ الأكرمَ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عندما قام بفعل لم يفعَلْه بنفسه، بل فَعَله بالقُدرةِ الإلَهيّة، وعلى هذا الأساس تصحّ كلتا النسبتين.

---

۱ . التوحيد للصدوق: الباب ۵۹ الحديث ۸ .

۲ . الانفال | ۱۷ .

(۱۱۱) الأَصلُ الثالثُ والخمسون: لاتنافى بين علم الله الأزلى وحرية الإنسان نحن مع إعتقادنا باختيار الإنسان، وحريّة إرادته، نعتقد انّ اللهَ كان عالماً بفعلنا من الأوّل، ولا منافاة بين العقيدتين، فإنّ على الذين لا يمكنُهم الجمعُ بين هذين الاعتقادين أنّ يعلموا بأنَّ عِلم الله الأزلىّ تعلَّقَ بصُدُور الفِعلِ مِن الإنسانِ على نحو الإختيار، ومِن الطبيعىّ أن لا يتَنافى مِثلُ هذا العلم مع حريّة الإنسان وكونهِ مختاراً.

وبعبارةٍ أخرى؛ إنّ العلم الإلَهيّ كما تعلّق بأصلِ صُدُور الفِعل مِنَ الإنسان تعلّقك ذلك بكيفيّةِ صُدُور الفِعل عنه (وهو اختيار الإنسان وانتخابه بنفسه). إنّ مثل هـذا العِلم الأزَليّ ليس فقط لا يتنافى مع اختيار الإنسانِ بل يُثبتُ ذلك، ويؤكّدُهُ، لأنّ الفعلَ إذا لم يصدُر من إختيار الإنسانِ لم يكن علمُ اللهِ آنذاك كاشفاً عن الواقع، لأنّ كاشفيّةَ العلم إنّما تكون إذا تحقّقت على النحو الّذى تعلّق بالشيء. ومن الطبيعيّ انّ العلمَ الإلَهيّ تعلّق بصدورِ الفِعل البشريِّ على النحو الاختياريّ، يعنى أن يقوم الإنسانُ بهذا العَمَل بصورةٍ حرّة وباختياره وإرادته، ففى هذه الصورة يجب أن يقع الفعل ويتحقّق بهذه الخصوصية، لا على نحو الجبر والإضطرار. مِن هذا البَيان اتّضَحَ عدمُ تنافى إرادة اللهِ الأزليّة مع اختيار الإنسان، وكونه حرّاً فى إرادته.

(۱۱۲)

الفصل الخامس :النبوّةُ العامّة

الأدِلَّةُ على ضرورةِ النُبوّةِ

الأدِلَّةُ على ضرورةِ النُبوّةِ

الأصلُ الرابعُ والخَمسون: بعث الرسل للهداية والإرشاد لقد اختار اللهُ الحكيم رجالاً صالحين لهدايةِ البَشَرِ وإرشادِهم، وحمّلهم رسالته إلى جميع أفراد النوع الإنسانى، وهؤلاء الرجال هُمُ الأنبياء والرُسل الذين بواسطتهم جَرى فيضُ الهداية من جانب الحق تعالى إلى عباده. وهذا الفيضُ المبارك بدأ بالنزول من جانب الله منذ أن تهيّأ البشرُ للاستفادة منه وإلى عصر النبى الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . ويجب أن نعلم بأنَّ دين كلّ نبيٍّ من الأنبياء يُعدّ بالنسبة إلى عصره وأُمّته أكملَ دين، وأتَمَّ شريعة، ولو أنّ هذا الفيض الربانى لم يستمرّ لما بلغ البشرُ إلى حدِّ الكمال. وحيث إنّ خَلقَ الإنسان هو من فعل الله «الحكيم» فلا بّد أن يكون له من هَدَف وغرض، ونظراً إلى أن تركيب الكيان البشرى ـ مضافاً إلى الغرائز التى هى مشتركة بينه وبين الحيوان ـ ينطوى على العَقل أيضاً، لهذا لابُدّ أنْ يكونَ لِخَلقه غرض عُقلائىٌ، وهَدَفٌ مَعْقولٌ. (۱۱۶) ومن جانب آخر، فإنّ عَقل الإنسان، وإنْ كان مؤثّراً ومفيداً فى سلوكه طريقَ الكمال، إلا أنّه غيرُ كاف لذلك. ولو اكتُفىَ فى هداية الإنسان بالعقل وحده لما عَرفَ الإنسان طريقَ الكمال بشكل كامل قط، ونذكر للمثال مسألة الوقوف على قضايا المبدأ والمعاد التى هى من أَهم مسائل الفكر البشرى، وقضاياه على مدار التاريخ. فإنّ البشر يريد أن يَعْلَم من أين جاء؟ ولماذا جاءَ؟ وإلى أين يذهب؟ ولكنّ العقلَ لا يقدر وحدَه على إعطاء الإجابات الصحيحة الكافية على كلّ هذه الأسئلة، ويشهد بذلك أنّه رغم كل ما أحرزته البشرية المعاصرة من التقدّم والرقىّ فى ميادين العلم لا يزالُ قِسمٌ عظيمٌ من البشريّة وثنيين. إنّ عجز العَقل والعلم البشريَّين، وقصورهما لا ينحصر فى مجال قضايا المبدأ والمعاد، بل الإنسان لم يتمكّن من أن يختار الطريقَ الصحيحَ فى كثير من مجالات الحياة أيضاً. إنّ اختلاف الرؤى والنظريات البشريّة فى قضايا الاقتصاد، والأخلاق، والعائلة، وغير ذلك من مناحى الحياة ومجالاتها، خير دليل على قصوره عن الإدراك الصحيح لهذه المسائل، ولهذا ظهرت المدارس المتعارضة. مع أخذ كلّ هذا بنظر الإعتبار يحكم العقلُ الصحيحُ بأنّه لابدّ ـ بمقتضى الحكمة الإلَهيّة ـ من بعث وإرسال قادة ربانيّين، ومربّين إلَهيّين،

(۱۱۷)

لِيعَلِّموا البَشّريّة النهجَ الصحيحَ للحياة. إنَّ الّذين يَتصوَّرون أنّ فى مقدور «الهدايات العقليّة» أنّ تحلَّ محلّ «الهدايات الإلَهيّة السّماويّة» يجب أن يدركوا أمرين: ۱ ـ إنّ العَقل والعلم البشريّين قاصران عن المعرفة الكاملة بالإنسان، وبمسيره فى صعيد الماضى والمستقبل، فى حين يعلم خالقُ البشر ـ بحكم كون كلّ صانع عارفاً بمصنوعه ـ بالإنسان، ومحيطٌ بأبعاده، وأسرار وجوده، إحاطةً كاملةً. ۲ ـ إنّ الإنسان بمقتضى غريزة حبّ الذات المودَعة فى كيانه، يحاول ـ عِلماً أو جهلاً ـ أن يُتابعَ منافِعَه الشخصيّة ويهتمّ بها، فيعجز ـ فى تخطيطه وبرمجته ـ عن الخروج من دائرة منافعه الفرديّة أو الجماعية بشكلٍ كامل. ولهذا من الطبيعى أن لا تتسم البرامج البشرية

بالجامعيّة والشمولية الكاملة، ولكن برامج الأنبياء والمرسلين لكونها من جانب الله العالم، المحيط، الحق، المنزّه، مبرّأةٌ عن مِثل هذه النقيصة. وبملاحظة هاتين النقطتين يمكن القولُ ـ على وَجه القطع واليقين ـ بأنّ البشر ليس فى غنىً قط عن الهدايات الإلَهيّة، وعن برامج الأنبياء، لا فى الماضى، ولا فى المستقبل إنما هو فى حاجةٍ مستمرةٍ إليها. (۱۱۸)

القرآنُ وأهداف النبوّة

القرآنُ وأهداف النبوّة

الأصلُ الخامسُ والخمسون: الهدف من بعثة الأنبياء تقوية الأُسس التوحيدية فى الأصل السابق تعرّفنا على الأدلّة الّتى تثبت من طريق العقل ضرورةَ النبوّة، ووُجوب إرسال الرسل الإلَهيّين. والآن ندرس ضرورة إرسال الرسل فى ضوء أهدافها المذكورة فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وإن كانت النظرةُ القرآنيّة إلى هذه المسألة هى نوع من التحليل العقلىّ فى حقيقته. إنّ القرآن يُلَخصّ أهدافَ بعثة الأنبياء فى الأُمور التالية: ۱ ـ تقوية أُسُسِ التوحيد ومكافحة كلّ نوع من أنواع الانحراف فى هذا الصعيد، كما يقول القرآن: (وَلَقَدْ بَعَثْنا فى كلّ أُمّةٍ رَسُولاً أنِ اعبُدُوا اللهَ واجتَنِبُوا الطّاغوتَ)(۱). يقول الإمام أمير المؤمنين علىٌ ـ عليه السلام ـ حول الهدف من بعث الأنبياء: «ليعلم العبادُ ربّهم إذ جهلوه، وليقرّوا به بعد إذ جحدوه، وليثبتوه

---

۱ . النحل | ۳۶ .

(۱۱۹)

بعد إذ أنكروه»(۱). ۲ ـ إيقاف الناس على المَعارف والرسالات الإلَهيّة وعلى طريق التزكية والتهذيب كما يقول: (هُوَ الّذى بَعَثَ فى الأُمّيين رَسُولاً مِنهُمْ يَتْلُوا عَلَيهِمْ آياتِهِ ويُزَكّيهِمْ ويُعَلّمُهُمُ الكِتابَ والحِكْمَةَ) (۲). ۳ ـ إقامة القِسط فى المجتمع البشرىّ، كما يقول: (لقد أرْسَلْنا رُسُلَنا بالبيّناتِ وأنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ والمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ)(۳). ومن المُسلَّم أن إقامة القِسط رهنُ معرفة الناس للعدالة فى جميع الأبعاد والمجالات، كما ويتوقف على أن يقوموا بتحقيق ذلك من طريق الحكومة الإلَهيّة. ۴ ـ الفَصل فى الخُصُومات وحَلّ الخلافات، كما يقول: (كانَ النّاسُ أُمّةً واحِدةً فَبَعثَ اللهُ النبيّينَ مُبَشّرينَ ومُنْذِرينَ وأنزلَ مَعَهُمُ الكِتابَ بِالحَقّ لِيَحكُمَ بينَ النّاسِ فِيما أخْتَلفُوا فيه)(۴). ومن البديهى أنّ اختلافات الناس لا تنحصر فى مجال العقائد، بل تشمل شتّى مجالات الحياة المتنوعة. ۵ ـ إتمام الحجّة على العباد كما يقول: (رُسُلاً مُبَشّرينَ وُمنْذِرينَ لئلاّ يَكُونَ لِلنّاس عَلَى اللهِ حُجّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وكانَ اللهُ عَزيزاً حَكيماً)(۵).

---

۱ . نهج البلاغة، الخطبة ۱۴۷ .

۲. الجمعة | ۲ .

۳ . الحديد | ۲۵ .

۴. البقرة | ۲۱۳ .

۵ . النساء | ۱۶۵ .

(۱۲۰) ومن المسلَّم أن لله تعالى فى خلق الإنسان هدفاً وغرضاً، وهذا الهدف إنّما يتحقّق عن طريق تنظيم برنامجٍ كامِلٍ لجميع شؤون البشر . وهذا البرنامج يجب أن يصل إلى البشرية، بحيث تَتُمُّ حُجّةُ الله على الناس ولا يبقى عذرٌ لأحدٍ ليقول: أنا لم أعرفِ البرنامجَ الصحيح للحياة. (۱۲۱)

طُرُق معرفةِ الأنبياءِ

طُرُق معرفةِ الاَنبياءِ

الاَصلُ السادِسُ والخَمْسُون إنّ فطرةَ البَشر تقضى بأن لا يَقْبَلَ الإنسانُ أىّ ادّعاءٍ من غير دليل، ومن قَبِل شيئاً أو زعماً من دون دليل، فإنّه يكون قد خالف فطرته الإنسانية. إنّ ادّعاءَ النبوّة أعظمُ ادّعاءٍ يمكن أن يطرحه فردٌ من أفراد البشر، ومن البديهى أن زعماً وادعاءً فى مثل هذه العظمة يجب أن يستند إلى برهان قاطع، ويُقرَنَ بالدليل الساطع. ويمكن أن تكون الاَدِلّة فى هذا المجال أحد أُمورٍ ثلاثة: ألف: أن يصرّح النبىُ السابقُ الذى ثبتت نبوّتُه بالاَدلّة القاطعة، على نبوة النبى اللاحِق كما صَرّح السيدُ المسيح ـ عليه السلام ـ بنبوة النبى محمد خاتم الاَنبياء ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبشّر بمجيئه. ب: أنْ تشهَد القرائنُ والشواهد المختلفة على صِدقِ دعواه. وهذه الشواهد والقرائن يمكن تحصيلُها من سيرته فى حياته، وفى محتوى دعوته، ومن الشخصيات التى آمنت به، وانضوت تحت لوائه، وكذا فى طريقة دعوته، وأُسلوبه فى العمل لنشر مبادئه، وتبليغها. (۱۲۲) وهذه الطريقة هى التى يُستفاد منها فى المحاكم فى العالم اليوم لتمييز الحق عن الباطل، والبرىء عن المجرم. وقد استفاد كثيرون مِن هذه الطريقة ذاتها للتأكّد من صِدق رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وصحّة دعواه النبوة فى صدر الإسلام. ج : الإتيان بالمعجزة، يعنى أن يُقرِنَ مدّعى النبوة دعواه، بعملٍ خارقٍ للعادة ويتحدّى به الآخرين، ويكونَ ذلك العمل للخارق مطابقاً لدعواه. إنّ الطريقين الاَوّليْن ليسا عامّين فى حين يكون الطريق الثالث عامّاً، وقد استفادت البشريةُ على طول التاريخ من هذا الطريق لمعرفة الاَنبياء والإيمان بدعوتهم وكان الاَنبياء بدورهم يُقرنون دعواهم للنبوة بذلك، ويستفيدون من هذا الطريق (الثالث). الاَصلُ السابعُ والخمسون: العلاقة المنطقية بين دعوى النبوّة والمعجزة إنّ بَينَ المعجزة وبين صدق دعوى النُبوّة علاقةً منطقيّةً، لاَنّه إذا كان الآتى بالمعجزة صادقاً فى دعواه فإنّ من الطبيعىّ أنْ يُثْبِتَ مطلبَهُ. وإذا كان كاذباً فى دعواه النبوة ـ افتراضاً ـ لم يكن لائقاً بالله الحكيم الذى يَهتَمّ بهداية عبادِهِ أن يُمكّنَ الكاذبَ فى ادّعاء النبوّة من الإتيان بالمعجزة، لاَنّ الناس سَيُؤمنون به إذا رأوا قدرته على الإتيان بالعَمَل الخارق للعادة، وسيَعملون بأقوالِهِ فيكونُ ذلِك إضلالاً للناس إذا كان المُدّعى للنبوّة كاذباً، ولا شكّ أنّ هذا يتنافى مع عَدلِ الله وحكمته. وهذه من إحدى فروع قاعدة الحسن والقبح العَقليين التى تمّ بحثها سابقاً. (۱۲۳) الاَصلُ الثامنُ والخمسون: الفرق بين المعجزة والكرامة إنّ الإتيان بالعَمَل الخارق للعادة الذى يقترن مع دعوى النبوة، ويتّفق مع الادّعاء، يسمى «معجزة». وأمّا إذا صدر العملُ الخارقُ للعادة من عبدٍ للهِ صالحٍ لم يَدَّعِ النبوّةَ سُمِّيَ «كرامة». وممّا يشهد بأنّ عباد الله الصالحين من غير الاَنبياء قادرون أيضاً على الإتيان بالاَعمال الخارقة للعادة، نزول مائدة سماويّة على السيدة مريم أُم النبى السيد المسيح ـ عليه السلام ـ وانتقال عرش بلقيس ملكة سبأ فى سرعة خاطفة من اليمن إلى فلسطين على يد فردٍ بارزٍ من أنصار النبى سليمان (آصف بن برخيا) وقد أخبرَ القرآنُ الكريم بكلا الحَدَثين إذ قال فى شأن مريم: (كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَريّا المِحْرابَ وَجَد عِنْدَها رِزْقاً)(۱). وقال حول حادثة عرش بلقيس أيضاً: (وقالَ الّذى عِنْدَهُ علْمٌ مِنَ الكِتابِ أَنا آتِيكَ بِهِ قبْلَ أنْ يرتَدَّ إلَيْكَ طرفُك)(۲). الاَصلُ التاسعُ والخمسون: الفرق بين المعجزة والسِحر إن الفَرق بين المعجزة وبين غيرها من الاَعمال الخارقة يتلخّص فى الاُمور التالية:

---

۱ . آل عمران | ۳۷ .

۲ . النمل | ۴۰ .

(۱۲۴) ألف: عَدَمُ التعلّم فى المعجزة: فإنّ الآتى بالمعجزة يقوم بالإتيان بالمعجزة من دون سَبْق تعلّم، فى حين يتم الإتيان بالاَعمال الخارقة الاُخرى نتيجة سلسلة من التعليمات والتمرينات. فالنبىّ موسى ـ عليه السلام ـ بعد أن انقضت فترةُ شبابه ذَهَب إلى مصر، وفى أثناء الطريق خوطب أن ياموسى ألقِ عصاك فإذا العَصا تتحول إلى ثعبان عظيم، بحيث استوحَشَ موسى لذلك.(۱).

وخُوطب أن أدخِل يَدَك فى جَيبك، ولمّا أخرجها فإذا هى تضيئ إضاءةً قويةً، تخلب الاَبصار(۲). ب : عدم إمكان معارضةِ المعجزة: فإنّ المعجزة لكونها تنبُع من قدرة الله المطلقة لا يمكن معارضتها والإتيان بمثلها قط، على حين يمكن معارضة السِحر والشعوذة، وما شابههما ممّا يفعلُه المرتاضون بمثلها لكونها تنشأ من قدرة البشر المحدودة المتناهية. ج : التحدّى: إنّ الآتى بالمعجزة يتحدّى الآخرين

بمعجزته أى يدعوهم إلى معارضته ومقابلته بمثله، فى حين لا يفعل السَحَرة والمرتاضون ذلك، لِإمكانِ معارضتهم، ومقابلتهم بمثل ما يأتون به. د : عدم المحدوديـة: فإنّ معاجزَ الأنبياء ليست محدودة بنوعٍ أو نوعين بل هى متنوّعة بحيث لا يمكن الإشارة إلى جامع مشتَرك بينها.

---

١ . لاحظ القصص | ٣١ .

٢ . لاحظ القصص | ٣٢ .

(١٢٥) فمثلاً أينَ إلقاء العصا وانقلابُهُ إلى حَيّةٍ، وإدخال اليد فى الجَيب وإخراجها بيضاءَ تنير؟ وكذا أين هاتَين المعجزتين وأين إنباعُ الماء، واستخراجه من صخرة بضربةٍ من عصا لا غير؟ كما وأين هذه المعاجز الثلاث وأين تجفيف البحر، وفتح ممراتٍ يابسةٍ عظيمةٍ فى قاعِهِ بضربةٍ من عصا على الحجر أيضاً ؟ إنّنا نقرأ: انّ عيسى ـ عليه السلام ـ صنع من الطين كهيئة الطير، ثم نَفَخَ فيها الروح فصارت طيوراً حيَّة بإذنِ الله. كما نقرأ انّه ـ عليه السلام ـ كان بالمسح بيده على وجوه العميان وأجساد المصابين بالبرص يمنحهم الشفاء، بل ويُحيى الموتى، وينبئ عَمّا ادَّخره الناسُ فى بيوتهم إلى غير ذلك من المعاجز العديدة. هـ : وأساساً إنّ الذين يأتون بالمعجزة والكرامة يمتازون عن السَحَرة الذين يأتون بالخوارق من الأعمال من حيث الهَدَف وكذا من حيث النَفْسِيّات. فالفريقُ الأوَّل يهدفون إلى غايات سامية، وأغراض قيّمة، بينما يهدف الفريق الثانى إلى أهدافٍ دنيويّة. ومن الطبيعى أن يختلف الفريقان على أساس ذلك فى النفسيات.

الوحى والنبوة

الوحى والنبوة الأصلُ الستّون: صلة النبى بعالم الغيب فى الأصل السابق أوْضَحنا طُرُقَ التعرّفِ على النبىّ الواقعىّ وتمييزه عن مدّعى النبوة كذِباً. والآن يجب أنْ ندرسَ طريقَ إتصال النَبِى بعالم الغيب ونعنى «الوحى». إنّ «الوحىَ» الذى هو أهَمُّ طريقٍ من طُرُق إتّصال الأنبياء بعالم الغيب ليس ناشئاً عن الغريزة أو العقل بل هو علم خاص يفيضُ به اللهُ تعالى على الأنبياء خاصّة، ليبَلّغُوا الرسالاتِ الإلَهيّة إلى البشر. إنّ القرآنَ يصفُ الوحىَ قائلاً: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ * على قَلْبِكَ)(١). إنّ هذه الآية تفيد أنّ معرفةَ الأنبياء بالرّسالات الإلَهيّة ليست نابعةً وناشئةً من استخدام أشياء كالحواسّ الظاهريّة وما شابه ذلك، بل ينزل به مَلَك الوحىِ على قلب النبى.

---

١ . الشعراء | ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(١٢٧) وعلى هذا الأساس لا يمكن تحليل حقيقة الوحى المعقّدة وتفسيرها بالمقاييس العادية. وفى الحقيقة إنّ نزول الوَحْى هو أحدُ مظاهر الغيب الّتى يجبُ الإيمانُ بها وإنْ لم تتضَح لنا حقيقةُ هذه الظاهرة كما يقول: (الّذيْنَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ)(١). الأصلُ الواحدُ والستّون: الوحى ليس وليد نبوغ الأنبياء وتفكّرهم الخاص إنّ الّذين يريدونَ مقايسة كلّ شىء، وتفسيرها بالمقاييس الماديّة والأدوات الحِسيّة، ويريدون صَبَّ الحقائق الغيبيّة فى قوالب حِسّية يفسرون ظاهرة «الوحى» بصور مختلفة، جميعها باطلة فى نظرنا، وفيما يأتى نقدُ هذه التفسيرات والتحليلات فى عدة نقاط: ألف: ثمت فريق يعتبر الأنبياء من نوابغ البشر، ويعتبرون الوحى حصيلة التفكير، ونتيجةً لفعاليات حواسّهم الباطنية. إنّ حقيقة «الروح الأمين» فى تصور هذا الفريق هى روحُ هؤلاء النوابغ الزكية، ونفوسُهم الصافية النقية، وإنّ الكتب السماويّة كذلك ليست سوى أفكارهم السامية وتصوّراتهم الراقية. إنّ هذا النوع من التفسير والتحليل لظاهرة الوحى ليس سوى الانبهار بالعِلم التجريبىّ الجديد الذى يعتمد الأساليب الحسيّة ـ لا غير ـ

---

١ . البقرة | ٢ .

(١٢٨)

وسيلةً لتفسير كلِّ حقائقِ الوجودِ. إنّ المشكلة الهامّة في هذه النَظَريّة هي منافاتُها لما قاله الأنبياء والرُسُلُ الإلَهيّون. فالأنبياء والرُسُل يصرّحون ويعلنُون باستمرار بأنّ ما أتوا به إلى البشر ليس إلاّ الوحي الإلَهيّ. وعلى هذا الأساس يكون التفسيرُ السالفُ للوحي مستلزماً لتكذيب الأنبياء، وهذا ممّا لا يليقُ بمقام الأنبياء الرفيع ومنزلتهم المرموقة، وصدقهم، وصلاحهم الذي أخبر بها التاريخُ الثابتُ. وبعبارةٍ أُخرى: إنّ المصلِحين على نوعين: مصلحون يَنسبون برامجَهم إلى الله، ومصلحون آخرون يَنسبُون برامجهم إلى أنفسهم، ويَطْرحونها على المجتمع على أنّها وليدةُ عقولِهم، وأفكارهم. وقد تكون كلتا الطائفتين مخلِصتين، تتسمان بالإخلاص والخير. وعلى هذا لا يمكن عد هذين الصنفين من رِجالِ الإصلاحِ صنفاً واحداً. ب : ثمّت فريقٌ آخرُ يعتبر الوحيَ ـ منطلقاً من نفسِ الدافعِ الذي ذُكر في النظرية المتقدّمة ـ نتيجةَ تجَلّي الحالات الرُّوحِيّة في النبي. إنّ النبيَّ ـ حسب زَعْم هذا الفريق ـ بِسبَبِ إيمانه القويّ باللهِ، وفي

ضوءِ عبادَتهِ الكثيرة للهِ يصل إلى درجة يجدُ في ذاتهِ طائفةً من الحقائق العالية ويتصوّر أنّ هذه الحقائق أُفيضت وأُلقيت إليه من عالم الغيب فيما لا ـ يكون لِما توصل إليه من الحقائق المذكورة من منشأٍ سوى نفسه ذاته ليس إلاّ ـ إنّ أصحاب هذه النظرية يقولون: نحن لانشُكُ مطلقاً في صدق الأنبياء بل نعتقد بأنّهم شاهدُوا حقائق عاليةً، ولكنّ الكلامَ هو في منشأ هذه الحقائق العالية. فالأنبياء يتصوّرون أنّ منشأ هذه الحقائق هو عالم الغيب، الخارج عن هذا العالم المادي، أي أنّ هذه الحقائق قد أُلقيتْ إليهِم من ذلك العالَم، على حين يكون منشأ ذلك أنفسهم، لا غير. إنّ هذه النظريةَ ليست كلاماً جديداً بل هي في الحقيقة طرحٌ مجدَّدٌ لأحدى النظريّات التي كانت مطروحةً في العَهد الجاهليّ حول الوحي ولكن في لباسٍ جديدٍ. وحاصلُ هذه النظريةَ هو أنّ الوحيَ ما هو الاّ حصيلة تخيُّلات الأنبياءِ، ورجوعهم إلى بواطنهم وتعمّقهم في نفوسهم، وأنّهم بسبب كثرة ا لتفكّر في الله، وعبادته، والتفكّر في إصلاح أُممهم، وأقوامهم تمثّلت هذه الحقائق دفعة أمام عيونهم، فَظَنُّوا أنّها أُلقِيَت إليهم مِن عالَم الغيب.(۱) وهذا هو ـ بشكلٍ من الأشكال وبنحومّا ـ نفسُ تصوُّر الجاهليّين

---

۱ . السيد محمد رشيد رضا، الوحي المحمّدي ص ۶۶.

حول الوحي إذ قالوا: (أَضْغاثُ أحْلام)(۱). إنّ القُرآنَ الكريم ردَّ على هذه النظريةَ بشدّةٍ وأكَّدَ على أنّ النبيَّ صَدقَ في ادّعائهِ رؤيةَ مَلَكِ الوَحي، فهو لم يخطأ لا في قلبهِ ولا في بصره إذ يقول: (ما كَذَبَ الفُؤادُ مارأى)(۲). ويقول: (ما زاغَ البَصَرُ وَما طغى)(۳). وهذا يعني أنّ النبي رأى حقاً (مَلَك الوحي) بعين الرأس وبعين القلب، بعين الظاهِر وبعين الباطن.

---

۱ . الأنبياء | ۵ .

۲ و ۳. النجم | ۱۱ و ۱۷ .

عصمة الأنبياء

عصمة الأنبياء

الأصلُ الثاني والستّون: مراتب عصمة الأنبياء العِصمة تعني المصُونيّة ولها في باب النبوّة مراتب هي: ألف: العصمة في مرحلة تلقّي الوحي وإبلاغه. ب : العصمة عن المعصية والذنب. ج : العصمة عن الخطأ في الأُمور الفردية والاجتماعية. وعصمة الأنبياء في المرحلة الأُولى موضعُ اتفاق الجميع، لأنّ احتمالَ الخطأ والإلتباس في هذه المرحلة يؤثر على وثوق الناس، واطمئنانِهم، ويوجب أن لا يعتمدَ الناسُ على إخبارات النبي وأقواله، فينتقضُ هدفُ النبوّةِ في المآل. هذا مضافاً إلى أنّ القرآن الكريم يصرّح بأنّ الله يحفظُ نبيَّه،

ويصونهُ صيانةً كاملةً حتى يبلّغ الوحىَ الاِلَهىَّ بصورةٍ صحيحةٍ كما قال: (عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدا * لِيَعْلَمَ أن قَد أَبْلَغُوا رِسالات رَبّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا

(۱۳۲)

لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَىءٍ عَدَدا)(۱). ففى هذه الآية ذكَرَ القرآن الكريم نوعين من الحَفَظَة لصيانة الوحى: ألف: الملائكة الذين يحيطون بالنبىّ من كلّ ناحيةٍ وجانبٍ. ب : انّ الله تعالى نفسه يحيط بالملائكة والنبىّ . وهذه النظارة الشديدة والمراقَبَة الكاملة انّما هى لتحقيق غرض النبوّة، وهو إيصال الوحى الاِلَهىّ إلى البشر. الاَصلُ الثالثُ والستُّون: عصمة الاَنبياء من كل معصية وذنب إنّ أنبياء الله ورُسُلَه معصومون من الذنب والزلل، فى مجال العمل بأحكام الشريعةِ، عصمةً مطلقةً. لاَنّ الهدف من بعثة الاَنبياء إنّما يتحقّق أساساً إذا تمتّع الاَنبياء والرُسُل بمثل هذه العصمة، لاَنّهم إذا لم يلتزموا بالاَحكام الاِلَهيّة التى كُلِّفُوا بإبلاغها إلى الناس، انتفى الوثوق بكلامهم، فلم يتحقّق الغرضُ المنشودُ من بعثِهم، وإرسالهم. ولقد أشارَ المحققُ الطوسىُّ إلى هذا البرهان بعبارةٍ موجَزَة حيث قال: «ويجب فى النبىّ العصمةُ ليحصلَ الوثوقُ فيحصل الغرضُ»(۲).

---

۱ . الجن | ۲۶ ـ ۲۸ .

۲ . كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد ۲۱۷ .

(۱۳۳) إنّ عصمة الاَنبياء عن المعصية أمر قد أكّده القرآنُ الكريمُ فى آيات مختلفة نورد هنا بعضها: ألف: إنّ القرآن الكريم يعتبر الاَنبياءَ أشخاصاً مهدِيّين ومختارين من قِبل الله تعالى إذ قال: (وَاجْتَبَيْناهُمْ وَهَدَيْناهُمْ إلى صِراطٍ مُسْتَقيم)(۱). ب : إنَّ القرآنَ الكريمَ يذكِّر بأنّ الذى يهديه الله لا يقدر أحد على إضلاله إذ يقول: (وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ)(۲). ج : يعتبر المعصية ضَلالاً إذ يقول: (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً)(۳). فيستفاد من مجموعة هذه الآيات أنّ الاَنبياء معصومون من كلّ أنواع الضلال، ومصونون من كل ألوان المعصية. إنّ البُرهانَ العَقلىّ الذى أقمناه فيما سبق على عِصمة الاَنبياء يدلّ على عصمتهم قبل البعثة أيضاً، لاَنّ الاِنسان الذى صَرَفَ رَدْحاً من عمره فى الذنب والمعصية، ثم حَمَلَ لواءَ الهداية والاِرشاد لم يتمكّن من الحصول على ثقة النّاس به، وسكونهم إلى أقواله، بخلاف من عاش قَبلَ بعثته نقىَّ الجيب، طاهِرَ الذَيل، فإنّه قادرٌ على جَلب ثقة الناس، وكسب تأييدهم له. هذا مضافاً إلى أنّ فى مقدور معارضى الرسالة، أن يغتالوا بسهولة

---

۱ . الاَنعام | ۸۷ .

۲ . الزمر | ۳۷ .

۳ . يس | ۶۲ .

(۱۳۴) شخصيّة الرسول، ويطعنوا فيه بالتلويح بسوابقه قبلَ النبوة، ويحطُّوا ـ بذلك ـ من شأنه، وشأن رسالته. إنّ الذى استطاع ـ بفضل ـ العيش بطهر ونقاء، فى بيئةٍ فاسدةٍ أن يكتسب لقب «محمد الاَمين» هو الشخص الوحيد الذى يستطيع بشخصيّتهِ الساطعة النقيّة، أن يُبدّد حُجُب الدعايات المضادة، ويفنّد مزاعم أعدائه، ومعارضى رسالته، ويضىء باستقامته العجيبة، البيئةَ الجاهليةَ المظلمة تدريجاً. هذا مضافاً إلى أنّ من البديهى أنّ الاِنسان الذى كان معصوماً من بداية حياته، أفضلُ من الذى تحلّى بصفة العصمة منذ أن صار نَبيّاً، كما أنّ تأثيرَه، ودوره الاِرشادىّ لا ريب يكون أقوى، والحكمة الاِلَهيّة تقتضى اختيار الفَردِ الاَحسن الاَكمل. الاَصلُ الرابعُ والستُّون: عصمة الاَنبياء عن الخطأ والزلل إنَّ الاَنبياء ـ مضافاً إلى كونهم معصومين من الذَّنْب ـ معصومون كذلك فى الاُمور التالية: ألف : فى القضاء فى المنازعات والفصل فى الخصومات. والنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وإنْ كان مأموراً بالقضاء على وفق البيّنة واليمين، لكنّه فى صورة خطأ البيّنة أو كذب الحالف واقف على الحق المرّ، وإنْ لم يكن مأموراً بالقضاء على طبقه. (۱۳۵) ب : فى تشخيص

موضوعات الاَحكام الشرعية (مثل انّ المائع الفلانىّ هل هو خمرٌ أم لا؟). ج : فى القضايا اليوميّة العاديّة . إنّ لزوم وصف النبىّ بالعصمة فى الموارد المذكورة نابعٌ من أنّ الخطأ فى مثل هذه المجالات ملازمٌ للخطأ فى مجال الاَحكام الدينيّة، وبالتالى فإنّ الخطأ فى هذه الاُمور والمجالات يَضُرُّ بثقةِ النّاس بشخص النبىّ، ويُوجب فى المآل تَعَرُّضَ الغَرَض المنشُود للخَطَر، وان كان لُزوم العصمة فى الصورتين الاُولَيين، أوضح من العصمة فى الصورة الاَخيرة. الاَصلُ الخامسُ والستُّون: الاَنبياء مبرَّأون عن الاَمراض المنفّرة إنّ من مراتب العصمة هى أن لا تكون فى وجود الاَنبياء أُمور توجب تنفّر الناس وابتعادهم عنهم. فكلُّنا يعلم بأنّ بعضَ الاَمراض والعاهات الجسمية، أو بعض الخصال الروحيّة، التى تنم عن دناءة الطبع، وخِسّة النفس توجب تنفّرَ النّاسِ وابتعادهم عنه. ولهذا فإنّ على الاَنبياء أنّ يكونوا مُنَزَّهين عن العيوب الجسمية والروحيّة، لاَنّ تَنَفّرَ الناس من النبى، واجتنابَهم عنه ينافى الهدف من بعثهم، وهو إبلاغ الرسالات الاِلَهيّة بواسطة الاَنبياء إلى الناس. كما أنّنا نُذَكِّرُ بأنَّ المراد من حكمِ العقل فى هذا المجال هو الكشف

(۱۳۶)

عن حقيقة، هى أنّ على الله ـ لكونه حكيماً ـ أنّ يختارَ للنبوّة من يكون عارياً ومنزَّهاً عن مِثل هذه العيوب.(۱) الاَصلُ السادسُ والستُّون: دراسة الآيات الدالة على عدم العصمة لقد عرفنا بِحُكمِ العقل القطعىّ، وقضاء القرآنِ الصَريح عصمة الاَنبياء، ولكن ثمّة فى هذا الصعيد بضع آيات تحكى ـ فى بدو النظر ـ عن صُدُور الذنب والمعصية عنهم (مثل الآيات الواردة حول النبى آدم وغيره) فما هو الحلّ فى هذه الآيات؟ فى البداية يجب أنّ نقول: إنّ من المُسَلَّم أنّه حيث لا تناقض فى القرآن الكريم أبداً، وجب أنْ نهتدى فى ضوءِ القرائن الموجودة فى نفس الآيات إلى المراد الحقيقى فيها.

---

۱ . إنّ حكمَ العقل فى هذا المجال حكمٌ قَطعىٌّ، ولهذا فإنّ بعضَ الروايات التى وَرَدت حول النبى أيوب وهى تحكى عن ابتلائه بأمراض منفِّرة، مضافاً إلى كونها مخالفةً للحكمِ القَطعىِّ للعقل تنافى الرواياتِ المعارضة التى وَرَدَت عن أهل البيت فى هذا المجال.
فقد قال الاِمامُ الصادق ـ عليه السلام ـ : «إنَّ أيوب مع جميع ما ابتُلى به لم تنتنْ له رائحةٌ، ولا قَبُحَتْ له صورةٌ، ولا خرجَتْ منه مَدّةٌ من دَمٍ، ولا قيحٍ، ولا استَقْذرَهُ أحَدٌ رآه، ولا استوحش منه أحدٌ شاهدَه ولادوّد شيءٌ من جَسَدِه، وهكذا يصنعُ الله عزّ وجلّ بجميع من يبتليه من أنبيائه، وأوليائه المكرَّمين عليه، وإنما اجتَنَبَهُ الناسُ لِفَقره، وضَعْفِهِ فى ظاهِرِ أمرِه، لجَهْلهم بما لَهُ عند ربّه تعالى ذكْرُهُ، من التأييد والفَرَج».
(الخصال ج ۱، أبواب السبعة، الحديث ۱۰۷) ولهذا فإنّ الروايةَ المخالفةَ لهذا الموضوع، لا أساس لها من الصحة فهى مرفوضة. (۱۳۷) ففى هذه الموارد لا يمكن أن يكونَ الظهور الاِبتدائىّ هو الملاك للحكم المُتسَرِّع. ومن حُسن الحَظّ أنَّ كبار مفَسّرى الشيعة ومتكلّميهم قاموا بدراسة هذه الآيات القرآنية، بل وأقدم بعضهم على تأليف كتب مستقلة فى هذا المجال. وحيث إنّ معالَجة هذه الآيات واحدة واحدةً لا تحتملُها هذه الرسالةُ فإنّنا نحيل القرّاء الكرام إلى الكتب المذكورة فى الهامش(۱). الاَصلُ السابعُ والستُّون: منشأ العصمة وسببها يمكن انّ نلَخّص منشأ العصمة وسببها فى أمرين: ألف : إنّ الاَنبياء حيث إنّهم يتمتعون بمعرفةٍ واسعةٍ بالله سبحانه، لا يَستبدلون رضاه تعالى بشيءٍ مطلقاً. وبِعبارةٍ أُخرى ؛ انّ إدراكهم العميق للعظمة الاِلَهيّة وللجمالِ والكمال الاِلَهيّين يمنعهم من التوجّه إلى أىّ شيءٍ غير الحقّ تعالى، والتفكير فى أىّ شىء غير الله سبحانه. إنّ هذه المرتَبَة والدَّرَجة من المعرفة هى التى قال عنها الاِمامُ أميرُ المؤمنين علىُ بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ : «ما رَأَيتُ شَيئاً إلّا وَرَأَيْتُ الله قبْلَهُ، وبَعْدَهُ

---

۱ . تنزيه الاَنبياء للسيد المرتضى، وعصمة الاَنبياء للفخر الرازى، ومفاهيم القرآن لجعفر السبحانى ج۵ فصل عصمة الاَنبياء.

(۱۳۸)

ومَعَهُ»(۱). وقال عنها الاِمام الصادقُ ـ عليه السلام ـ : «وَلكنّى أعْبُدُهُ حُبّاً لَهُ فتلكَ عِبادةُ الكِرام»(۲). ب : إنّ اطّلاع الاَنبياء الكامل على

نتائج الطاعة وثمارها، وعلى آثار المعصية وتبعاتها السَيئة، هو سبب صيانتهم عن مخالفة الاَمر الاِلَهىّ. على أنّ العصمة المطلقة مختصّة بثلّة خاصّة من أولياء الله، إلاّ أنّ فى إمكان بعض المؤمنين الاَتقياء أنْ يكونوا معصومين عن ارتكاب المعصية فى قسم عظيم من أفعالهم، فالفَرد المتّقى مثلاً، لا يُقدم على الاِنتحار، أو قتل الاَبرياء أبداً(۳). بل وحتّى بعضُ الاَشخاص العاديّين يتمتعون بالعصمة عن بعض الذنوب، وللمثال لا يُقدمُ أىُّ شخص على لمس سلك كهربائى فعّال تجنباً من الصَعق بالتيار الكهربائى. ومن البَيّن أنّ العصمة فى هذه الموارد ناشئ من العِلم القطعىّ بآثار عمله السيئة، فإذا كان مثل هذا العِلم حاصلاً للشخص فى مجال تبعات الذنوب الخطيرة جداً أيضاً، كان ذلك موجباً حتماً لصيانة الشخص عن المعصية.

---

۱ . بحار الاَنوار ۷۰ | ۲۲ .

۲ . المصدر السابق: ۷۰ | ۱۸ ضمن الحديث ۹ .

۳ . قالَ الاِمامُ علىُ بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ عن هذا الفريق: «هُم والجَنّةُ كَمَنْ قَدْ رآها فَهُمْ فيها مُنَعَّمون، وَهُمْ والنّارُ كَمَنْ قد رَآها فَهُمْ فيها مُعَذَّبُون» نهج البلاغة، الخطبة رقم ۱۹۳ الموجّهة إلى همّام.

(۱۳۹) الاَصلُ الثامنُ والسِتّون: لاتنافى بين العصمة والاختيار نَظَراً لمَنشأ العصمة نُذَكّر بأنّ العصمة لا تنافى إختيار المعصوم، وكونه حرّاً فى إرادته، بل إنّ الشخصَ المعصومَ مع مَعرفته الكاملة بالله، وبآثار الطاعة والمعصية ونتائجهما، يمكنه أنّ يرتكب المعصية وإنْ لم يستخدم هذه القدرة، مثل الوالد الحنون الذى يقدر على قتل ابنه، ولكنّه لا يفعل ذلك أبَداً. وأوضحُ من ذلك هو عدمُ صدور القبيح من الله تعالى، فإنَّ الله القادرَ المطلَق يمكنه أن يُدخلَ الصالحين المطيعين فى جهنم، أو يُدخِل العاصِين فى الجنة، إلاّ أنّ عدلَه وحكمته يمنعان من القيام بمثل هذا العمل. ومِن هذا البيان يتضح أَنَّ تركَ المعصية والتزام الطاعة، والعبادة، يُعتبران مفخرة كبرى للاَنبياء، لاَنّهم مع كونهم قادرين على ترك الطاعة، وفعل المعصية، لا يفعلون ذلك اختياراً، وبإرادةٍ منهم. الاَصلُ التاسعُ والستُّون: العصمة لاتلازم النبوّة نحن مع اعتقادنا بعصمة جميع الاَنبياء لا نرى أنّ العصمة تلازم النبوّة، أى أنّنا لا نرى أنّ كلَ معصومٍ هو نبىٌّ بالضرورةِ، وإنْ كان كلّ نبىٍّ معصوماً بالضرورة، فربّ إنسان معصومٌ ولكنّه ليس بِنبىّ، فها هو القرآنُ الكريم يقول حول السيدة مريم: (يا مَرْيَمُ إنّ اللهَ اصْطفاكِ وَطَهَّرَكِ واصْطَفاكِ

(۱۴۰)

عَلى نِساءِ العالَمِين)(۱). إنّ استخدامَ القرآن الكريم للفظة «الاصطفاء» فى شأن السيّدة مريم ـ عليها السلام ـ يَدلُّ على عِصمتها لاَنّ نفسَ هذه اللَّفظة «الاِصطفاء» استخدمت فى شأن الاَنبياء سلامُ الله عليهم أيضاً: (إنّ الله اصْطَفى آدمَ ونُوحاً وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمرانَ عَلى العالَمِين)(۲). هذا مضافاً إلى أنّ الآية قد تحدَّثتْ حول طهارة السيدة مريم ـ عليها السلام ـ، والمقصود هو طهارتها من أىّ نوع من أنواع الرجْس، والمعصية، وليست هذه الطهارة والبراءة هو براءتها من الذنب الذى رَمَتْها اليهودُ به فى مجال ولادة عيسى منها من دون والدٍ، لاَنّ تبرئة مريم من هذه المعصية ثبتت فى الاَيّام الاُولى لولادة عيسى ـ عليه السلام ـ بتكلُّمه(۳) فلم تعُدْ حاجة إلى بيان ذلك مجدّداً. إضف إلى ذلك أنّ الآية تتحدّث عن مريم قبل ان تحمل بالمسيح، حيث جاء حديث حملها له عبر هذه الآية فلاحظ.

---

۱ . آل عمران | ۴۲ .

۲ . آل عمران | ۳۳ .

۳ . «فَأشارَتْ إليه...» مريم | ۲۹ .

الفصل السادس النُبوّةُ الخاصَّة

الأصلُ السبعون: طرق إثبات النبوّة الخاصّة

الأصلُ السبعون: طرق إثبات النبوّة الخاصّة تحدَّثْنا فى الفصل السابق حول النبوّة بصورةٍ عامةٍ، وفى هذا الفصل نتحدَّث حول نبوّةِ رسولِ الإسلام «محمد بن عبد الله» ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خاصّةً، وقبل ذلك نُذكّرُ بأنَّ النبوّة يمكن أنّ تثبت لشخصٍ بثلاثة طرق: ألف : الإتيان بالمعجزة مقروناً بادّعاء النبوّة. ب : جمع القرائن والشواهد التى تشهد بصدق دعواه. ج : تصديق النبى السابق. إنّ نبوّة رسولِ الإسلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يمكن أن تثبت بجميع الطُرُق الثلاثة المذكورة، وها نحن نذكرها بصورة مختصرة:

(۱۴۴)

القرآنُ أو المعجزةُ الخالدةُ

القرآنُ أو المعجزةُ الخالدةُ إنّ التاريخَ القاطعَ الثابتَ يشهد بأنّ رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قَرَنَ دعوَته بالإتيان بمعاجز عديدة مختلفة، إلاّ أنّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يؤكّد ـ من بين هذه المعاجز ـ على واحدة منها، وهى فى الحقيقة معجزته الخالدة، ألا وهى «القرآن الكريم». فإنّ نبىّ الإسلام أعلن عن نبوّته ورسالته بالإتيان بهذا الكتاب السَّماوىّ، وتحدّى الناسَ به، ودعاهم إلى الإتيان بمثله إن استطاعوا، ولكن لم يستطع أحدٌ ـ رغم هذا التحدِّى القرآنىّ القاطع ـ أنْ يأتى بمثله فى عَصر النبوّة. واليوم وبعد مرور القرون العديدة لا ـ يزال القرآنُ يتحدّى الجميع ويقول: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ على أنْ يَأْتوا بِمِثْلِ هذَا القرآنِ لا يَأتونَ بَمثلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لبعضٍ ظهيراً)(۱). وفى موضع آخر يقول ـ وهو يقنع بأقلّ من ذلك ـ : (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْر سُوَرٍ مِثلِهِ مُفْتَرَياتٍ)(۲) (فَأْتُوا بِسُورةٍ مِنْ مِثْلِهِ)(۳). إنّنا نعلمُ أنّ أعداء الإسلام لم يألوا جُهداً طيلة (۱۵) قرناً من بدء ظهور الإسلام من توجيه الضربات إليه، ولم يفتروا عن محاولة إلحاق

---

۱ . الإسراء | ۸۸ .

۲ . هود | ۱۳ .

۳ . البقرة | ۲۳ .

(۱۴۵)

الضرر بهذا الدين، والكيد له بمختلف ألوانِ الكيد، وحتى أنّهم استخدموا سلاح اتّهام رسولِ الإسلام بالسّحرِ، والجنون، وما شابه ذلك، ولكنّهم لم يَستطيعوا قطّ مقابلةَ القرآن الكريم، ومعارضته فقد عجزوا عن الإتيانِ حتى بآية قصيرة مثل آياته. والعالمُ اليوم مجهَّزٌ كذلك بكل أنواع الأفكار والآلات، ولكنّه عاجز عن مجابهة هذا التحدّى القرآنىّ القاطع، وهذا هو دليلٌ على أنّ القرآنَ الكريمَ فوق كلام البشر.

الأصلُ الواحدُ والسبعون: الإعجاز الأدبى للقرآن كانت لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ معاجزُ مختلفة ومتعدّدة دُوّنَتْ فى كُتُب التاريخ والحديث، ولكنّ المعجزة الخالدة التى تَتَلألأُ من بين تلك المعاجز فى جميع العُصُور والدهور هو القرآن الكريم، والسرُّ فى اختصاص رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بمثل هذه المعجزة من بين جميع الأنبياء، هو أنَّ دينه دينٌ خاتِمٌ، وشريعَتهُ شريعةٌ خاتمةٌ وخالدةٌ، والدينُ الخالدُ والشريعة الخاتمة بحاجة إلى معجزةٍ خالدةٍ لتكون برهانَ الرسالة القاطع لكلِ عصرٍ وجيلٍ، ولتستطيع البشرية فى جميع القرون والدُّهور أنْ ترجع إليه مباشرةً من دون حاجةٍ إلى شهاداتِ الآخرين وأقوالهم. إنّ القرآنَ الكريم يتّسمُ بصفة الإعجاز مِن عدة جهات، يحتاج البحث فيها بتفصيلٍ، إلى مجالٍ واسعٍ لا يناسب نطاق هذه الرسالة، ولكنّنا نشير إليها على نحو الإيجاز: (۱۴۶) فى عصر نزول القرآن الكريم كان أوّلُ ما سَحَر عيونَ العرب، وحيّر أرباب البلاغة والفصاحة منهم جمالُ كلمات

القرآن، وعجيبُ تركيبه، وتفوّقُ بيانه، الذى يُعبَّر عن ذلك كله بالفصاحةِ والبلاغة. إنّ هذه الخصُوصيةَ كانت بارزةً ومشهودةً للعرب يومذاك بصورةٍ كاملةٍ، ومن هنا كان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بتلاوة آيات الكتاب، مرةً بعد أُخرى، وبدعوته المكرّرة إلى مقابلته والإتيان بمثله إن استطاعوا ـ يدفع عمالقةَ اللغة والأدب، وأبطال الشعر وروّاده، إلى الخضوع أمام القرآن، والرضوخ لعظمة الإسلام، والاعتراف بكون الكلام القرآنىّ فوق كلام البشر. فها هو «الوليد بن المغيرة» أحد كبار الشعراء والبلغاء فى قريش يقول ـ بعد انْ سمع آياتٍ من القرآنِ الكريم تلاها عليه رسولُ الإسلام، وطُلب منه أنْ يبدى رأيه فيها ـ: «وَوالله إنّ لِقَوله الّذى يقولُ لَحلاوةً، وإنّ عليه لَطَلاوةً، وإنّه لَمُثْمِرٌ أعلاهُ، مُغدِقٌ أَسْفَلُهُ، وإنّه لَيَعْلُو وما يُعلى»(۱). وليس «الوليدُ بن المغيرة» هو الشخص الوحيدُ الذى يحنى رأسه إجلالاً ـ لجمال القرآن الظاهرى، ولجلاله المعنوى، بل ثمة بلغاء غيره من العرب مثل: «عتبة بن ربيعة» و «الطفيل بن عمرو» أَبدَوا كذلك عجزَهم تجاه القرآن، واعترَفُوا بإعجاز القرآن الأدَبى. على أنّ العَرَب الجاهليين نَظَراً لِتَدَنّى مستوى ثقافتهم لم يُدرِكوا من القرآن الكريم إلاّ هذا الجانبَ، ولكن عندما أشرقت شمسُ الإسلام على

---

۱ . مستدرك الحاكم ۲ | ۵۰ .

(۱۴۷)

رُبع الكرة الأرضية، وعَرَفَتْ به جماعاتٌ بشريةٌ أُخرى اندفعَ المفكّرون إلى التدبّر فى آيات هذا الكتاب العظيم، ووقفوا مضافاً إلى فصاحَته وبلاغته، وجمال أُسلوبه، وتعبيره، على جوانب أُخرى من القرآنِ الكريم والتى يكون كلُ واحدة منها بصورة مستقلّة خيرَ شاهدٍ على انتمائه إلى العالم القدسىّ، ونشأتهِ من المبدأ الأعلى للكون. وهكذا تنكشف فى كلّ عَصر جوانب غير متناهية لهذا الكتاب العظيم.

الأصلُ الثانى والسَّبعون: المجالات الأُخرى للإعجاز القرآنى لقد بَيّنّا فى الأصلِ السابقِ إعجاز القرآن من الناحية الأدبية، باختصار، والآن نريد أن نستعرض المجالات الأُخرى للإعجاز القرآنىّ بصورة مختصرة. إذا كان الإعجاز القرآنىُ من الناحية الأدبية قابلاً للدَرك والفهم عند طائفة خاصّة لها إلمامٌ كافٍ بالأدب العربى، فإنّ الجوانبَ الأُخرى من الإعجاز القرآنى ولحسن الحظ مفهومة لآخرين. ألف : إنّ الآتى بالقرآن الكريم كان شخصاً أُميّاً لم يدرُس، ولم يَتلقَّ تعليماً قبل النبوة، فلا هو دخل مدرسة أو كَتّاباً، ولا هو تلمَّذ على أحد، أو قَرَأَ كتاباً كما قال: (ما كُنْتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إذاً لارْتابَ المُبْطِلُونَ)(۱).

---

۱ . العنكبوت | ۴۸ .

(۱۴۸) إنّ نبىَّ الإسلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تلا هذه الآية على قوم كانوا يعرفون حياتَه وتفاصيلها، تمام المعرفة، فإذا كان له سابقة تحصيل وتعلّم لكذّبوا ادّعاءَهُ هذا. وأمّا اتّهام البعض إيّاه بأنه (يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ)(۱) فهى تهمة لا ـ أساس لها مثل سائر التهم الأُخرى، كما يقول: (لسانُ الّذى يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِيْنٌ)(۲). ب : لقد تُلى القرآنُ الكريم على الناسِ طيلةَ ثلاثٍ وعشرينَ سنة وفى ظروف مختلفة (فى الصلح والحرب، فى السفر والحضر ، و...) بواسطة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتقتضى طبيعة هذا النمط من التحدُّث والتكلّم أن يقع فى كلام المتكلّم نوعٌ من الاختلاف والتعدُّديّة فى الأُسلوب والخصُوصيّات البيّانية فلطالما يقع المؤلّفون الذين يُؤَلِّفُونَ كُتُبَهُمْ فى ظُروفٍ عاديّةٍ متماثِلةٍ ـ رغم مراعاة قواعد التأليف والكتابة، وأُصولِها ـ فى الإختلاف والإضطراب فى الكلام، فكيف بالذى يُلقى كلاماً بالتدريج، وفى أوضاع متباينة وأحوال مختلفة تتراوح بين الشدّة والرخاء، والحزن والفرح، والقتال والسلام، والأمن والخطر؟! إنّ المُلفت للنظر هو أنّ رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تَحدَّث حول موضوعات مختلفة ومتنوعة، بدءاً بالإلَهيّات ومروراً بالتاريخ ، والتشريع، والأخلاق،

---

۱ . النحل | ۱۰۳ .

۲ . النحل | ۱۰۳ .

(۱۴۹)

والطبيعة، والإنسان، وانتهاء بالحياة الأُخرى، وفى نفس الوقت تمتّع كلامه هذا من بدئه إلى ختمه بأعلى نوع من الانسجام، والتناغم، من حيث الاسلوب، والمحتوى. يقول القرآن نفسُهُ عن هذا الجانب من الإعجاز: (أفَلا يَتَدبَّرُون القرآنَ ولو كانَ مِنْ عِند غيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيهِ اختلافاً كثيراً)(۱). ج : إنّ القرآنَ الكريمَ جعل الفطرةَ الإنسانيةَ الثابتةَ نُصب عَينيه وشرّع على أساسها قانونَه، فكانت نتيجةُ هذه الرؤية الأساسيّة أنْ أخَذَ فى نظر الإعتبار جميع أبعاد الروح والحياة الإنسانية، وذكّر بالأُصول والأُسس الكلية التى لا تقبَلُ الزوال والاندثار. فمن خصائص القوانين الإسلامية الكليَّة هو أنَّ هذه القوانين قابلةٌ للتطبيق فى جميع الظروف المختلفة والبيئات المتنوعة ويوم كان المسلمون يسيطرون على مساحة جدُّ كبيرة من العالم، كانوا يديرون المجتمعات البشرية قروناً عديدة فى ظلّ هذه القوانين والتشريعات بقوّة، ونجاح. يقول الإمام محمّد الباقر ـ عليه السلام ـ : «إنَّ اللهَ لَمْ يَدَع شَيئاً تَحْتاجُ إلَيهِ الأُمَّةُ إلاّ أنْزَلَهُ فى كتابِهِ، وَبَيَّنَهُ لِرَسُولِهِ وجَعَلَ لِكُلّ شىءٍ حَدَّاً، وَجَعَلَ عَلَيْهِ دَلِيلاً»(۲).

---

۱ . النساء | ۸۲ .

۲ . الكافى: ۱ | ۵۹ .

(۱۵۰)

الأصلُ الثالثُ والسبعون: الإعجاز القرآنى فى مجال أسرار الكون وأخبار المستقبل د : إنّ القرآن الكريم بيّن فى آيات مختلفة ومتعدّدة وفى مناسبات متنوّعة أسرارَ عالَم الخلق التى لم يَكُنْ لدى البَشَر أىُّ عِلم، ولا إلمام بها. ولا شكَّ أنَّ الكشف عن هذه الأسرار لشخصٍ لم يتلقَّ تعليماً، ولم يدرس، وذلك فى مجتمع جاهلىّ لا يعرف شيئاً أصلاً، لا يمكن إلاّ عن طريق الوحى. إنّ الكشف عن قانون الجاذبية الذى يفسَّر على أساسِه قيامُ صرح الكون يُعَدّ من مفاخر العِلم الحديث. ولقد كَشَفَ القرآنُ الكريمُ القناعَ عن هذا القانونِ فى عبارةٍ قصيرةٍ إذ قال: (اللهُ الَّذى رَفَعَ السَّمواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ترونَها)(۱). إنّ الكَشْفَ عن قانون الزوجية العامّة هو الآخر يُعدّ من مكتسَبات العِلم الحديث، وقد تحدّث عنه القرآنُ الكريمُ فى عَصرٍ لم يكنِ البشرُ يعرف عنه أىَّ شىء مطلقاً إذ قال: (وَمن كُلّ شَىءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْن لَعَلّكُمْ تَذَكَّرُون)(۲). هذا وثمّت نماذج أُخرى فى هذا المجال جاء ذكرُها فى كتب التفسير والعقيدة، أو دوائر المعارف.

---

۱ . الرعد | ۲ .

۲ . الذاريات | ۴۹ .

(۱۵۱) هـ : إنّ القرآنَ الكريم أخبر عن طائفة من الحوادث والوقائع المستقبلية إخباراً قطعيّاً، وقد وقعت تلك الوقائع والحوادث فيما بعد بصورةٍ دقيقةٍ، ولهذا النمط من الإخبارات نماذج عديدة، وكثيرة إلاّ أنّنا نشير إلى واحدة منها هنا على سبيل المثال: يَوم غَلَبَ الساسانيون عُبّادُ النار على الرُّوم الموحّدين تفاءَلَ المشركونَ العرب بهذا الحَدَث وقالوا سننتصر نحن على موحّدى الجزيرة العربية (المسلمين) أيضاً، وعند ذاك أخبر القرآنُ الكريمُ بانتصار الرُّوم على الفُرس: (غُلِبَتِ الرُّوْمُ * فى أدْنى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِى بِضْعِ سِنِيْنَ لله الأَمرُ مِن قبلُ ومِن بَعْدُ ويَوْمَئِذٍ يَفرَحُ المؤمنونَ)(۱). ولم تمض بضع سنوات إلاّ وتحقّقت النبوءةُ المذكورة، وانتصر كلا الفريقين المؤمنين (الرّوم المسيحيّون ومسلمو الجزيرة العربية) على أعدائهم (الساسانيين ومشركى قريش). ولهذه الناحية تحدّثَ القرآن فى ذيل الآية عن سرور المؤمنين إذ قال: (يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ). لأنّ كلا الانتصارين حدثا فى وقتٍ واحدٍ. و : إنّ القرآنَ الكريمَ تَحدَّثَ عن حياة الأنبياء وأُممهم السابقة فى سورٍ مختلفةٍ بتعابيرَ مختلفةٍ.

---

۱ . الروم | ۲ ـ ۴ .

(۱۵۲) إنّ هـذه الوقـائع وَرَدَت كـذلك فى كتـاب العَهـدين (التوراة والإنجيل) أيضاً، ولكن إذا ما قيست تلك مع ما وَرَدَ فى القرآنِ الكريم اتّضح أن القرآن الكريم من الوحى الإلَهىّ برمَّته، وأنّ ما جاء فى العهـدين لم يسلم من تحريف المحرّفين. ففى روايةِ القرآن لقصـص الأنبياء لا يوجَد أىُّ موضوع يخالف العقلَ، والفطرة، ولا يناسب مقام الأنبياء، فى حين تزخر الرِوايات والقصص الموجودة فى كتاب العهدين بهذه العيوب والنواقص. وفى هذا الصعيد يكفى إجراء مقارنة بين القرآن والعهدين فى قصة آدم.

الأصلُ الرابع والسبعون :القرائن والشواهد على نبُوّة النبى ـ صـلى الله عليه وآله وسلم ـ إنّ جمع القرائن والشَّواهد ـ كما أسلفنا ـ يمكن أنْ تكون من الطُرُق الكفيلـة بإثبات صـدق دعوى الأنبياء، وها نحن نشـير باختصار إلى القرائن الدّالة على صـحَّة دعوى النبىّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسـلم ـ : ألف : النبىُّ الأـكرم وسوابقُهُ المشـرِقةُ: كـانت قريش تسـمّى رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ قبل ابتعاثه بالرسالـة «محمـد الأمين» وتودع عنـده أماناتِها الثمينـة، وتسـتأمنه على أشـيائها القيّمـة. وعندما حصل خلافٌ بين أربعة قبائل فى وضع «الحَجَرِ الأسودِ» فى موضعه بعد تجديد بناء الكعبة، رضى الجميعُ بأن يقومَ عزيزُ قريش

(۱۵۳)

أى رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ بهـذه المهمّـة لكونه رجلاً صادقاً أميناً.(۱) ب : النَقاء من تلوّث البيئـة الاجتماعية: لقد نشأ رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ وترعرع فى بيئةٍ لم يكن فيها إلّا الخمر والميسر ووأد البنات، وإقبارهن أحياءً، و إلّا أكل الميتة والظلم والغارة، ومع ذلك ورغم نشوئه وترعرعه فى مثل هـذه البيئة، كان إنساناً نقىّ الجيب، طاهِرَ السُّلوك، لم يُوصف بأى شـىء من الصـفات الرَّذيلـة، ومن دونِ أن يتلوَّث بأيّةِ لوثةٍ عقيديّة، وفكريّةٍ. ج : محتوى الدعوة الإسـلامية: عندما نُلقى نظرةً فاحصة على محتوى دعوةِ النبى الأكرم محمّد ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ نراها تدعو الناس بالضبط إلى مخالفةِ كلّ ما كان رائجاً فى تلك البيئة، ورفضه رفضاً مطلقاً. إنّهم كانوا يعبـدون الأوثان وقـد دعاهم إلى التوحيد، ورَفض الأوثان. إنّهم كانوا يُنكرون المعادَ، وقد دعاهُم إلى الإيمان به، واعتبره شـرطاً من شـروط الإسلام. وكانوا يئدون البنات ويقبرونهنّ وهنّ أحياء، ولم يكن للمرأة أيّة قيمة، ولكنّه أعاد إليها كرامتها الإنسانيّة، ومنزلتها اللائقة بها، كأفضل ما يكون.

---

۱ . السيرة النبويّة لابن هشام ، ج ۱، ص ۲۰۹ .

(۱۵۴) د : أدوات الدعوة ووسائلها : إنّ الأدوات والوسائل التى اسـتخدمها النبىُّ، لِنشـر دعوته، واسـتعان بها لِنشـر دينه، كانت إنسانيةً وأخلاقية تماماً. فهو ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ لم يسـتخدم أبداً الأساليبَ اللا إنسانية كقطع الماء على خصومه، أو تسميمه وتلويثه، أو قطع الأشـجار وما شابه ذلك من الأساليب اللا إنسانيـة(۱). بـل وأوصـى بأن لا يُلحَق الأذى بالنساء والأطفال والعجائز وكبار السن، وان لا تُقطَع الأشـجار، وان لا يُشـرع فى قتال العدوّ قبل الدعوة إلى الإسـلام وإتمام الحجة عليه. إنّ الإسلام يرفض رفضاً قاطعاً المنطق المكيـافيلى القائل: «بأنّ الغايـة تبرّر الوسـيلة» وكمثال رَفَضَ اقتراح أحـد اليهود لإخضاع العـدوّ فى وقعـة خيبر عن طريق إلقاء السم فى الماء. إنّ حياة رسول الإسـلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ زاخرة بقصص التعامل الإنسانى النبيل مع الأعداء . هـ : شخصيّةُ المؤمنين به وخصالُهم: إنّ دراسـة أفكار المؤمنين بالنبىّ، والمنضوين تحت لوائه، وأحوالهم وشخصـياتهم يمكن أن توضـح مـدى صـدقه وصـحة دعواه.

---

۱ . راجع الكتب التاريخية فى هذا المجال.

(۱۵۵) فإنّ من البـديهىّ أن الـدعوة إذا تأثّر بها الشخصـياتُ المتميزة فى المجتمع فانضووا تحت رايتها، واعتنقوها بصدق وإخلاص،

كان ذلك آيـة صدقها وصـحتها ودليلاً على حقّانيتها، وواقعيّتها. ولكن إذا التفَّ حولَه طلاّب الدنيا، وعُبّادُ المال والشـهوة، كان ذلك دليلاً على ضـعف ادّعائه. لقـد كان بين المنضوين تحت لواء رسول الاِسـلام شخصـيات عظيمة فى غاية النُبل والفَضـيلة كالاِمام علىّ ـ عليه السـلام ـ وكسـلمان، وعمّار، وبلال، ومصـعب، وابن مسـعود، والمقداد، وأبى ذر وغيرهم ممّن شـهد لهم التاريخُ بالطهر والصفاء، وسموّ الشخصية، ونزاهة الاَخلاق. و : التأثيرُ الاِيجابى فى البيئة الاجتماعية، وتأسيسُ حضارة عظيمة: إنّ رسول الاِسلام استطاع فى مدة لا تتجاوز ثلاثاً وعشـرين سـنة أنْ يغيّر وضعَ الجزيرة العربيـة تغييراً جوهرياً. لقد اسـتطاع أنْ يصـنع من قُطّاع طُرُق، وسَـلاّبين، أشخاصـاً أُمناء، ومن عُبّاد أوثان وأصـنام، موحّـدين بارزين، لم يَصـنَعوا حضارةً عظيمـة فى محلّ سـكونتهم فقط بل مـدّوا حضارتهم الاِسـلامية الرائعة الفريدة، إلى مناطق أُخرى من العالم، كذلك. فها هو جعفر بن أبى طالب ـ عليه السـلام ـ من مسـلمى صَدر الاِسلام يؤكّد على هذه النقطة عندما قال فى معرَض الاِجابة على سؤال النجاشـىّ الذى سأله عن أحوال النبىّ الكريم ـ صـلى الله عليه وآله وسلم ـ : (۱۵۶) « أيّهـا المَلِـك ؛ إنّ الله بَعَث إلينـا رَسولاً ـ مِنّا فَـدعانا إلى الله لِنوَحّـدَه ونعبـدَه، ونخلعَ ماكنّا نعبُـدُ نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والاَوثـان، وأمَرَنا بصـدقِ الحـديث... وأمَرَنا بالصـلاةِ، والزكاة وصـلة الرَحم، وحُسن الجوار، ونهانا عن الفواحِش، وقولِ الزُّور»(۱). إنّ هذه القرائن، ونظائرها، يمكن أنْ تقودَنا إلى صدقِ قول رسول الاِسـلام وحقانيّة هدفه.. إنّ من المحتم أنّ رجلاً بهذه الخصوصيّات لا يرتكب الكـذِبَ أبـداً، وفى النتيجـة يجب أن يُقـال: إنّه كـان صادقـاً فى ادّعائه النبوّة، وارتباطه بعالم الغيب كما تؤيّـد القرائنُ الاُخرى بالذات هذا الموضوع أيضاً.

الاَصلُ الخامسُ والسـبعون: تصـديقُ النبىّ السابق إنّ تصديقَ النبىّ السابق للنبىّ اللاحقِ هو أحد الطرق لاِثبات دعوى النبوة وذلك لاَنّ الفرض هو أنّ نبوة النبىّ السابق قـد ثبتت بالاَدلّـة القاطعـة، ولهذا من الطبيعى أن يكون كلامُه سـنداً قاطعاً للنبوّة اللاحقة، ويُسـتفادُ من بعض الآيـات القرآنيّـة أنَّ أهـلَ الكتـاب كـانوا يعرفـون رسول الاِسـلام كمـا يعرفون أبنـاءهم، يعنى أنّهم قرأوا علائـم نبوَّته فى كتبهم السَّماويـة، وقـد ادّعى رسولُ الاِسـلام هـذا الاَمر، ولم يكـذّبه أحدٌ منهم أيضاً، كما يقول: (الّذيْنَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أبناءَهم وإنَّ فريقاً منهم

---

۱ . السيرة النبويّة لابن هشام ج ۱، ص ۳۵۹ ـ ۳۶۰ .

(۱۵۷)

لَيَكتمونَ الحقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(۱). إنّ رسولَ الاِسـلام ادّعى أنّ السيد المسيحَ عيسى ابنَ مريم ـ عليه السلام ـ بشّر به، وانّه يأتى من بعده نبىٌّ اسـمُه «أحمد»: (ومُبَشّراً بِرَسُولٍ يأتى مِنْ بَعدِى اسْمُهُ أحْمَدْ)(۲). كمـا وأنَّ من الطريف أنْ نَعلمَ أنّ الاِنجيل رغم تعرُّضه للتحريف منذ قرون قد جاءَ فى إحدى نُسَـخِهِ وهو إنجيل يوحنا (الاِصحاح ۱۴، ۱۵، ۱۶) تَنَبُّؤٌ بمجىء شخصٍ بعد السيد المسيح يُدعى «فارقليطا» (أى محمد ـ بالسريانيّة) يمكن للمحقّقين الرجوع إلى ذلك، للوقوف على الحقيقة.(۳)

الاُصلُ السادسُ والسَبعون: معاجز أُخرى للرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ غير القرآن إنّ معاجز رسولِ الاِسلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ـ كما أسلفنا ـ لا ـ تنحصر فى القرآن الكريم، بل إنّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان ربما قام بإتيان بعض المعجزات فى مناسباتٍ مختلفة بهدف إقناع الناس. وفى هذا الصعيد يجب التذكيرُ بأن ثمّت محاسبةً عقليّةً تثبت أساساً وجودَ معاجزَ لرسولِ الاِسلام عدا القرآنِ الكريم.

---

۱ . البقرة | ۱۴۶ .

۲ . الصف | ۶ .

۳ . وقد دُوّنت كتبٌ تجمع بشاراتِ العهدين بمجىَ رسول الاِسلام، وتبحث حولها وللمثال راجع فى الصدد كتاب «أنيس الاَعلام».

(۱۵۸) فالنبيُّ الاَكرمُ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تحدّث عن (۹) معاجز للنبيّ موسى ـ عليه السلام ـ(۱) وعن (۵) معاجز للنبى عيسى ـ عليه السلام ـ كذلك(۲). فهل يمكن أنْ نقبل بأنْ يكون رسولُ الاِسلام أعلى وأفضل من الاَنبياء السابقين، وخاتمهم، وأنّه أثبتَ معاجز عديدة للاَنبياءالسابقين، ومع ذلك لا تكون له إلاّ معجزة واحدة؟ترى أما كانَ الناسُ ـ وهم يَسمعون بصُدُور كل تلك المعجزات عن الاَنبياء السابقين ـ يتمنّون صدورَ معاجز مختلفة ومتنوّعة على يد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، ولا يكتفون برؤية معجزةٍ واحدةٍ فقط؟؟! وكيف لا تكون لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ معاجز سوى «القرآن الكريم» وهذا هو القرآنُ نفسُه يثبت صدور معاجز متعددة على يد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نشير إليها فيما يأتى: ألف : شَقّ القَمَر : عندما اشترط المشركون إيمانهم برسول اللهِ ودعوته بشقّ القَمَر نصفين، قام النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بذلك بإذن الله تعالى، كما يقول القرآن الكريم: (اِقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ * وإنْ يَرَوْا آيَةً يُعرضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسَتمِرٌّ)(۳). إنّ ذيلَ هذه الآية شاهدٌ واضحٌ على أنّ المقصود من الآية ليس هو

---

۱ . انظر سورة الاِسراء | ۱۰۱ .

۲ . انظر آل عمران | ۴۹ .

۳ . القمر | ۱ ـ ۲ .

(۱۵۹)

انشقاق القمر فى يوم القيامة بل يرتبط بعصر النبيّ الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ب : المعراج: إنّ عروجَ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى ليلة واحدةٍ من المسجد الحرام فى مكة المكرَّمة إلى المسجد الاَقصى فى فلسطين، ومنه إلى السَّماء، وقد تمّت هذه الرحلة الفضائيّة العظيمة فى مُدّةٍ قصيرةٍ جداً، يُعتَبرُ هو الآخر من معاجز رسول الاِسلام التى ذُكِرتْ فى القرآن الكريم.(۱) على أنّ قُدرة الله أقوى وأسمى من أن تحول العواملُ الماديةُ والطبيعيةُ دون تحقّق معراج نبيه الكريم إلى العالَم الاَعلى، ووقوعه. ج : مباهلته مع أهل الكتاب: لقد قام رسول الاِسلام ـ بهدف ـ إثبات حقّانيّته، وصدق دعوته بدعوة طائفة من أهل الكتاب إلى «المباهلة» وقال: (فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ ما جاءَك مِنَ العِلْمِ فقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أبناءَنا وأَبْناءَكُمْ ونِساءَنا وَنِساءَكُمْ وأنفُسَنا وأنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الكاذِبين)(۲). ومن المُسَلَّم أنّ المباهَلة تنتهى بفناء أحد الفريقين المتباهِلَيْن، ولكنّ النبيَّ مع ذلك أعلن عن استعداده لذلك، فكانت النتيجةُ أنَّ أهلَ الكتاب لمّا شاهَدوا قاطعيّة النبى، وثباته العجيب، وكيف أنّه أتى بأعزّ أقربائِهِ إلى ساحة «المباهَلَة» من غير خوفٍ أو تهيّبٍ، انسحَبُوا، وقبلوا شرائط النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولقد قلنا عند الحديث عن الاِخبار بالغَيب أن السيدَ المسيحَ ـ عليه السلام ـ كان

---

۱ . انظر الاِسراء | ۱، والنجم | ۷ ـ ۱۸ .

۲ . آل عمران | ۶۱ .

(۱۶۰)

يخبر عن الغيب(۱) وقد أخبر النبيُّ الاَكرمُ محمدّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن الغيب عن طريقِ الوحى كذلك، ومن إخباراته: الاِخبار بغَلَبة الروم على الفرس(۲) وبفتح مكة(۳). إنّ هذه المعاجز هى التى ذَكَرها القرآن الكريم، وأمّا ما ذكرهُ المؤرّخون والمحدّثون المسلمون من معاجز أُخرى لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيفوق ما جاء ذكرُه فى القرآنِ الكريم، وهى وإنْ لم تكن ـ فى الاَغلب ـ متواترة إلاّ أنّه يتمتع مجموعُها بتواترٍ إجمالي.

---

۱ . انظر آل عمران | ۴۹ .

۲ . انظر الروم | ۲ .

۳ . انظر الفتح | ۲۷ .

خصائصُ نُبُوّةِ رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وآله

خصائصُ نُبُوّةِ رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

إنّ لِدَعوةِ النبيّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خصائصَ أهمُّها أربعةُ أُمور، نذكرها في ثلاثةِ أُصول:

الأصلُ السابعُ والسبعون: عالميةُ دعوةِ النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ورسالته إنّ دعوةَ النبيّ الأكرم ونبوَّتَه ورسالَتَهُ، عالميةٌ، ولا تختصُّ بقوم دون قوم، ومنطقةٍ دون أُخرى. كما قال تعالى: (وَما أرْسلْناكَ إلاّكآفّةً للنّاسِ بَشِيراً وَنَذِيْراً)(۱). ويقول أيضاً: (وَما أرْسَلْناكَ إلاّ رَحْمَةً لِلعالَمِين)(۲). من هنا نرى كيفَ أنّه كانَ يستفيدُ في دعوته من لفظةِ (النّاس) وقال : (يا أيُّها النّاسُ قَد جاءَكُمُ الرَّسُولُ بالحقّ مِن رَبّكُمْ فآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ)(۳).

---

۱ . سبأ | ۲۸ .

۲ . الأنبياء | ۱۰۷ .

۳ . النساء | ۱۷۰ .

(۱۶۲) نعم عندما بدأَ النبيُّ الأكرمُ دعوَته كان طبيعيّاً أنْ ينذِرَ قومَه في المرحلةِ الأُولى، ويوجّه خِطابه إلى قومِهِ لينذرَ قوماً لم يُنذَرُوا مِن قَبل: (لِتُنْذِرَ قوماً ما أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ)(۱). ولكنَّ هذا لم يكن ليعني أنَّ مجالَ رسالته محدودٌ بجماعةٍ خاصةٍ، وإرشادِ قوم خاصّين. ولهذا السبب نرى القرآنَ ـ أحياناً ـ في الوقت الذي يوجّه دعوته إلى جماعة خاصّة، يعمد فوراً إلى اعتبار دعوته تلك حجةً على كلّ الذين يمكن أن تبلغَهُمْ دعوتُه. إذ يقول: (وَأُوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ)(۲). إنّ مِنَ البديهيّ أنّ على الأنبياء أنْ يَبدأوا أقوامَهم في البدايةِ سواء أكانت دعوتهم عالميّةً، أم محلّيةً. وهذا هو القرآنُ الكريم يُذَكّرُ بهذه الحقيقة: (وَما أرْسَلْنا مِنْ رسَولٍ إلاّ بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبيّن لَهُمْ)(۳).

---

۱ . السجدة | ۳ .

۲ . الأنعام | ۱۹ .

۳ . إبراهيم | ۴ .

(۱۶۳) الأصلُ الثامنُ والسبعون: إنّ نبي الإسلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خاتم الأنبياء إنّ نبوّة رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نبوّةٌ خاتمةٌ، كما أنّ شريعته كذلك خاتمةُ الشرائع، وكتابهُ خاتمُ الكتب أيضاً. يعني أنّه لا نبيَّ بعدَه، وأنّ شريعَتَه خالدةٌ، وباقيةٌ إلى يوم القيامة. ونحنُ نستفيدُ من خاتميّة نبوّته أمرين: ۱. إنّ الإسلام ناسخٌ لجميع الشرائعِ السابقة، فلا مكانَ لتلك الشرائع بعد مجيَ الشريعةِ الإسلاميةِ. ۲. إنّه لا وجودَ لِشَريعةٍ سماويةٍ في المستقبل، وادّعاء أي شريعة بعد الشريعة الإسلامية أمرٌ مرفوضٌ. إنّ مسألة الخاتميّة طُرحت ـ في القرآن والأحاديث الإسلامية ـ بشكلٍ واضح، بحيث لا تترك مجالاً للشك لأحد. وفيما يأتي نشيرُ إلى بعضها في هذا المجال : (ما كانَ مُحمَّدٌ أبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلكِن رَسُولَ الله وَخاتمَ النَبيّين وكان اللهُ بِكُلّ شَيءٍ عَليماً)(۱). والخاتَم هو ما يوضع في الإصبع من الحُليّ، وكان في عصر الرسالة يُختَم بفصّه على الرسائل، والمعاهدات، ليكونَ آيةً على انتهاءِ المكتوب.

---

۱ . الاَحزاب | ۴۰. لا تنحصر الآياتُ الدالّة على خاتميّة رسول الاِسلام فى هذه، بل هناك سِت آيات قرآنية فى هذا المجال تدلّ على خاتميته. راجع كتاب مفاهيم القرآن: ۳ | ۱۳۰ ـ ۱۳۹ .

(۱۶۴) وفى ضوء هذا البيان يكون مفاد الآية هو أنّ كتابَ النبوّات والرسالات خُتِم بمجئ رسول الاِسلام فلا نبيَّ بعدَه، كما يُختمُ الكتاب بالخاتَم، فلا كلامَبعدَه. على أنّ لفظَ الرسالة حيث إنّه ينطوى على معنى إبلاغ أشياء (الرسالة) يتلّقاها النبى عن طريق الوحى (النبوة)، لهذا فإنّ من الطبيعى أنْ لا تكونَ الرسالة الاِلَهيّةُ من دون نبوّة، فيكون ختم النبوات ملازماً ـ فى المآل ـ لختم الرسالات. ثم إنّ فى هذا المجال أحاديث وروايات متنوّعة، وعديدة، نكتفى بذكر واحد منها وهو حديثُ «المنزلة». فعندما كان رسولُ الا سلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ـ يريد أنّ ـ يتهيّأ لغزوة تبوك، خلّف الاِمامَ عليّاً ـ عليه السلام ـ فى المدينة وقال له: «أما ترضى أنْ تكونَ منّى بِمَنزلةِ هارونَ مِن مُوسى إلاّ ـ أنّه لا ـ نبيَّ بَعدِى». هذا وثمَّت مجموعةٌ من الاَحاديث المتواترةِ إجمالاً ترتبط بالخاتميّة عدا حديث «المنزلة» المتواتر نُقِلَت ورُوِيت فى الكتب.

الاَصلُ التاسعُ والسبعون: كمال الدين الاِسلامى إن سرَّ خلودِ الشريعة الاِسلامية يَكْمُنُ فى أمرين : ألف : إنّ الشَريعة الاِسلامية تُقَدّمُ لضمان وتحقيق حاجة البَشَرِ الطبيعيّة والفطريّة، الى الهدايات الاِلَهيّة، أكمل برنامج عُرِف بحيث لا

(۱۶۵)

يمكن تصوّر ما هو أفضل وأكمل منه. ب : بَيَّنَ الاِسلامُ فى مجال الاَحكام العمليّة كذلك سلسلةً من الاُصول والكليّات الجامعة والثابتة التى يمكنها أن تلبّى الحاجاتِ البشريةِ المتجدّدةِ والمتنوعة أوّلاً بأوّل. ويشهد بذلك أنّ فُقَهاء الاِسلام (وبالاَخص الشيعة منهم) قدروا طوال القرون الاَربعة عشرة الماضية أنْ يلبّوا كلّ إحتياجات المجتمعات الاِسلامية على صَعيد الاَحكام، ولم يَحْدُث إلى الآن أن عَجَزَ الفِقْهُ الاِسلامىّ عنِ الاِجابة على مُشكلةٍ فى هذا المجال. هذا والاُمور التالية مفيدةٌ، ومؤثرةٌ فى تحقيق هذه الغاية وهذا الهدف: ۱ . حجيّة العقل: إنّ اعتبار العقل، ومنحه الحجية، والقيمة المناسبة فى المجالات التى يقدر فيها على الحكم والقضاء ، هو إحدى طرق استِنْباط وظائِفِ البشر فى الحياة. ۲ . رعايةُ الاَهمّ عِند مُزاحمة المهمّ: إنّ الاَحكام الاِسلاميّة ـ كما نعلَمُ ـ ناشئةٌ من طائفة من الملاكات الواقعيّة، والمصالح والمفاسد الذاتيّة (أو العارضة) فى الاَشياء، وهى ملاكاتٌ ربما أدرك العقلُ بعضها، وربما لم يدرِكِ البعضَ الآخر، وإنما بيَّنَها الشرعُ. (۱۶۶) وفى ضوء معرفةِ هذه الملاكات يستطيعُ الفَقِيهُ ـ بطبيعة الحال ـ أن يحلَّ المشكلة بتقديم الاَهمّ على المهمّ، فيما إذا وقعَ تزاحمٌ بينهما . ۳ . فتح باب الاجتهاد : إن فتح باب الاِجتهاد فى وجه الاُمّة الاِسلامية ـ الذى يُعتبر من مفاخر الشيعة وامتيازات التشيّع ـ هو الآخرَ من الاَسباب الضامنة لخاتميّة الدين الاِسلامىّ واستمراريّته، لاَنّه فى ظلّ الاِجتهاد الحىّ والمستمرّ يمكن استنباط أحكام الموضُوعات، والحوادث الجديدة، باستمرار، من القواعد والضوابط الاِسلامية الكليّة. ۴ . الاَحكامُ الثّانَويّةُ : هناك فى الشريعة الاِسلاميّة مضافاً إلى الاَحكام الاَوّليّة، طائفةٌ من الاَحكام الثانوية التى تستطيع أن تحلَّ الكثيرَ من المشاكل. فعلى سبيلِ المثال: عندما يصبَحُ تطبيقُ حكمٍ من الاَحكام الاِسلامية على موضوعٍ موجباً للعُسر والحَرَج، أو مُستلزِماً للاِضرار بأشخاصٍ (بالشروط المذكورة فى الفقه الاِسلامىّ) هناك أُصولٌ وقواعدُ مثل قاعدة «نفى الحرج»، أو «نفى الضرر» تساعد الشريعة الاِسلاميّة على فتح الطرق المسدودة وتجاوز المشاكل. يقول القرآن الكريم: (وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)(۱). وجاء فى الاَحاديثِ النَبويّة: «لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ»(۲).

---

۱ . الحج | ۷۸ .

۲ . وسائل الشيعة: ۱۷، الباب ۱۲ من إحياء الموات، الحديث ۳.

(۱۶۷) ولابَدّ مِنَ القَول ـ بكل يقينٍ ـ بأنّ ديناً يَتحلّى بامتلاك هاتين القاعدتين ونظائرهما، لن يواجهَ أتباعُهُ قط طريقاً مسدوداً، فى حياتهم، ومسيرتهم. ومعالجةُ مَسألة الخاتميّة بشكلٍ مسهب موكولةٌ إلى الكتب الاِعتقادية.

الأَصلُ الثمانون: السهولة والاعتدال من خصائص الشريعة الإسلامية من خصائص الشَريعة الإسلاميّة «الإعتدالُ»، و «سهولة درك المفاهيم والأَحكام الإسلامية»، وهو أمر يمكن أنْ يكون أَحدَ أهَمّ أسباب نفوذ هذا الدين وانتشاره بين شعوب العالم المختلفة. إنّ الإسلام يعرض ـ فى مجال معرفة الله ـ توحيداً خالصاً، وواضحاً، وبعيداً عن أىّ إيهام وتعقيدٍ. فسورة «التوحيد» التى هى من سُوَر القرآن القصار، يمكن أنْ تكون خير شاهد على هذا الأَمر. كما أنّ القرآنَ يُؤكّد فى مجال مكانة الإنسان أيضاً على مَبدأ التَّقوى الّذى هو شاملٌ لجميع الخِصال الأَخلاقية، الرفيعة، والنبيلة. وفى مجال الأَحكام العملية نرى كذلك أنّ الإسلام يَنفى أىَّ عُسْرٍ وحَرَجٍ، وقد وَصَفَ النبىُّ نفسُهُ شريعتَهُ بالسهولة والسَّماحة فقال: «جِئْتُ بالشَريعةِ السَّهْلةِ السَّمْحَةِ». (۱۶۸) ورغم أنَّ بعضَ المستشرقين بسبب جهلهم أو عنادِهم يرون أنّ القوّة والسَيف كان هو السبب فى انتشار الإسلام السريع، والعريض فى العالم، فَإنّ المحقّقين المنصفين وغير المغرضين حتى من العلماء غير المسلمين يذعنُون ـ بكلّ صَراحة ـ أنَّ أهمَّ عاملٍ لانتشار الإسلام السريع، هو وضوح التعاليم والأَحكام الإسلامية وجامعيّتها. كما قال العالِمُ الفرنسى المعروف، الدُكتور «غوستاف لوبون» فى هذا المجال: إنّ رمزَ تقدّم الإسلام يكمن فى سُهُولته. إنّ الإسلام منزّه عن الأُمور التى يمتنعُ عن قبولها العقلُ السليم، والتى يوجَد نماذج كثيرة لها فى الشرايع الأُخرى. إنّنا مهما أمعنّا النظر وفكرنا فإنّنا لن نجد أبسط من أُصول الإسلام الذى يقول: اللهُ واحد، والناسُ أمامَ الله سواسية، والإنسانُ يحظى بالجنة والسعادة بالإتيان بعدّة فرائض دينية، ويقع بالإعراض عنها فى جهنم. إنّ وضوح الإسلام وتعاليمه وبساطتها هذه ساعدت كثيراً على تقدّم هذا الدين فى العالم. والأَهم من هذا، ذلك الإيمانُ الراسخُ الذى صَبَّه وأوجدَه فى القلوب، إنّه إيمانٌ لا تقدر أيّةُ شُبْهةٍ على اقتلاعه. إنّ الإسلامَ كما انّه يكون أنسبَ من أىّ دينٍ آخر، وأكثره ملائمةً مع المكتشفات العلمية. كذلك هو فى مجال حمل الناس على العفو والصفح أكبر دين يستطيع أنّ يتولّى مهمة تهذيب النفوس والأَخلاق(۱).

---

۱ . حضارة العرب تأليف غوستاف لوبون .

(۱۶۹) الأَصلُ الواحدُ والثمانون: صيانة القرآن من التحريف إنّ الكتبَ السماويّة التى عَرَضَها الأَنبياء السابقون تعَرضت ـ وللأَسف ـ من بعدهم للتحريف بالتدريج بسبب الأَغراض المريضة، وبسبب مواقف النفعيّين. ويشهَد بذلك ـ مضافاً إلى إخبار القرآنِ الكريم بذلك ـ شواهدُ تاريخيّة قاطعةٌ. كما أنّ مطالعة نفس تلك الكتب والتأمل فى محتوياتها من المواضيع تدلُّ على ذلك أيضاً، فإنّ هناك طائفة من المواضيع فى هذه الكتب لا يمكن أن يؤيّدها الوحىُ الإلَهىّ. هذا بغضّ النظر عن أنّ الإنجيل الحاضر يحتوى فى أكثره على حياة السيّد المسيح ـ عليه السلام ـ ، وحتى صَلْبِهِ. ولكن رغم وقوع التحريفات الواضحة فى الكتب السماويّة السابقة، فإنّ القرآنَ الكريم بقى مصوناً من أىّ نوعٍ من أنواع التحريف، والتغيير. فإنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ترك للبشرية من بعده (مائةً وأربع عَشَرة) سورة قرآنيّة، كاملة، وقد قام كُتّابُ الوَحى، وبالخُصوص الإمامُ علىٌّ عليه السلام ـ بكتابة الوحى، وتدوينه منذ البداية. وَلِحُسن الحظّ لم ينقص من القرآن الكريم، وسُوَره، وآياتِهِ شىءٌ قَطّ رغم مرور قرابة (۱۵) قرناً على بدء نزول القرآن، كما لم يُزَد عليه شىءٌ

(۱۷۰)

أبداً. ونشير فيما يلى إلى بعض الأَدلّة على عَدَم تحريف القرآنِ الكريم: ۱. كيف يمكن أن يجدَ التحريفُ سبيلاً إلى القرآنِ الكريم، فى حين أنّ الله تعالى تعهَّدَ صراحةً بحفظ القرآن، بنفسِهِ إذ قال: (إنّا نَحْنُ نَزَّلنا الذِّكْرَ وَإنّا لَهُ لحافِظُونَ)(۱). ۲. إنّ الله تعالى نفى تطرُّق أىِّ نوعٍ من أنواع الباطل إلى القرآن الكريم مهما يكن مصدرُهُ، نفياً قاطعاً فقال: (لا يأتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(۲). إنَّ الباطلَ الّذى يمكن أنْ يَتَطَرَّقَ إلى القرآن الكريم بصُوَرِهِ المختلفة، والذى قد نفاه الله تعالى نفياً قاطعاً، لا شكَّ هو الباطل الذى يوجب وَهْنَ القرآن الكريم، ويُضعِفُ مِن مكانتهِ ويَحُطُّ من مَنزلتِهِ، وحيث إنّ النَقْصَ من القُرآنِ الكريم، أو الزيادة فى كلماته، وألفاظه مما يوهن مكانة القرآن قطعاً، ويقيناً، ويَحطُّ من شأنه، لهذا لا يوجد أىّ لونٍ من ألوانِ الزيادةِ والنقص فى القرآن

الكريم أبَداً، ويقيناً. ٣. إنّ التاريخ يشهدُ بأنَّ المسلمين كانوا يعتنون بالقرآن الكريم تعلّماً وتعليماً، قراءةً وحِفظاً أشدّ الاعتناء، وكان العرب فى عصر النبىّ الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يتمتّعون بحافظةٍ قويّةٍ وذاكرةٍ حادّة بحيث إذا سمعوا خطبةً أو قصيدةً طويلةً مرةً واحدةً حَفِظوها، وأتقنوها. وعلى هذا كيف يمكن أن يُقال أنّ كتاباً مثل هذا، مع كثرة قارئيه،

---

١ . الحجر | ٩ .

٢ . فصلت | ۴۲ .

ووفرة حافظيه والمعتنين به، تعرّض للتحريف، أو الزيادة والنقصان؟! ۴. لا ـ شكَّ فى أنّ الإمام أميرَ المؤمنين علىَّ بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ كان يختلف مع الخلفاءِ، فى بعض المسائل، وكان يُظهِرُ مخالَفَتُهُ لهم فى موارد مختلِفة بِصُورةٍ منطقيّة، وتتمثل هذه الإعتراضات فى الخطبة الشقشقيّة وبعض مناشداته على سبيل المثال. ولكنّه لم يُسَمِعْ ولا مرّةً واحدةً بأنّه ـ عليه السلام ـ تَحَدّثَ ـ ولا بِكلَمَةٍ واحدةٍ ـ عن تحريف القرآن الكريم، طيلة حياته. فإذا كان هذا التحريف حدث ـ والعياذ بالله ـ لما سَكتَ عنه الإمامُ أميرُ المؤمنين عليه السلام ـ ، بل ـ على العكس من ذلك ـ نجده ـ عليه السلام ـ يدعو إلى التأمُّل والتَدَبُّر فى القرآنِ الكريم ومن ذلك قولهُ: «لَيْسَ لاَحدٍ بَعْدَ القُرآنِ مِن فاقَةٍ ولا بَعْدَ القرآنِ مِن غِنىً فكونوا من حَرَثَتِهِ وأتباعِهِ»(١). وبالنظر إلى هذه الاَدلة ونظائرها أكّدَ علماءُ الشيعة الإماميةِ واتّباعاً لاَهل البيت: منذ أقدم العصور الإسلامية، على صيانة القرآن الكريم من التحريف نذكر منهم: ١. الفضل بن شاذان (المتوفّى ٢۶٠ هـ ق) والذى كان يعيش فى عصر الاَئمة:، وذلك فى كتاب الإيضاح | ٢١٧. ٢. الشيخ الصدوق (المتوفّى ٣٨١ هـ ق) فى كتاب الاعتقادات | ٩٣. ٣. الشيخ المفيد (المتوفّى ۴١٣ هـ ق) فى كتاب أجوبة المسائل

---

١ . نهج البلاغة، الخطبة ١٧۶ .

السروّية، المطبوع ضمن مجموعة الرسائل | ٢۶۶. ۴. السيّد المرتضى (المتوفّى ۴٣۶ هـ ق) فى كتاب: جواب المسائل الطرابلسيات الذى نقل الشيخ الطبرسى كلامه فيه، فى مقدمة تفسيره: مجمع البيان. ۵. الشيخ الطوسىّ المعروف بشيخ الطائفة (المتوفّى ۴۶٠ هـ ق) فى كتاب: التبيان ١|٣. ۶. الشيخ الطبرسىّ (المتوفّى ۵۴٨ هـ ق) فى مقدمة كتابه: «مجمع البيان»، حيث أكَّدَ فيها على عدم وقوع التحريف فى القرآن الكريم. ٧. السيد ابن طاووس (المتوفّى ۶۶۴ هـ ق) فى كتاب: «سعد السعود|١۴۴» حيث يقول فيه: إن عدم التحريف هو رأى الإماميّة. ٨ . العلامة الحِلّى (المتوفّى ٧٢۶ هـ ق) فى كتاب: «أجوبة المسائل المهنّائية | ١٢١» حيث يقول فيه: «الحقُّ أنّه لا ـ تبديلَ ولا تأخير ولا تقديم فيه، وأنّه لم يُزَد فيه ولم يُنْقص، ونعوذ بالله تعالى من أن يُعتَقَدَ مثلُ ذلك، فإنّه يوجب التَطَرُّق (أى تطرّق الشَكّ والوَهْن) إلى معجزة الرَسُول ـ عليه السلام ـ المنقولة بالتّواتر». ونكتفى بهذا القدر من أسماء علماء الإمامية المنكرين للتحريف، ونؤكّد على أنّ هذا كان ولم يزل إعتقاد عُلَماء الامامية، ويتّضح ذلك من مراجعة ما كتبه ويقوله مراجع الشيعة فى العصر الحاضر. (١٧٣) الاَصلُ الثانى والثمانون: مناقشة الروايات الدالّة على تحريف القرآن وردّها لقد وَرَدَت فى كتب الحديث، والتفسير، رواياتٌ يدل بعضُها على وُقوع التحريف فى القرآن الكريم، ولكن يجب أن ننتبه إلى النقاط التالية: أوّلاً: أنّ أكثر هذه الروايات نُقِلَتْ بواسطة أفراد غير موثوق بهم وجاءت فى كتب لا قيمة لها. مثل كتاب «القراءات» لاَحمد بن محمد السيارى (المتوفّى ٢٨۶ هـ ق) الذى ضَعَّفَهُ علماءُ الرجال وضعَّفوا رواياته، واعتبروه فاسد المذهب(١) أو كتاب على بن أحمد الكوفى (المتوفّى ٣۵٢ هـ ق) الذى قال عنه علماء الرجال بأنّه صار غالياً فى أُخريات حياته.(٢)

ثانياً: بعض هذه الروايات التى حُمِلَت على التحريف، لها جانبُ التفسير، أى أنّها تفسّر الآية، وتكون من قبيل تطبيق المفادِ الكلىّ للآية

على مصاديقه، أو أحد مصاديقه. غير أنّ البعضَ تصوّر أنّ ذلك التفسير والتطبيق هو جزءٌ مِن القرآن الكريم، وقد حُذِفَ، أو سقطَ من القرآن الكريم. فمثلاً فُسرت لفظةُ «الصِّراط المُستَقِيم» فى سورة الحمد فى الروايات بـ«صراط النبى وأهل بيته» ومن الواضح جدّاً أنّ مثل هذا التفسير هو نوع من أنواع التطبيق الكلىّ على المصداق الأكمل(۳).

---

۱ . رجال النجاشى: ۱ | ۲۱۱ رقم الترجمة ۱۹۰ .

۲ . رجال النجاشى: ۱ | ۹۶ رقم الترجمة ۶۸۹ .

۳ . الطبرسى: مجمع البيان: ۱ | ۲۸.

(۱۷۴) ولقد قَسَّمَ الإمامُ الخمينىّ؛ الرواياتِ التى فُهِمَ منها وقوعُ التحريف فى القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام: ألف : الروايات الضَعيفةُ التى لا يمكن الإستفادة منها والأخذ بها أبداً. ب : الروايات المختلَقَة التى تلوح عليها علائم الوضع والإختلاق. ج : الروايات الصحيحة التى لو تأمَّلْنا فيها بدقّة لاتّضح أنّ المقصودَ منها ليس هو التحريف اللَفظىّ (أى الزيادة والنقصان اللفْظِىّ) بل هو تحريف حقائِقها ومفاهيمها.(۱)

ثالثاً : انّ الواجب على الذين يريدون التعرّف على المعتقد الواقعى لأتباع مذهب من المذاهب، أنْ يرجعوا إلى الكتب الاعتقاديّة والعِلمية لذلك المذهب، لا الكتب الحديثية (أى التى تضم الأحاديث والأخبار) التى يَهتَمُّ مؤلفها فى الأغلب بجمع الأحاديث وتدوينها، تاركاً التحقيق فيها، والإستفادة منها للآخرين. كما أنّه لا يكفى لمعرفة المعتقد الحقيقىّ والمسَلَّم لأى مذهَبٍ من المذاهب، الرجوعُ إلى الآراء الشاذّة التى طَرَحَها أو يطرحُها أفرادٌ من أتباع ذلك المذهب. وأساساً لا يمكن الإستناد إلى قولِ فردٍ أو فردين فى مقابل رأى الأكثريّة القاطعة والساحقة من عُلَماء المذهب وجعله مِلاكاً صحيحاً

---

۱ . تهذيب الأُصول: ۲ | ۹۶ .

(۱۷۵)

للحُكم على ذلك المَذهَب. وفى خاتمة البحث عن التحريف من الضَرورىّ أنْ نُذَكّرَ بعدة نقاط هى: ۱. إنّ اتّهام بعض المذاهب الإسلامية البعضَ الآخر بتحريف القرآن وخاصّة فى العصر الحاضر لا يستفيد منهُ سوى أعداء الإسلام، وخصومه، ومناوئيه. ۲. إذا أقدَمَ أحدُ علماء الإمامية بكتابة كتاب حولَ تحريف القرآن، وجب أن نعتبر ذلك رأيه الشخصىّ وليس رأىَ الأكثريّة الساحقة من علماء الإمامية. ولهذا نرى أنّه أقدم علماءُ كثيرون من الإمامية على كتابة ردودٍ عديدةٍ على ذلك الكتاب. تماماً كما حَدَثَ فى أوساط أهل السنة حيث أقدم أحدُ علماء مصر على تأليف كتابٍ فى تحريف القرآن باسم «الفرقان» عام ۱۳۴۵ هـ ق، فَرَدَّ عليه علماءُ الأزهر، وأمَرُوا بمصادَرَتِهِ. ۳. إنّ من العجيب جداً أن يحمل بَعْضُ المغرضين الذين أيسوا من الأساليب الأُخرى، كلّ هذه التصريحات القاطعة من قِبَل علماء الشيعة الإماميّة بعدم تحريف القرآن الكريم على «التقيّة»!! فإنّه يقال لهؤلاء بأنّ «التقية» ترتبط بأحوال شخصٍ يكون فى ظروف الخوف والخطر، وهؤلاء العلماء الكبار لم يكونوا يخافون أَحداً حتّى يضطرّوا إلى ممارسة «التقيّة». (۱۷۶) ثم إنّ هذه الكتب قد ألّفها علماءُ الإمامية ـ فى الأساس ـ لأتباع المذهب الشيعىّ، والهدف منها هو تعليم عقائد الشيعة لأتباع ذلك المذهب، ولهذا فإنّ من الطبيعى أنْ تحتوى هذه الكُتُبُ على العَقائِدِ الحقيقية.

الفصل السابع الإمامَةُ والخِلافَةُ

الإمامَةُ والخِلافَةُ

الإمامَةُ والخِلافَةُ لَقَدْ رَحَلَ النبيُّ الاَكرمُ محمّد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى مطلع العام الحادى عشر الهجرى بعد أنْ اجتهد طوال ۲۳ سنة فى إبلاغ الشريعة الإسلامية. ومع رحيل النبىّ الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ انقطعَ الوحىُ، وانتهت النُبوَّةُ، فلم يكن نبىٌّ بعده ولا شريعةٌ بعد شريعته، إلّا أنّ الوظائف والتكاليف التى كانت على عاتق النبىّ محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (ما عدا مسألة تلقّى الوحى وإبلاغه) لم تنته حتماً. ولهذا كان يجب أن يكونَ بعد وفاته شخصيةٌ واعيةٌ وصالحةٌ تواصل القيام بتلك الوظائف والمهام وتقود المسلمين ويكون لهم إمامٌ خلافةً عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. إنّ مسألة ضرورة وجود خليفة للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ موضعُ اتّفاق بين المسلمين، وإنْ اختلف الشيعة والسنة فى بعض صفات ذلك الخليفة وطريقة تعيينه. فلابدّ فى البداية من توضيح معنى «الشيعة» و «التشيع»، وتاريخ نشأته وظهوره، ليتسنّى بعد ذلك البحثُ فى المسائل المتعلّقة بالإمامة والخلافة بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. (۱۸۰)

الاَصلُ الثالث والثمانون: الشيعة لغة واصطلاحاً «الشِيعَة» فى اللغة بمعنى التابع، وفى الاصطلاح تُطلَقُ هذه اللفظة أو التسمية على فريقٍ من المسلمين يعتقدون بأنّ قيادة الاُمّة الإسلاميّةِ بعد وفاةِ رَسُول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هى من حق الإمام علىّ ـ عليه السلام ـ وأبنائه المعصومين. وقد تَحَدّثَ النبىُّ الاَكرمُ أيّام حياته عن فضائل الإمام علىّ ـ عليه السلام ـ ومناقبه، وكذا عن قيادته وزعامته للاُمّة الإسلاميّة من بعده، مراراً وفى مناسبات مختلِفة، بشهادة التاريخ المدوَّن. إنّ هذه التوصيات والتأكيدات تسبَّبت ـ كما تحدِّثُنا الاَحاديثُ الموثّقة ـ فى أن يلتَفَّ فريقٌ مِنَ الصحابة حول الإمام علىّ ـ عليه السلام ـ فى حياة النبى الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتحبّه قلوبُهم، فتُعْرف بشيعةِ علىّ ـ عليه السلام ـ. ولقد بقيت هذه الثُلّة من الصحابة على ولائها واعتقادها السابق بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ دون أنْ تؤثر المصالحَ الفرديّةَ على تنصيص رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ووصيَّته فى مجال الخلافة وقيادة الاُمّة من بعده. وهكذا سُمِّيَت جماعةٌ من المسلمين فى عصر رسول الله، وبَعد حياته الشريفة ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالشيعة. وقد صَرحَ بهذا جماعةٌ من المؤلّفين فى الملل والنحل. فالنوبختى (المتوفّى ۳۱۰ هـ) يكتب قائلاً: الشيعة هُم أتباع على بنِ أبى طالب ـ عليه السلام ـ المسَمُّون بِشيعةِ على ـ عليه السلام ـ فى زمان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبعده،

(۱۸۱)

معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته(۱). وقال أبو الحسن الاَشعرى: وإنّما قيل لهم (شيعة) لاَنّهم شايعوا عليّاً، ويقدّمونه على سائر أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (۲). وقال الشهرستانى: الشيعة هم الذين شايَعوا عليّاً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافتِهِ نصّاً ووصيّة.(۳)

وعلى هذا الاَساس فليس للشيعة تاريخ غير تاريخ الإسلام وليس له مبدأُ ظهور غير مبدأ ظهور الإسلام نفسه، وفى الحقيقة إنّ الإسلام والتشيّع وَجْهان لعُملةٍ واحدةٍ أو وَجهان لحقيقةٍ واحدةٍ، وتوأمان وُلدا فى زَمَنٍ واحدٍ. وقد ذكر المحدّثون والمؤرّخون أنّ النبىَّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ دعا فى السَنَوات الاُولى من دعوته بنى هاشم، وجمعهم فى بيته وأعلن فيهم عن خلافة علىّ ووصايته (فى ما يسمّى بحديث بَدء الدعوة أو يوم الدار)(۴) وأعلن عن ذلك للناس فيما بعد مكرّراً، وفى مناسبات مختلفة ومواقف متعدّدة، وبخاصة فى يوم الغدير، الّذى طرح فيه خلافة علىٍ بصُورةٍ رسميّة، وأخذَ البيعة من النّاس له وسيوافيك تفصيله. إنّ التشيُّع ليس وليدَ حوادث السقيفة ولا فتنة مصرع عثمان وغيرها

---

۱ . فِرَق الشيعة، ص ۱۷ .

۲ . مقالات الإسلاميين: ۱ | ۶۵ .

۳ . الملل والنحل: ۱ | ۱۳۱ .

۴ . راجع تاريخ الطبرى: ۲ | ۶۲ ـ ۶۴ .

(۱۸۲)

من الاَساطير، بل انّ النبى الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو الذى بذر بذرة التشيع لاَوّل مرة وغرس غرستها فى قلوب الصحابة بتعاليمه السماوية المكرّرة. ونمت تلك الغرسة فيما بعد شيئاً فشيئاً، وعُرِف صحابةٌ كبارٌ كأبى ذرّ، وسلمان، والمقداد، باسم الشيعة. وقد ذكر المفسرون فى تفسير قوله تعالى: (إنَّ الَّذِينَ آمَنوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ أُوْلئكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيّةِ)(۱). قول النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «هُمْ عَلِيٌّ وَشِيْعَتُهُ»(۲). على أنّه لا تَسَعُ هذه الرسالةُ المختصرةُ لذكر أسماء الشيعة الاَوائل من الصَّحابة، والتابعين الذين اعتَقَدُوا بخلافَتِهِ للنبِيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بصورةٍ مباشرةٍ وبلا فصل. إنّ التشيُّعَ بالمفهوم المذكور هو الوجه المشترك بين جميع الشيعة فى العالم، والذين يشكّلون قِسماً عظيماً مِن مُسْلِمِى العالم. ولقد كانَ لِلشيعة جنباً إلى جنب مع سائر المذاهب الاِسلامية وعلى مدى التاريخ الاِسلامى إسهامٌ عظيمٌ فى نشر الاِسلام، وقَدَّمُوا شخصياتٍ عِلميّة وأَدَبيّة وسياسيّة جدّ عظيمة إلى المجتمع البشرى ولهم حضور فاعل فى أكثر نقاط العالم الراهِن أيضاً.

---

۱ . البينة | ۷ .

۲ . الدر المنثور، سورة البيّنة .

(۱۸۳) الاَصلُ الرابعُ والثمانون: الاِمامة مسألة إلهية إنّ مسألةَ «الاِمامة» ـ كما سنثبتُ ذلك من خلال الاُصول القادمة ـ كانت مسألة إلَهيّة، وسماويّة، ولهذا كان من اللازم أن يتم تعيينُ خليفة النبى كذلك عبر الوحى الاِلَهىّ إلى النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، ويقوم النبىُّ بإبلاغه إلى الناس. وقبل أن نعمدَ إلى استعراض وبيان الاَدلّةِ النقليّة والشرعيّة فى هذا المجال، نستعرض حُكم العقلِ فى هذه الحالة، آخذين بنظر الاعتبار ظروف تلك الفترة (أى فترة ما قبل وما بعد رحيل النبىّ)، وملابساتها. إنَّ العقلَ البديهىَّ يحكم بأنّ أى إنسانٍ مصلحٍ إذا استطاع من خلال جهودٍ مُضنيةٍ دامت سَنَواتٍ عديدةً، من تنفيذ أُطروحةٍ اجتماعيّة خاصة له، وابتكر طريقة جديدة للمجتمع البشرىّ فإنّه لا بدّ من أن يفكِّر فى وسيلةٍ مؤثِّرة للاِبقاء على تلك الاُطروحة، وضمان استمرارها، بل رُشدها، ونموّها أيضاً، وليس من الحكمة أن يؤسّسَ شخصٌ مّا بناءً عظيماً، متحمّلاً فى ذلك السبيل متاعبَ كثيرة، ولكن لا يفكِّر فيما يقيه من الاَخطار، ولا ينصب أحداً لصيانته والعناية به، من بعده. إنَّ النبىَّ الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وهو من أكبر الشخصيّات العالميّة فى تاريخ البشريّة، قد أوجَد ـ بما أتى من شريعة ـ أرضيّةً مساعدةً لتحوّلٍ إلهىٍّ عالمىٍ كبيرٍ، ومَهَّدَ لقيام حضارةٍ جدُّ حديثةٍ، وفريدةٍ. إنّ هذه الشخصيّة العظيمة، التى طَرَحَت على البشريّة شريعةً

(۱۸۴)

خالدةً، وقادت المجتمعَ البشرىّ فى عصرِهِ وأيام حياته، من المسلَّم أنّه فَكَّر لحفظ شريعته من الاَخطار والآفات المحتملة التى تهدِّدها فى المستقبل، وكذا لهداية أُمّته الخالدة، وإدارتها، وبيّن صيغة القيادة من بعده، وذلك لاَنّه من غير المعقول أن يؤسّس هذا النبىُ الحكيمُ قواعدَ شريعةٍ خالدةٍ أبديّةٍ، دون أنْ يطرح صيغة قويّة لقيادتها من بعده، يضمن بها بقاء تلك الشريعة. إنَّ النبىَّ الَّذى لم يألُ جُهداً فى بيان أَصغر ما تحتاج إليه سعادةُ البشرية، كيفَ يُعقَل أنْ يسكتَ فى مجال قيادة المجتمع الاِسلامى وصيغتها، وكيفيتها، والحال أنها من المسائل الجوهريّة، والمصيريّة، فى حياة الاُمّة، بل وفى حياة البشريّة، وفى الحقيقة يترك المجتمعَ الاِسلامىَّ حيارى مهمَلين، لا يَعرِفون واجبهم فى هذا الصعيد؟! وعلى هذا الاَساس لا يمكن مطلقاً القبولُ بالزَّعم القائل بأنَّ النبىّ الاَكرم أغمض عينيه عن الحياة دون ان ينبس ببنت شفة فى مجال قيادة الاُمّة.

الاَصلُ الخامسُ والثمانون: الاِمامة والخطر الثلاثى المشؤوم: الروم والفرس والمنافقون إنّ مراجعةَ التاريخ، وأخذِ الظروف التى كانت تحيط بالمنطقة، وبالعالم فى زمان رحيل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقُبيل وفاتِهِ بالذات بنظر الاعتبار تثبت ـ بِوُضوح ـ بداهة وضرورةَ «تنْصيصيَّة» منصب الاَمامة وذلك لاَنّ أخطاراً ثلاثة كانت تهدّد الدينَ والكيانَ الاِسلامىَّ، وتحيط به على شكلِ

(۱۸۵)

مُثَلّثٍ مَشؤُوم. الضِلعُ الاَوَّل مِن هذا المثلَّث الخَطِر كان يتمثَّل فى الاِمبراطورية الروميّة. والضلع الثانِى كانَ يَتمثّل فى الاِمبراطوريّة الفارسيّة. والضلعُ الثالث كان يَتَمثَّل فى فريق المنافقين الداخِلِيّين. وبالنسبة لخَطَر الضلعِ الاَوّل، وأهميّته القُصْوى يكفى أنَ نعلمَ أنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يزل يفكر فيه حتى آخر لحظة من حياته، ولهذا جهّزَ ـ قُبَيل أيّام بل ساعاتٍ من وفاته ـ جيشاً عظيماً بقيادة «أُسامة بن زيد» وبَعَثَه لمواجهة الروم، كما ولَعَنَ مَن تَخلَّفَ عنه أيضاً. وبالنسبة لخطَر الضِلعِ الثانى يكفى أن نعرفَ أنّه كان عَدُوّاً شرساً أيضاً أقدمَ على تمزيقِ رسالةِ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكتب إلى حاكم اليمن بأنْ يقبضَ على رسولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، ويبعث به إليه، أو يرسلَ إليه برأسه. وبالتالى بالنسبة إلى الخَطَر الثالث يجب أن نعلمَ أنّ هذا الفريق (أى المنافقين) كان يقوم فى المدينة بمزاحمة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ باستمرار وكان المنافقون هؤلاء يؤذونه بالمؤامرات المتنوعة، ويعرقلون حركته، وقد تحدّث القرآنُ الكريمُ عنهم وعن خصالهم، ونفاقهم، وأَذاهم، ومحاولاتهم الخبيثة فى سوره المختلفة إلى درجة انّه سمّيت سورة كاملة باسمهم، وهى تتحدّث عنهم وعن نواياهم وأعمالِهم الشرّيرةِ. والآن نطرحُ هذا السؤالَ وهو: هل مع وجودِ هذا المثلَّث الخَطِر كانَ

(۱۸۶)

من الصحيح أنْ يترك النبىُ الاَكرمُ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الاُمّةَ الاِسلاميةَ، والدينَ الاِسلامىَ اللّذَين كانا محاطَين بالاَخطار من كلّ جانب، وكان الاَعداءُ لهما بالمرصاد من كلّ ناحية، من دون قائدٍ معيّنٍ؟!! إنّ النبىَّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولاشكَّ كانَ يَعْلَم أن حياةَ العرب حياة قَبَليّة، عشائرية وأنّ أفرادَ هذه القبائِل كانَتْ مُتَعَصِبّة لرؤساء تلك القبائل، فهم كانوا يطيعون الرؤساء بشدّة، ويخضَعُون لهُمْ خضوعاً كبيراً، ولهذا فإنَّ ترك مِثل هذا المجتمع مِن دون نصبِ قائدٍ معيّن سوف يؤدّى إلى التشتت والتنازع بين هذه القبائل، وسيستفيد الاَعداء من هذا التخاصُم والتَنازع، والاِختلاف . وانطلاقاً من هذه الحقيقة قال الشيخ الرئيس أبو على بن سينا: «الاستخلاف بالنصّ أصوب، فإنّ ذلك لا يؤدى إلى التشعّب والتشاغب والاختلاف»(۱). الاَصلُ السادسُ والثمانون: تعيين الاِمام والخليفة فى أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والآن وَبعدَ أنْ ثَبَتَ أنَّ حِكمةَ النبىّ وعلمهُ كانا يقتَضِيانِ بأن يتخذ موقفاً مناسِباً فى مجالِ القِيادة الاِسلاميّة مِن بَعدِهِ، فَلْنَرَى ماذا كانَ الموقف الذى اتخذه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى هذا الصعيد؟ هُناكَ نظريَّتان فى هذا المَجال نُدرِجُهُما هنا، ونعمَدُ إلى مناقشتهما: النظرية الاُولى: انّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ اختار بأمرِ الله تعالى شخصاً مُمتازاً

---

۱ . الشفاء، الاِلَهيات، المقالة العاشرة، الفصل الخامس، ۵۶۴ .

(۱۸۷)

صالِحاً لقيادةِ الاُمّة الاِسلامِيّة، ونَصَبَهُ لِخلافَتِهِ وأخبرَ النّاسَ بذلك. النظرية الثانية: أنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أوكَلَ اختيار القائد والخليفة من بعده إلى النّاس، انفسِهِم، لينتَخِبوا ـ هم بأنفسِهِم ـ شخصاً لهذا المنصب. والآن يجب أن نرى أيّة واحدة من النظريتين تُستفاد من الكِتابِ والسُّنة والتاريخ؟ إنَّ الاِمعانَ فى حياة النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مُنذ أن كُلّف بتبليغ شريعتهِ إلى أقربائِهِ وعَشيرته، ثم الاِعلان عن دعوتهِ إلى النّاس كافّة، يفيد أن النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سلك طريق «التنصيص» فى مسألة القيادة، والخلافة، مراراً، دون طريق «الاِنتخاب الشعبىّ» وهذا الموضوع نثبتهُ من خلال الاُمور التالية: ۱. حديث يوم الدار بعد أن مضت ثلاثُ سَنَوات على اليوم الذى بُعِثَ فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، كَلّفهُ اللهُ تعالى بأن يبلّغ رسالَته لاَبناءِ قَبيلتِهِ، وذلك عندما نَزَل قولهُ عز وجلّ: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الاَقْرَبِينَ)(۱). فَجَمَع النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رؤوسَ بنى هاشم وقال : «يا بنى عبد المطّلب إنّى واللهِ ما أعلمُ شابّاً فى العَرَبِ جاء قومَه بأفضل ممّا قد جئتكم به إنىّ قد جئتكُم بخَيرِ الدُنيا والآخِرة وقد أمَرَنىَ اللهُ تعالى أنْ

أدعوكم إليه فأيُّكم يؤازرنى على هذا الاَمر يكون أخى ووصيى ووزيرى وخليفتى فيكم».

---

۱ . الشعراء | ۲۱۴ .

(۱۸۸) ولقد كرّر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ العبارة الاَخيرة ثلاثَ مرّات، ولم يقمْ فى كلّ تلك المرّات إلاّ الإمامُ على ـ عليه السلام ـ، الّذى أعلَنَ عن استعدادِهِ فى كلّ مرّة لمؤازرةِ النَبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ونُصْرته، وفى المرّة الثالِثة قال النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «إنَّ هذا أخِى وَوَصيِّى وخَلِيفَتِى فِيكُمْ فَاْسمَعوا لَه وأطيعُوا»(۱). ۲. حَديثُ المَنْزِلَةِ لَقد اعتبر النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ منزلةَ «علىّ ـ عليه السلام ـ» منه على غرارِ منزلةِ هارون من موسى۸، ولم يستثنِ من منازِلِ ومراتبِ هارون من موسى إلاّ النبوّة حيث قال: «يا علىّ أما ترضى أن تكونَ مِنّى بمنزلةِ هارونَ من مُوسى إلاّ أنّه لا نبىَّ بعدى»(۲) ن وهذا النفى والسَلب هو فى الحقيقة من بابِ «السالبة بإنتفاءِ الموضوع». اذ لم تكن بعد رسولِ الله الخاتم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نبوّةٌ حتى يكونَ علىٌ نبيّاً من بعده إذ بُنُبوّة رسولِ الإسلام خُتمت النبوّات، وبِشريعتِهِ خُتِمت الشّرائِع. ولقد كانَ لِهارون ـ بنَصّ القرآنِ الكريم ـ مقامُ «النبوّة»(۳) و «الخلافة»(۴)

---

۱ . مسند أحمد: ۱ | ۱۵۹؛ تاريخ الطبرى: ۲ | ۴۰۶؛ تفسير الطبرى (جامع البيان): ۱۹ | ۷۴ ـ ۷۵، تفسير الشعراء، الآية ۲۱۴ .

۲ . صحيح البخارى: ۶ | ۳ طبع ۱۳۱۲ هـ، باب غزوة تبوك؛ صحيح مسلم: ۷ | ۱۲۰، باب فضائل الإمام على ـ عليه السلام ـ؛ سنن ابن ماجة: ۱ | ۵۵ باب فضائل أصحاب النبى؛ مسند الامام أحمد: ۱ | ۱۷۳، ۱۷۵، ۱۷۷، ۱۷۹، ۱۸۲، ۱۸۵ و ۲۳۰؛ والسيرة النبوية لابن هشام: ۴ | ۱۶۳ (غزوة تبوك).

۳ . (وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمتنَا أخاهُ هارُونَ نَبِيّاً) (مريم | ۵۳).

۴ . (وَقَالَ مُوسَى لاَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنى فى قَوْمِى) (الاَعراف | ۱۴۲).

(۱۸۹)

و«الوزارة »(۱) فى زمانِ مُوسى، وقد أثبتَ حديثُ «المنزلة» جميعَ هذه المناصب الثابتة لهارون للإمام علىّ ـ عليه السلام ـ ما عدا النُبَوَّة، على أنّه إذا لم يكن المقصودُ مِن هذا الحَديث هو إثباتُ جميعِ المناصبِ والمقاماتِ لعلىّ إلاّ النبوَّة، لم يكنْ أيّةُ حاجة إلى استثناء النُبوّة. ۳. حَديثُ السَّفِينَةِ لقد شَبَّه النبىُّ الاَكرمُ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أهلَ بيته بِسَفينةِ نوح الّتى من رَكبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق فى الطوفانِ كما قال: «ألا إنّ مَثَل أهلِ بيتى فِيكم مَثلُ سَفينة نُوح فى قومه مَن رَكبها نَجا، ومَن تَخلَّفَ عَنها غرق»(۲). ونحنُ نَعلمُ أنّ سَفينة «نوح» كانت هى الملجأ الوحيد لنجاة الناس من الطوفان فى ذلك الوقت. وعلى هذا الاَساس فإنّ أهلَ البيت النبوىّ ـ وفقاً لحديث سفينة نوح ـ يُعتَبرُون الملجأ الوَحيد للاُمّة للنجاة من الحوادث العصيبة والوقائع الخطيرة التى طالما تُؤدّى إلى انحراف البشرية وضلالها. ۴. حديث «أمان الاُمّة» لقدَ وَصَفَ النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أهل بيته بكونهم سَبَباً لوحدة المسلمين،

---

۱ . (وَاجْعَل لِى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى) (طه | ۲۹).

۲ . مستدرك الحاكم: ۳ | ۳۵۱؛ الصواعق المحرقة، ص ۹۱؛ ميزان الاعتدال: ۱ | ۲۲۴؛ تاريخ الخلفاء، ص ۵۷۳؛ الخصائص الكبرى: ۲ | ۲۶۶؛ ينابيع المودة، ص ۲۸؛ فتح القدير، ص ۱۱۳؛ وكتب أُخرى.

(۱۹۰)

وممّا يوجِبُ ابتعادهم عن الإختلاف والتَشتّت وأماناً من الغَرق فى بحر الفِتنة، إذ قال: «النجومُ أمانٌ لاَهل الاَرض من الغَرَق وأهلُ بَيتى أمانٌ من الإختلاف، فإذا خالَفتها قبيلةٌ مِنَ العَرَب اختَلَفوا فصارُوا حزب إبليس»(۱). وبهذا شبّه النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أهل

بيته الكرام بالنجوم التى يقول عنها اللّه سبحانه: (وبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُون)(۲). ۵. حَديثُ الثَقَلَين إنّ حديثَ الثَقَلين مِنَ الاَحاديث الاِسلاميّة المتواترة، الّتى نَقَلها وَرَواها علماءُ الفريقين فى كتبهم الحديثية. فقد خاطَبَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الاُمّةَ الاِسلامية قائلاً: «إنّى تاركٌ فيكُم الثَقَلَيْن كتابَ الله وَعِتْرَتى أهلَ بَيْتى ما إنْ تَمَسَّكْتُمْ بهما لَنْ تَضلُّوا أبَداً وإنّهما لَنْ يَفْتَرِقا حَتى يَرِدا عَلَىَّ الحَوْضَ»(۳). إنّ هذا الحديثَ، يُثبتُ ـ بوضوح ـ المرجَعيّةَ العِلميّةَ لاَهلِ البَيْت

---

۱ . مستدرک الحاکم: ۳ | ۱۴۹ .

۲ . النحل | ۱۶ .

۳ . صحيح مسلم: ۷ | ۱۲۲؛ سنن الترمذى: ۲ | ۳۰۷ ؛ سنن الدارمى: ۲ | ۴۳۲؛ مسند أحمد: ۳ | ۱۴، ۱۷، ۲۶، ۵۹، و ج ۴ | ۵۹، ۳۶۶ و ۳۷۱، و ج ۵ | ۱۸۲ و ۱۸۹؛ الخصائص العلوية، للنسائى ص ۲۰؛ مستدرک الحاکم: ۳ | ۱۰۹، ۱۴۸، و ۵۳۳، وغيرها.

ويمكن مراجعةِ رسالَة «حديثِ الثَقَلين» من منشورات «دار التَقريب بَين المذاهب الاِسلامية» القاهرة، مطبعة مخيمر، فى هذا المجال أيضاً.

(۱۹۱)

النَبوىّ جَنْباً إلى جنب مع القرآن الكريم، وَيُلزِمُ المُسلمين بأن يتمسَّكُوا ـ فى الاُمور الدينيّة ـ بأهل البيت إلى جانب القرآن الكريم، ويلتمسوا رأيهم. ولكنّ المؤسفَ جدّاً أن يَلتَمس فريقٌ من النّاس رأىَ كلّ أحد إلاّ رأىَ أهلِ البيت، ويطرقوا بابَ بَيْت كلّ أحد إلاّ باب بيتِ أهل البيت:. إنّ «حديث الثقلين» الذى يتفق على روايته الشيعةُ والسنةُ يمكنهُ أن يجمع جميع مسلمى العالم حول محور واحدٍ، لاَنّه إذا ما اختلفَ الفريقان فى مَسألة تعيين الخليفة والقائد، والزعيم السياسى للاُمّة بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكان لكلّ فريقٍ نظريّته وآلَ الاستنباطُ التاريخىّ فى هذا الصعيد إلى انقسام المسلمين إلى فريقين، فإنّه لا يوجَدُ هناک أىُّ دليلٍ للاِختلاف فى مرجَعيّة أهلِ البيت العِلميّة، ويجب أن يكونوا ـ طِبقاً لحديث الثقلين المتَّفَق عليه ـ متفقين على كلمةٍ واحدةٍ. وأساساً كانت مرجعيَّةُ أهلِ البَيت العلميّة فى عَصر الخُلَفاء لعلىّ ـ عليه السلام ـ أيضاً، فقد كانوا يرجعون إليه عند الاِختلاف فى المسائل الدينيّة وكانت المشكلة تُحلُّ بواسطته. وفى الحقيقة منذُ أن عُزل أهلُ بيت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن ساحة المرجَعيّة العلميّة ظهرَ التفرُّقُ والتشرذُمُ، وبرزت الفِرَقُ الكلامِيّةُ المتعدّدةُ الواحدةُ تلو الاُخرى.

(۱۹۲)

الاَصلُ السابعُ والثمانون: حديث الغدير كان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما يبدو فى الاَحاديث السالفةُ ـ يعرّف بخليفته ووصيه تارةً بصورةٍ كليّةٍ، وأُخرى بصورةٍمعيّنةٍ، أى بذكر اسم الخليفة والوصىّ بحيث يمثّلُ كلُ واحدٍ من تلك الاَحاديث حجةً كاملةً وتامّةً لمن يطلبُ الحقيقة وهو شهيدٌ واعٍ. ولكن مع ذلك ولكى يُوصِلَ النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نداءَه إلى كلّ قاصٍ ودانٍ من المسلمين فى ذلك اليوم، ويرفعَ كلّ إبهام وغموضٍ، ويدفع كلّ شكٍ أو تشكيكٍ فى هذا المجال، توقّفَ عند قُفوله ومراجَعَته من حَجّة الوَداع فى أرض تسمى بغدير خم، وأخبر من مَعَه من الحجيج بأنّه كُلِّف مِن جانب الله تعالى بأن يُبلِّغ رسالةُ إليهم، وهى رسالة تحكى عن القيام بأمرٍ جدّ عظيم، بحيث إذا لم يُبلِّغها يكون كأنّه لم يُبَلّغ شيئاً من رسالته كما قال تعالى: (يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إليکَ مِن رَّبِکَ وإن لَمتَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يعصِمُکَ مِنَ النَّاسِ)(۱).(۲) ثم رقى النبىُّ منبراً من أقتاب الاِبل وحُدُوجها، وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مخاطباً الناس: «يوشک أنْ اُدعى فأجيب فماذا أنتم قائلون؟» . قالوا: نَشهدُ أنّک قد بَلّغتَ ونَصحتَ وجَهَدتَ فجزاک اللّه خيراً.

---

۱ . المائدة | ۶۷ .

۲ . أشار المحدّثون والمفسّرون المُسلمون إلى نُزُول هـذه الآية فى حَجّة الوداع، يومَ الغدير، اُنظر: كتابَ «الدرّ المنثور» للسيوطى ۲| ۲۹۸، و «فتح القدير» للشوكانى ۲ | ۵۷؛ وكشف الغمة للإربلّى، ص ۹۴؛ «ينابيع المودّة» للقندوزى، ص ۱۲۰؛ المنار: ۶ | ۴۶۳ وغيرها.

(۱۹۳) فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «ألَسْتم تَشهَدون أن لا إلَه إلاّ الله وأنّ محمّداً عَبدُه ورسولهُ وان الساعة آتيةٌ لا ريبَ فيها؟» قالوا: بَلى نَشْهدُ بذلك. قالَ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «فإنّى فَرَطٌ (أى أسبقكُم) على الحوض (أى الكوثر)، فَانظُرُوا كيفَ تَخلِفُونى فى الثَقَلَين؟» فنادى مناد: وما الثَقَلان يا رَسولَ الله ؟ قالَ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «الثَقَلُ الاَكبر كتابُ الله طَرَفٌ بيدِ اللهِ عزَّ وجَلَّ وطَرَفٌ بأيدِيكُمْ فتمَسَّكُوا به لا تَضِلُّوا، والآخَرالاَصغَر عترتى، وإنّ اللطيفَ الخبيرَ نبّأنى أنَّهما لنْ يفترقا حتى يَردا علىَّ الحَوضَ، فلا تقدمُوهُما فتَهلكوا، ولا تقصِّروا عنْهما فَتَهْلَكُوا». ثم أخذ بيد «علىّ» فَرفَعها حتى رؤى بياضُ آباطهما فعرفَه القومُ أجمعون فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «أيُّها الناسُ من أولى النّاس بالمؤْمِنين من أنفسِهم؟» قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ. قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إنّ الله مولاىَ، وأنا مَولى المؤمِنين، وأنا أولى بِهِمْ مِن أنفسهِمْ، فَمَن كنتُ مَولاه فَعَلِيٌ مولاهُ». ثم قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «اللّهُمَّ والِ مِن والاهُ، وعادِ من عاداهُ، وأحِبَّ من أحَبَّهُ، وابْغَضْ مَن أبْغَضَهُ، وانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، واخْذُلْ من خَذَلَه، وأدِرِ الحقَّ معه حيث دارَ، ألا فَلْيُبَلِّغ الشّاهِدُ الغائبَ». (۱۹۴)

الاَصلُ الثامِنُ والثمانُون: حديث الغدير من الاَحاديث المتواترة إنّ حديثَ الغَدِير منَ الاَحاديثِ المتَواتِرة، وقد رَواهُ من الصَّحابة والتابعين وعُلماءِ الحديث فى كلّ قرنٍ بصورَةٍ متواترةٍ. فقد نقل حديثَ الغدير ورواه (۱۱۰) من الصحابة، و (۸۹) من التابعين، و(۳۵۰۰) من العلماء والمحدِّثين، وفى ضوء هذا التواتر لا يبقى أىُّ مجالٍ للشَكِ فى أصالةِ، وصحّة هذا الحديث. كما أنّ فريقاً من العُلَماء ألَّفوا كُتباً مستَقِلّةً حولَ حديث «الغدير» أشْمَلُها وأكثرُها اسْتِيعاباً لِطُرق وأسنادِ هذا الحديث كتابُ «الغدير» للعلاّمة الشيخ عبد الحسين الاَمينى (۱۳۲۰ ـ ۱۳۹۰ هـ). والآن يجب أن نَرى ما هو المقصود من لفظة «المولَى» وماذا تَعنى «مولويّة» علىّ ـ عليه السلام ـ ؟ إنّ القرائن والشواهدَ الكثيرةَ والعديدةَ تشهد بأنَّ المقصودَ من هذه اللَفظة، والكلمة هو: الزعامة والقيادة، وها نحن نشيرُ إلى بعض هذه الشَواهدِ والقرائن: ألف: فى واقعة الغدير، أمَرَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأنْ يحطَّ الحُجّاج الّذين كانوا يرجعون معه من الحج، فى أرض قاحِلةٍ لا ماء فيها، ولا كلاَ، وفى وقتِ الزوال، وتحت أشعّة الشَّمس الحارقة. ولقد كانت حرارةُ الهَجير من الشِدّة فى ذلك الوَقت بحيث أنّ الشخص من الحاضرين فى ذلك المشهد كان يضع بعض عباءته تحت

(۱۹۵)

رجليه وبعضها فوق رأسه تَوقِّياً من شدّة الرَمضاء، وحرارة الشّمس. من الطبيعى أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يريد فى هذه الحالة الخاصّة، أن يقول ماله دورٌ مصيرىٌّ هامٌ فى هداية الاُمّة. ترى أى شىء يمكنه أن يكون له دور مصيرىٌّ وهامٌّ فى حياة المسلمين أكثر من تعيين القيادة التى توجب وحدةَ كَلِمةِ المسلمين، وتكونُ حافظة لدينهم. ب : لقد تحدّث رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قبل ذكر مسألة ولاية الاِمام على ـ عليه السلام ـ عَن أُصول الدين الثلاثة: التوحيد، والنبوّة، والمعاد، وأخَذَ من الناس الاِقرارَ بها، ثم طرَحَ مسألة ولاية الاِمام على ـ عليه السلام ـ بعد ذلك. إنّ التقارن بين إبلاغ هذه الرسالة وأخذ الاعتراف والاِقرار بالاُصول المذكورة يمكن أن يقودنا إلى معرفة أهميّة الرسالة التى أمَرَ النبىُّ بإبلاغِها إلى النّاس فى «غدير خم»، ويمكن معرفة أنّ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما كانَ يقصِد مِن ذلك الاِجتماع العظيم فى تلك الظروفِ الاِستثنائيّةِ والملابَسات الخاصّة التوصية فقط بمحبّة وموادّة شخصٍ معيّنٍ.. ج : قبل إبلاغ الرِسالة الاِلَهيّة فى شأنِ علىٍّ ـ عليه السلام ـ تحدَّثَ النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن ولاَيته ومولويَّتِهِ وقال: اللهُ مولاىَ وأنا مولى المُؤْمِنين، وأنا أولى بِهِمْ مِن أنْفسِهِمْ. إنّ ذكر هذه المطالب دليلٌ على أنّ «مولويّةَ الاِمام على ـ عليه السلام ـ » كانت من نمط وسنخ مولوية النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأنّ النبى أثبت بأمر الله تعالى مَولويّته

(۱۹۶)

وأولويّته بالاَمر لعلىّ أيضاً. د : إنّ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال بعد إبلاغ هذه الرِسالة الاِلَهيّة: فَلْيبلّغِ الشاهدُ الغائبَ.

الأَصلُ التاسعُ والثمانون: كفاءة الخليفة المنتخب قطعت كيد الأَعداء إنّ تاريخَ الإسلام يشهدُ بأنّ أعداء النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ استَخْدَموا كلَّ وسيلةٍ مُمكنةٍ لإطفاءِ نور الرسالةِ المحمديّة، وعَرْقَلَةِ مسير الدَّعوة الإسلاميّة بدءاً من اتّهام النبىّ الأَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالسِّحر والشعوَذة وانتهاءً بمحاولة اغتياله فى فراشه، ولكنّهم بفضل العناية الإلَهيّة، فشِلوا فى خُططهم جمعاء، وحفظ اللهُ نبيّه من كيد المشركين والكافرين ، فلم يبقَ لهم من أمل إلاّ أن يموتَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيطفئوا جَذوة دعوته، ويُخمدوا نورَ رسالته (خاصّة أنّه لم يُخَلّف وَلَداً من الذكور). وقد حكى اللهُ عن أمَلهم الشّرير هذا بقوله: (أَمْ يَقُولُونَ شاعرٌ نَتربَّصُ به رَيبَ المَنُونِ)(۱). ولقد كانت هذه التيّة الخبيثَة، وهذه الفطرةُ الشّريرةُ تراوِدُ ذهنَ الكثيرِ من المشركين والمنافقين، ولم يكن عددُهم بين أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بِقليلٍ. ولكنّ النبىَّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بِنَصبه خليفةً قوياً وجديراً بالخلافة يقودُ الأُمّة من

---

۱ . الطور | ۳۰ .

(۱۹۷)

بَعده وقد تحلّى بسوابق جهاديّةٍ وإيمانيّةٍ مشرقةٍ، وتمتّع بإيمانٍ، وصدقٍ، وثباتٍ فى سبيل الإسلام، فوّت الفرصة على المعارضين لرسالته وخيَّب آمالهم، وأبدلها باليأس والقنوط، وبهذا ضَمِنَ بقاء الدين، ورسّخ قوائِمَهَ وقواعده، وأكملَ اللهُ بتعيين القائدِ والخليفةِ نعمةَ الإسلام، ولهذا نزل قول الله تعالى ـ بعد نصبِ علىٍّ ـ عليه السلام ـ لخلافةِ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يومَ «غدير خم» ـ : (اليَوْمَ يئسَ الَّذينَ كَفَرُوا مِن دينكُمْ فَلاَ تَخْشَوهُمْ وَاخْشَونِ اليومَ أكمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلام دِينَاً)(۱).(۲)

---

۱ . المائدة | ۳

۲ . ولقد اعتبرَ فريقٌ من الصَحابة والتابعين الآية المذكورة مرتبطةً بواقعة «غدير خم» وذلك مثل: أبى سعيد الخدرى، وزيد بن الأَرقم، وجابر بن عبد الله الأَنصارى، وأبى هريرة، ومجاهد المكى.

وللوقوف على روايات الأَشخاص المذكورين حول الواقعة المذكورة راجع: كتاب «الولاية» لأَبى جعفر الطبرى، والحافظ ابن مردويه الاصفهانى برواية ابن كثير فى ج ۲، من تفسيره؛ والحافظ أبا نعيم فى كتاب «ما نزل من القرآن فى علىّ» والخطيب البغدادى فى ج ۸ من تاريخه، والحافظ أبا سعيد السجستانى فى كتاب «الولاية» والحافظ أبا القاسم الحسكانى فى «شواهد التنزيل»، وابن عساكر الشافعى برواية السيوطى فى «الدر المنثور» ۲ | ۲۹۵، والخطيب الخوارزمى فى كتاب «المناقب». وعباراتهم موجودة فى الغدير ۱ | ۲۳ـ۲۳۶.

وقال الفخر الرازى فى تفسيره (ج ۳ ص ۵۲۹) إنه لمّا نزلت هذه الآية على النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يعَمِّر بعدَ نُزولها إلاّ أحداً وثمانين يوماً أو اثنين وثمانين يوماً وَلَم يَحْصَل فى الشريعةِ بَعدها زيادة ولا نَسخٌ، وَلا تبديلُ البتّةَ.

فعلى هذا الأَساس لابُدّ مِنَ القول أنَّ هذه الآية نَزَلت يوم غدير خم. أى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة حجة الوداع. وحيثُ إنّ النبىَّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حسبَ رأى أهلِ السُّنّة توفى فى الثانى عشر من ربيع الأَوّل، وكانت الأَشهر الثلاثة (ذى الحجة، ومحرّم وصفر) ۲۹ يوماً صح أنّه توفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد نُزُول الآية المذكورة بـ ۸۱ يوماً (تفسير الفخر الرازى سورة المائدة، الآية الثالثة). (۱۹۸) ثم إنّ هناك ـ مضافاً إلى الرّوايات المتواترة المذكورة التى تُثبت أنّ مسألة خلافة النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مسألةٌ إلَهيّةٌ، وأنّه ليس للنّاس أىّ خيارٍ فيها ـ رواياتٍ تحكى عن أنّ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان منذ الأَيام الأُولى من دعوته فى مكّة، يوم لم تُشكَّلْ فيها حكومةٌ فى المدينة بعدُ، يرى أنّ مسألة خلافتهِ مسألةٌ إلَهيّةٌ يعود أمر البتّ والتعيين فيها إلى الله وحده دون غيره. فعندما أتى رئيس قبيلة «بنى عامر» إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى موسم الحج مَثَلاً، وقال:

أرأيتَ إنْ نَحنُ بايعناكَ على أمرِكَ، ثم أظهرَكَ اللّه على من خالَفَك، أيكونُ لنا الأَمرُ من بَعدك قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: الأَمرُ إلى اللهِ يَضَعُهُ حيثُ يَشاء(۱). إنّ من البديهيّ أنّ أمرَ مسألة القيادة والخلافَة إذا كانت متروكةً للنّاس، وانتخابهم لكانَ على النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يقول: «الأَمرُ إلى الأُمّة» أو «إلى أهلِ الحَلّ والعَقد» ولكن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قالَ غير هذا. وبذلك طابَقَ كلامُالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى شأنِ الخلافة كلامَ الله تعالى فى شأن الرسالةِ إذ قال: (اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)(۲).

---

۱ . سيرة ابن هشام: ۲ | ۴۲۲.

۲ . الأَنعام | ۱۲۴ .

الأَصلُ التسعون: تعيين الخليفة أصل متفق عليه

الأَصلُ التسعون: تعيين الخليفة أصل متفق عليه إنّ مَسألة تَنْصِيصيَّة مقام الخلافة، وأنّه ليس للأُمّة أيُّ خيار ولا أىّ دور فى تعيين خليفةٍ لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان فى ذِهن الصَّحابة أيضاً. نعم كان فى نظرهم هو أن ينصَّ الخليفةُ السابقُ على الخليفة اللاّحِق بدل نَصّ اللهِ ونبيّه، ولهذا نرى ـ كما هو من مسلّمات التاريخ الإسلامىّ ـ أنّ الخليفةَ الثانى تمّ تعيينهُ ونصبهُ فى منصب الخلافةِ بِنصٍ من الخليفةِ الأَوّل. إنّ تصوّر أن تعيينَ الخَلِيفَةَ الثانى بواسطة أبى بكر لم يَكنْ قراراً قطعيّاً، بل كان من بابِ «الاقتراح»، يخالف ما ثبت من التاريخ، فإنّ الخليفة الأَوّل كان لا يزال على قيد الحياة عندما اعترَض جماعةٌ من الصحابة على هذا التعيين والنصب، وكان «الزبير بن العوام» أحد أُولئك المعترضين على أبى بكر فى هذا التعيين، والنصب.(۱) وإنّ من البديهىّ أنّه لو كانَ تعيينُ أبى بكر لِعُمر بن الخطاب مِن باب مجردَّ الاقتراح والترشيح حسب، لما كان لاعتراض الصحابة عليه أىّ مجالٍ ولا مبرّر. هذا مضافاً إلى أنّ الخليفة الثالث هو الآخر تمّ تعيينُهُ عن طريق شورى تألَّفَتْ من (۶) أشخاص عيَّنهُمُ الخليفةُ الثانى، وكانَ هذا نوعاً مِن تعيين الخليفة الّذى مَنَع الآخرين من مراجعة الرأى العامّ. على أنّ فكرةَ مراجَعة الرأى العامّ، واختيار الخليفة بواسطة الناس لم يَرِدْ فى خَلَدِ أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أساساً، وما ذُكِرَ فى هذا الصعيد فيما

---

۱ . الإمامة والسياسة: ۱ | ۲۴ ـ ۲۵ .

(۲۰۰)

بعد إنّما هو من تبريرات العُلماء والمفكرين، وأمّا من يشار إليهم من الصحابة فقد كانوا يَعتقدون بأنّ الخليفة يجب أن يُعيَّن ويُنصَب من قِبَل الخليفةِ السابق لا غير. وللمثال عندما جُرح الخليفةُ الثانى، بَعَثَتْ عائشةُ زوجةُ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رسالةً شفويّة إلى الخليفة الثانى بواسطة ابنه «عبدِ الله» إذ قالت له: يا بُنَيّ أبلغ عمرَ سلامى وقل له: لا تَدَعْ أُمّة محمد بلا راعٍ، إستَخْلِفْ عَلَيْهم، ولا تَدَعْهُمْ بَعدَك هَمَلاً، فإنّى أخشى عَلَيْهِمُ الفِتْنَةَ.(۱)

فأتى عبد الله أَباه وكان طريحَ الفراش فحثّه على تعيين الخليفة من بَعده قائلاً: إنّى سَمِعْت النّاسَ يقولون مقالةً فآليتُ أن أقولها لك وَزَعَمُوا أنّك غير مُسْتَخْلِفٍ وأنّه لو كان لك راعى إبِل ـ أو راعى غَنَم ـ ثم جاءَك وتَرَكَها لرأيتَ أن قدْ ضَيَّعَ فَرِعايةُ النّاسِ أشدُّ.(۲)

الأَصلُ الواحدُ والتسعون: ما هى وظائف الإمام بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ؟ أشرنا فى مطلع بحث الإمامة إلى أنّ خليفة النبى والإمام إنّما هو فى نظر المسلمين من يقوم بوظائف رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (ما عدا تلقى الوحى والإتيان بالشريعة) ونورد هنا أبرز هذه الوظائف لتتبيّن مكانة الإمامة وأَهميتها بصورة أوضح.

---

۱ . الإمامة والسياسة: ۱ | ۲۸ .

۲ . حُلية الأولياء: ۱ | ۴۴.

(۲۰۱) ألف : تَبيين مفاهيم القُرآن الكَريم وحلّ مُعضلاته، وبيان مقاصده، وهذا هو من أبرز وظائف النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويقول عنها القرآن الكريم: (وَأَنزَلْنا إِلَيْكَ الـذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ للنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم)(۱). ب: بيانُ الأحكام الشرعية، فقد كانَ هذا العَمَل من وظائفِ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حيث كان يقوم بذلك عن طريق تلاوة الآيات المتضمنة للأحكام حيناً وعن طريق السّنة حيناً آخر. ثمَّ إنّ بَيان الأحكام من جانب النبىّ تم بصورةٍ تدريجيّة، ومتزامناً مع وقوع حوادثَ جديدةٍ، وظهورِ إحتياجات حديثة فى حياة الأُمّة، ومثل هذا الأمر يقتضى بطبيعته أن تستمر هذه الوظيفةُ، لعدم انحصار الحاجات بما حدث فى عصره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، هذا من جانب. ومن جانب آخر لا يتجاوز عددُ الأحاديث الّتى وَصَلت إلينا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حول الأحكام (۵۰۰) حديث(۲) ولا شك أنّ هذا القدر من الأحاديث الفقهية لا تسدُّ حاجة الأُمّة المتنامِية، ولا توصلُها إلى مرحلة (الإكتفاءِ الذاتىّ) فى مجال التقنين. ج : حيث إنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان محوراً للحق، وكان بتعليماته، يمنع من تطرّق أىّ انحرافٍ، وتسرّبِ أىّ إعوجاجٍ فى عقائد الأُمّة، لهذا لم يحدث أىُّ تفرّقٍ عقائدىّ، وأى تشتُّتٍ مذهبىّ فى عَصره أو لم يكن هناك أَرضية لظهور ذلك.

---

۱ . النحل | ۴۴ .

۲ . الوحى المحمدى ص ۲۱۲، الطبعة السادسة.

(۲۰۲) د : الإجابة على الأسئلةِ الدينيّة والإعتقادية، فقد كان هذا العملُ هو الآخر من وظائف النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الهامَّة. هـ: إقامةُ القِسطِ والعَدل والأمن العامّ الشامل فى المجتمع الإسلامىّ، وظيفة أُخرى من وظائف النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. و: حِفظُ الثغور، والحدُود، والثروة الإسلاميّة تجاه الأعداء هو أيضاً من مسؤوليات النبى الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، ووظائفه. إنّ الوظيفتين الأخيرتين وإن أمكن القيام بهما من قِبَل الخليفة الذى تختارهُ الأُمّة، لكن من المُسَلَّم والقطعىّ أنّ القيامَ بالوظائِفِ السّابقة (وهى بيانُ مَفاهيم القرآنِ الكريم الخفيّة، الغامِضَةِ، وبيانُ أحكام الشَّرع و.. و...) يَحتاج إلى قائد واعٍ خبيرٍ، يكون موضعَ عناية الله الخاصّة، كما يكون فى عِلمِهِ صنوَ النبىّ ونظيرهُ، أىْ أن يكون حاملاً للعلوم النَبَوّية ومَصُوناً من كل خطأ وزلل، ومعصوماً من كلّ ذنبٍ وخطلٍ، ليستطيع القيامَ بالوظائف الجسيمة المذكورة، وليملأَ الفراغ الذى أحدثه غيابُ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بسبب وفاته، فى الظروف الزاخرة بالأحداث الحُلوة والمرَّة، وبالوقائع الحرجة. إنّ من البديهىّ أنّ تَشخيصَ مثلِ هذا الشخصِ، والمعرفة به لإيكال منصب القيادة إليه، خارجٌ عن حدود عِلمِ الأُمّةِ ونِطاق معرفتها ، ولا يمكن أن يتُمَّ بغير رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبالأمر الإلَهىّ وتعيينهما إيّاه. ومنَ الواضح أيضاً أنّ تَحقُّق الأهداف المذكورةِ رهنُ حماية النّاس، واستجابتهم وإطاعتهم للقائد المعيَّن، بواسطةِ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومجرّدُ التعيين الإلَهىّ والنصّ النبوىّ عليالخليفة لا يكفى لِتحقّقِ الأهداف والوظائف

(۲۰۳)

السالفة. (إذ لا رَأىَ لِمَنْ لا يُطاع). وهذا جارٍ حتّى فى القرآن الكريم والنبىّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نفسِه، فإنّهما ما لم يُطاعا لا تتحقّق أهدافهما. إنّ الحَوادِثَ السَلْبِيَّةَ، وتشتّتَ كلمة المسلمين الذى حَدَثَ بعد وفاة رسولِ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يكن بسبب أنّ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يقُم بوظيفته الحكيمة (والعياذ بالله)، ولا لأجل أنّه لم يُعرِض على المسلمين أُطروحةً موضوعية وحكيمة لإدارة الأُمّة من بعده، أو أنّ أُطروحتَه كانت أُطروحةً ناقصة، بل حدث ما حدث مِنَ المشاكل الأليمة بِسبب أنّ بعضَ أفراد الأُمّة رجَّحُوا نَظَرَهم على نَظَر النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وقدّموا مَصالحهم الشخصية على تنصيص الله

ورسولِهِ وتعيينِهما. ولم يكنْ هـذا هو المورد الوحيـد الـذى حـدثت فيه مثلُ هـذه الواقعـة فى التاريخ بل لذلك نظائرُ عديدة فى تاريخ الإسلام.(۱)

الأَصـلُ الثّانى والتِسعون: لُزُوم عِصـمَةِ الإمام أثبتنا فى الأَصْل السّابق أنّ الامام والخليفـة ليس قائـداً عاديّاً، يقـدر على إدارة دفّة البلاد اقتصاديـاً، وسياسـيّاً، وحفـظ ثغور البلاـد الإسـلامية تجاه الأَعـداء فقط، بل ثمّت وظائف أُخرى يجب أن يقومَ بها مضافاً إلى الوظائف المذكُورة. وقد أشرنا إليها فى الأَصل السابق.

---

۱ . راجع كتاب «النَصّ والإجتهاد» تأليف العلاّمة السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملى.

 إنّ القيام بِهـذه الوَظائف الخطيرة مثل تفسير القرآن الكَريم، وبَيان الأَحكام الشـرعيّة، والإجابـة على أسـئلة الناس الإعتقادية ، والحيلولة دون تسرّب الانحراف إلى العقيدة، والتحريف إلى الشـريعة، رهنُ علم واسعٍ، لا يخطئ ولا يتطرّق إليه الاشتباهُ، والأَشخاص العـاديّون إذا تَوَلَّوا هـذه الأُمور لن يكونوا فى مأمنٍ عن الخطأ والزللِ. على أنّه يجب أن نَعلمَ بأنّ العصـمة لا تساوى النبوّة، ولا تلازمُها ولا تسـتلزمها، لأنّه ربما يكونُ الشـخص معصوماً عن الخطأ ولكن لا يتمتع بمقام النبوة أى لا يكون نبياً. وأوضحُ نموذجٍ لذلك السيدةُ مريم العـذراء التى مرّت الإشارةُ إلّى أدلّـة عصـمتها، عنـد الحديث عن عصـمة الأَنبياءِ والرُسُل.(۱) ثم إنّ هنـاك ـ مضافـاً إلى التحليل والاسـتدلال العقلى السابق ـ أُموراً تدلُّ على عصـمةِ الإمام نذكر هنا بعضها: ۱. تعلّق إرادة الله القطعيّة والحتمية بطهارة أهل البيت عن «الرجس» كما قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيـدُ اللهُ لِيُـذهِبَ عَنكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً)(۲). إنّ دَلالَة هذه الآية على عِصـمة أهل البيت: تكونُ على النحو التالى: إنّ تعلّق إرادة الله الخاصّـة بطهـارة أهـل البيت من أى نـوعٍ من

---

۱ . راجع كتاب الإلَهيّات، تأليف صاحب هذه الرسالة: ۲ | ۱۴۶ ـ ۱۹۸ .

۲ . الأَحزاب | ۳۳ .

أنواع الرّجس يلازمُ عصـمَتهم مِن الذُنوب والمعاصـى، لأنّ المقصودَ مِن تطهيرهم من «الرّجس» فى الآية هو تطهيرهم من أىّ نوعٍ مِن أنواع القـذارة الفِكريـة والرُّوحِيَّة، والعَمَليّة التى من أبرزهـا المعاصـى والـذُنوب. وحيث إنّ هـذه الإرادة تعلّقَتْ بأفراد مخصوصـين لا بجميع الأَفراد، فإنّها تَختَلِف عن إرادة التطهير التى تعَلّقت بالجميع بـدونِ إسـتثناءٍ. إن إرادةَ التَّطهير التى تَشـملُ عامّـة المسـلمين إرادةٌ تشريعيةٌ(۱) ومـا أكثر الموارد الّتى تتخلّف فيهـا هـذه الإرادةُ، ولاـ تتحقق بسـبب تمرّد الأَشـخاص، وعـدم إطـاعتهم للأَوامر والنواهى الشـرعية فى حين أنّ هذه الإرادة إرادةٌ تكوينيّةٌ لا يتخلّف فيها المرادُ والمتعلَّقُ (وهو العصـمة عن الذَّنب والمعصية) عنها أبداً. والجدير بالـذكر أن تعلّق الإرادة التكوينيّة الإلَهيّة بعصـمة أهل البيت: لا توجبُ سَـلب الإختيار والحريّة عنهم تماماً كما لا يوجب تعلّق الإرادة التكوينية الإلَهيّة بعصـمة الأَنبياء سـلبَ الإختيار والحرية عن الأَنبياء أيضاً (وقد جاءَ تفصيل هذا الموضوع فى كتب العقائد). ۲. إنّ أئمة أهـل البيت: يمثّلون بحكم حـديث الثقلين الـذى قال فيه رسولُ الله: «إنى تاركٌ فيكمُ الثَّقَلَين كتابَ الله وعترتى» عِـدلَ القرآن الكريم، يعنى أنّه كما يكون القرآنُ الكريمُ مصوناً من أىّ لونٍ من ألوانِ

---

۱ . (وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهّرَكُمْ) (المائدة | ۶) .

الخطأ والإشـتباه، كـذلك يكون أئمـة أهـلِ البَيت مصونين من أىّ لونٍ من ألوانِ الخطأ الفكرى، والعملى، ومعصومين من أىّ نوعٍ من أنواعِ الزَلَل والخَطَل. وهـذا المطلب واضـحٌ تمامَ الوضوح، إذا أمعنّا فى العبارات التى جاءت فى ذيلِ الحَـديث المـذكور. ألف: «ما إنْ

تَمَسَّكْتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلّوا أَبَداً». ب: «إنَّهما لَنْ يَفْتَرِقا حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوضَ». لاَنّ ما يكون التمسُّكَ به موجباً للهداية وأنه لا يفترق عن القرآن (المصون والمعصوم) مَصُونٌ ومعصومٌ هو كذلك . ۳. لقد شَبَّهَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أهلَ بيته بسفينةِ نوح التى ينجو من الغرق من رَكِبها ويغرق فى الاَمواج من تخلّف عنها، إذ قال: «إنّما مَثَلُ أهل بَيْتى كَسَفينَةِ نُوْحٍ مَن رَكِبها نَجا وَمَنْ تخلَّفَ عَنهاَ غَرِقَ»(۱). بالنَظَر إلى هذه الاَدلّة الّتى بيّنها بصورةٍ موجزةٍ تكونُ عصمة أهل البيت واضحةً، وحقيقةً مبرهَناً عليها. ومن الجدير بالذِّكر أنّ الاَدلّةَ النَقليّة على عِصمة أهل البَيت: لا تنحصر فى ما ذكرناه.

---

۱ . مستدرك الحاكم: ۲ | ۱۵۱، والخصائص الكبرى للسيوطى: ۲ | ۲۶۶ .

(۲۰۷) الاَصلُ الثالثُ والتسعون: الاَئمةِ الإثنا عشر إنّ معرفةَ الإمام تُمكِنُ مِن طريقين: ألف: نَصُّ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على إمامة شخصٍ خاصٍ. ب : نَصُّ الإمام المعصومِ السابِق على الإمام اللاحِق. إنّ إمامة الاَئمة الاثنى عَشَر ثَبتت من خلال الطَريقين المذكورَين معاً أى عن طريق نصّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حسب الرّوايات المرويّة عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى هذا المجال. وكذا عن طريق الاَئمة:، حيث نصّ الإمامُ السابق على الإمام اللاحق. ونحن رِعايةً للإختصار نوردُ هنا حديثاً واحداً فى هذا الصَعيد(۱) تفيد أنّ النبىّ الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يكتف بنَصب علىّ ـ عليه السلام ـ، بل ذكّر بأنّه سَيخلفهُ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ اثنا عشر إماماً تتحقّق بهم عزةُ الإسلام إذ قال: «لا يَزالُ الدّين مَنيعاً إلى اثنَىْ عَشَر خَليفةً». وقد وَرَدت هذه الاَحاديث الدالة على وجود اثنى عشر خليفة فى أوثق صحاح أهل السنة أيضاً.(۲_____)

۱ . للإطلاع على بقيّة الاَحاديث فى هذا المجال يراجع كتب الحديث مثل أُصول الكافى، كفاية الاَثر ، إثبات الهداة، ومنتخب الاَثر، وغيرها.

۲ . صحيح البخارى، ۹ | ۸۱، باب الاستخلاف؛ وصحيح مسلم ۶ | ۳، كتاب الامارة؛ ومسند أحمد ۵ | ۸۶ ـ ۱۰۸ ؛ ومستدرك الحاكم ۳ | ۸۱ .

(۲۰۸) ومن المُسلَّم أنّ هؤلاء الخُلَفاء الاثنى عشر الذين تتوقّف عليهم عزّة الإسلام ومنعتهُ ومضاؤه، لا تنطبق صفاتهم إلاّ على أئمة الشيعةِ الاثنى عَشَر إذ لم تكن تلك الاَوصاف تتوفر فى الخلفاء الاُمويين ولا العباسيين قط. وأئمة الشّيعة الاثنا عشر هم: ۱. أميرُ المؤمنين علىُّ بنُ أبى طالب (المولود قبل البعثة بعشر سنوات والمستشهَد عام ۴۰ هجرى) والمدفون فى النجف الاَشرف . ۲. الإمامُ الحسَنُ بن على (المجتبى) (۳ ـ ۵۰ هـ ق) المدفونُ فى البقيع بالمدينة. ۳. الإمامُ الحسين بن على سيدُ الشهداء (۴ ـ ۶۱ هـ ق) المدفون فى كربلاء. ۴. الإمامُ علىُّ بن الحسينُ بن على زينُ العابدين (۳۸ ـ ۹۴ هـ ق) المدفون فى البقيع. ۵. الإمامُ محمدُ بن على باقرُ العلوم (۵۷ ـ ۱۱۴ هـ ق) المدفون فى البقيع. ۶. الإمامُ جعفرُ بنُ محمد الصادقُ (۸۳ ـ ۱۴۸ هـ ق) المدفونُ فى البقيع. ۷. الإمامُ موسى بنُ جعفر الكاظمُ (۱۲۸ ـ ۱۸۳ هـ ق) المدفونُ فى الكاظمية قرب بغداد. (۲۰۹) ۸. الإمامُ علىُّ بن موسى الرضا (۱۴۸ ـ ۲۰۳ هـ ق) المدفونُ فى خراسان بإيران. ۹. الإمامُ محمدُ بن على الجوادُ (۱۹۵ ـ ۲۲۰ هـ ق) المدفونُ فى الكاظمية. ۱۰. الإمامُ علىُّ بن محمد الهادى (۲۱۲ ـ ۲۵۴ هـ ق) المدفونُ فى سامراء بشمال بغداد. ۱۱. الإمامُ الحسنُ بنُ على العسكرىُ (۲۳۳ ـ ۲۶۰ هـ ق) المدفونُ فى سامراء. ۱۲. الإمامُ محمدُ بنُ الحسن المعروف بالمهدىِّ، والحجة ـ عجّل الله فرجَه الشريف ـ وهو الإمامُ الثانى عشر، وهو حىٌّ حتى يظهر بأمر الله (طبقاً للوعودِ الواردةِ فى القرآنِ فى سورة النور | ۵۴، وسورة التوبة | ۳۳ وسورة الفتح | ۲۸ وسورة الصف | ۹) ويقيم الحكومة الإلَهيّة على كلّ الكرةِ الاَرضيّةِ(۱). ولقد جاءَت تفاصيلُ حياة أئمةِ الشيعة الاثنى عشر فى كتب التاريخ والسيرة وحيث إنّ الإمام الثانى عشر لا يزال حيّاً، ويتولّى منصبَ الإمامة بإرادةِ الله تعالى، لهذا سنَذكر نقاطاً حولَ هذا الإمام فيما بعد.

---

۱ . قد وقع بعض الاختلاف فى تواريخ وفيات ومواليد بعض الاَئمة وقد اخترنا احدها، كما انّ التاريخ يثبت انّ أغلب هؤلاء الاَئمة

قضوا شهداء.

(٢١٠) الأَصلُ الرابع والتسعُون: مودّة أهل البيت : إنّ محبَّةَ أهلِ البَيت: من الأُمور الّتى أكَّد عليها القرآنُ والسُنَّة كما قالَ تعالى: (قُل لاَّ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فى الْقُرْبَى)(١). والمقصودُ من «القُربى» هم أقرباءُ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بقرينة أن طالِبَ هذا الأَمر هو النبىُّ نفسه. إنّ محبّة أهلِ البَيت وموادَّتهم ـ مضافاً إلى كونها كمالاً كبيراً ـ تسبّب فى أن يحاولَ الشخصُ المحبُّ أن يجعل نفسَه مشابِهاً للمحبوب، ويقتدى به فى كَسب الفضائِل، والإجتناب عن الرَّذائل. ولقد جاء فى الأَحاديث المتواترةِ الصادرةِ عن النبىّ الأَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأنّ محبة أهلِ البَيت علامةُ الإيمان، وبغضَهم علامةُ النّفاقِ والكفر، وأنّ من أحبّهم فقد أحبَّ الله والنبىّ، وأنّ مَن عاداهم فقد عادى اللهَ ورسولَه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

---

١ . الشورى | ٢٣ .

(٢١١)

الإمامُ الثانى عشر

الإمامُ الثانى عشر

الغَيبةُ والظُهور

إنّ الحَديثَ حولَ كلّ واحدٍ من هؤلاء الأَئمةِ الاثنى عشر خارجٌ عن نِطاق هذه الرّسالة المختصرة، وإنّما تجدر الإشارةُ إلى مسألة أُخرى وهى: مسألةُ الإعتقاد بوجود إمام العَصْر الذى يقضى أيامَ حياته خَلف ستار الغيبة، ريثما يأذنُ الله له بالظهور فيملأَ الأَرضَ قسطاً وعَدلاً بعد أن مُلِئتْ ظُلماً وجَوراً، ويقيمَ حكومَةَ الله على المعمورة جمعاء، وفيما يلى بعضُ النقاط حول هذه المسألة.

الأَصلُ الخامسُ والتسعون: ظهور مصلح عالمى فى آخر الزمان إنّ ظهورَ رجلٍ من أهل بَيت الرِّسالة لإقامة حكومة الله العادلة العالَميّة فى مُستقبل الحياةِ البَشريّة (بَعد أن تُملأَ الأَرضُ ظلماً وجَوراً) مِن مُسَلَّماتِ العقائِدِ الإسلامية التى اتّفقَ عليها جمهورُ المُسْلمين، ونقلوا فى هذا المجال أحاديث بَلَغَتْ حَدَّ التواتر. (٢١٢) فهناك ـ طبق بعض إحصاءات أهلِ التحقيقِ من العُلَماء ـ حوالى ۶۵۷ حديثاً حول هذه المسألة نذكر منها حديثاً واحداً رواه «أحمدُ بن حنبل» فى مسنده: قالَ النَبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنيا إلاّ يومٌ واحِدٌ لَطَوَّل اللهُ ذلك اليومَ حَتّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ وُلْدِى فَيَمْلأُها عَدْلاً وقِسطاً كما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً».(١) وعلى هذا الأَساس يكونُ قيامُ رَجُلٍ من أهلِ البيت النَبَوىّ وظَهورُهُ فى آخِر الزمان موضعَ اتفاقٍ بين المسلمين شيعةً وسنةً. الأَصلُ السادسُ والتِسعونَ: المصلح العالمى هو الإمام المهدى ـ عجل الله فرجه الشريف ـ لقد جاءَت خصوصياتُ هذا المصلِح العالَمىّ فى الرّوايات الإسلامية نَقَلها الفريقان، وهى على النحو التالى: ١. أنّه من أهل بيت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ٣٨٩ رواية . ٢. أنّه من أولاد الإمام على ـ عليه السلام ـ ٢١۴ رواية . ٣. أنّه من أولاد فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ ١٩٢ رواية . ۴. أنّه تاسع وُلد الحسين ـ عليه السلام ـ ١۴٨ رواية .

---

١ . مسند أحمد بن حنبل: ١ | ٩٩ و ٣ | ١٧ و ٧٠ .

(٢١٣) ۵. أنّه من أولاد الإمام على بن الحسين ـ عليه السلام ـ ١٨۵ رواية . ۶. أنّه ابن الإمام الحسن العسكرى ١۴۶ رواية. ٧. أنّه الثانى عشر من أئمة أهل البيت ١٣۶ رواية. ٨ . الرّوايات التى تتحدّث عن ولادته ٢١۴ رواية . ٩. الرّوايات التى تقول: إنّه يعمّر طويلاً ، ٣١٨ رواية. ١٠. الرّوايات التى تقول : إنّ غيبته ستكون طويلة ، ٩١ رواية . ١١. الرّوايات التى تقول: إنّ الإسلام سيصير عالمياً عند ظهوره، ٢٧ رواية. ١٢. الرّوايات التى تقول : إنّ الأَرض ستُملأُ عَدلاً وقِسطاً عند ظهوره، ١٣٢ رواية. وعلى هذا الأَساس فإنّ وجود مثل هذا المصلح العالمى فى مستقبل البَشَرية أمر مقطوعٌ به ومسلَّمٌ من حيث الرّوايات والأَحاديث الإسلامية بحيث لا يمكن الشكّ أو

التشكيك فيه. وأما ما وَقَعَ الخلافُ فيه فهو ولادته، وأنّه هل وُلِدَ هذا الرَّجُل من أمّه ولا يزال منذُ ولادَته حَيّاً، أم أنّه سيولد فى المستقبل؟ يذهب الشِّيعة وفريقٌ من أهل التحقيق من أهل السُّنّة إلى الرأى الأوّل، فيعتقدون بَأنّ الإمامَ المهدىّ وُلِدِ من أُمّه (نرجس) عام ۲۵۵ هـ وهو لا يزال حَيّاً إلى هذا اليوم. (۲۱۴) وذهَبَ فريقٌ من أهلِ السّنة إلى أنّه سيُولَد فيما بعد. وحيث إنّنا نحن الشيعة نعتقدُ بأنّ الإمامَ المهدىَّ ـ عليه السلام ـ وُلِدَ عام ۲۵۵ هجرية، وهو لا يزال على قيد الحياة إلى هذه الساعة، لهذا لابدّ من أن نذكّر بنقاط حول غيبته وطول عمره فى هذه الرسالة فى حدود ما يسعُه هذا المختصرُ.

الأصلُ السابعُ والتسعون: الإمام المهدى وليّ إلهىّ غائب عن الأنظار إنّ أولياءَ اللهِ ـ حَسْب نَظَر القرآن ـ على نوعين: وَليٌّ ظاهرٌ يعرفُه الناسُ . ووَليٌّ غائبٌ عن أنظارِ الناس لا يعرفُه أحدٌ منهم، وإن كان يعيشُ بينَهم، ويعرفُ هو أحوالَهُمْ وأخبارهم. وقد ذُكر فى سورة الكَهف كلا النوعين منَ الأولياء فى مكانٍ واحدٍ أحدهما «موسى بن عمران» والآخر مصاحبُهُ ورفيقهُ المؤقّت، الذى صحِبَه فى سَفَره البرّى والبَحْرى، ويُعْرَف بالخِضر. إنّ هذا الوليّ الإلَهىَّ كانَ بِحَيْث لم يعرفُه مصاحِبهُ ومرافِقُه النبيُّ موسى وإنّما صاحَبَه ورافقه بتعليم وأمرٍ من الله، واستفاد من عِلمه خلال مرافَقَته إيّاه كما يقول تعالى: (فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا ءاتَيْناهُ رَحْمَةً مّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْناهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلّمَنِ ممَّا عُلِّمْتَ

(۲۱۵)

رُشْداً)(۱). ثم إنّ القرآنَ الكريم يُقَدّم شرحاً مفصّلاً عمّا فَعَله هذا الوليُّ الإلَهىّ من أعمال مفيدة، ذلك الذى لم يكن أحدٌ حتى النبى موسى ـ عليه السلام ـ يَعرفهُ، ولكن كانوا يَستفيدون من آثار وجوده المبارك ومن أفعاله المفيدة(۲). إنَّ الإمامَ المهدىّ عَجَّل الله فَرَجَه الشَّريفَ على غرارِ مرافق موسى ـ عليه السلام ـ وليٌّ غيرُ معروف للنّاس مع أنّه فى نفس الوقت منشأ لآثار طيبة للأُمّة. أى لا يعرفهُ أحَدٌ منهم مع أنّهم يَستَفيدون مِن بركات وجودهِ الشريف. وبهذا لا تكونُ غيبةُ الإمام المَهَدىّ عجّل الله فرجَه الشريفَ بمعنى الإنفصال عن المجتمع، بل هو ـ كما جاءَ فى روايات المعصومين: ـ كذلك مثل «الشَمس خَلفَ السَحاب لا تُرى عينُها، ولكنها تبعَث الدفءَ والنورَ إلى الأرض وساكِنِيها»(۳). هذا مضافاً إلى أنّ فريقاً من الأبرار والطيّبين الأتقياء الذين كانوا يَتمتّعون باللياقة والأهليّة للتشرّف بِلقاءِ الإمام المهدىّ قد رأوه وَالتَقَوْا به واستفادوا مِن إرشاداته، وعُلُومِه، واسْتفادَ الآخرون من هذا الطريق، من آثارهِ المباركة وبركات وجوده الشريف.

---

۱ . الكهف | ۶۵ ـ ۶۶ .

۲ . راجع سورة الكهف، الآيات ۷۱ ـ ۸۲ .

۳ . كمال الدين، للشيخ الصدوق، الباب ۴۵، الحديث ۴، ص ۴۸۵ .

(۲۱۶)

الأصلُ الثامنُ والتسعون: وكلاء الإمام المهدى ـ عجل الله فرجه الشريف ـ إنّ الطَّريقة المتعارَفة والمَعْمُول بها بين البشر ـ ماضياً وحاضراً ـ هو أنّ الحاكمَ والقائد يقوم ببعض الأعمال بنفسه مباشرةً، ويقومُ بالبعض الآخر وكلاؤُهُ ونوّابه. صحيح أنّ عِلَلاً مختَلِفَة تَسَبَّبت فى غيبة الإمام المَهْدى عجّل الله فَرَجَه الشريف فحُرمت البشريةُ من الاستفادة المباشرة من ذلك الإمام ولكنه ولحسن الحظ لم يُغلَقْ بابُ الاستفادة من وُكَلائه ونوّابه ـ وهم الفقهاء العُدول الأتقياء ـ فى وجه أتباعه، ومريديه. فالفقهاء والمجتهدون الأجِلّة كانوا ولا يَزالون نُوّابَ الإمام المهدىّ الذين أوكَلَ أمرَ بَيان الأُمور الشَرعية والحكوميَّة وإدارة شؤون المجتمع الإسلامى فى عصر الغيبة إليهم. هذا مع العلم بأنّ حرمان الأُمّة الإسلامية من آثار حضور الإمام المهدى كان لعلل وظروف خاصة جَعَلت غيبتَه أمراً لا مناص منه.

الأصلُ التاسعُ والتسعون: غيبة بعض الأنبياء والأولياء فى الأُمم السابقة إنّ علّة غَيبة الإمام المَهدىّ عَجّل الله فرجَه الشريفُ هى من الأسرار الإلَهيّة التى لا نستطِع الوقوف على حقيقتها وكنهها، كما أنّ لهذه الغَيبة المؤقتة نظائر فى حياة أولياء الله السابقين والأُمم

السابقة. (۲۱۷) فقد غابَ النبيُّ موسى الكليمُ ـ عليه السلام ـ عن أمّته أربعين يوماً، وقضى كلَّ هذه المدة فى الميقات(۱). وغاب السيدُ المسيح ـ عليه السلام ـ بمشيئة الله عن أنظار أُمّته، فلم يقدر أعداؤُه على قَتْله، والقضاء عليه(۲). وغاب النبيُّ يونس ـ عليه السلام ـ عن قومه مدّةً من الزَمان(۳). إذن فليست غيبةُ الإمام المهَدى ـ عليه السلام ـ عن أنظار الناس بدعاً من الأَمر كما لا يصحّ أن تَقَعَ هذه الغَيبة مهما طالت ذريعةً لإنكار أصل وجودِ المهَدىّ ـ عليه السلام ـ وأساساً إنّ كلَّ ما يثبُتُ عن طريق النقل المتواتر، ولكن لا يقدر الإنسان على التحقّق منه، ومشاهدته لا يجوز له أن ينكره أو يتردّد فى القبول به مادام رُوِىَ ونُقِلَ بالتّواتر الموجب للاطمئنان، لأنّ قِسماً من الأَحكام الإلَهيّة التى هى من مسلّمات الدين الإسلامىّ وضروريّاته سيتعرَّض للترديد والإنكار إذا تجاهَلْنا هذه القاعدةَ العقلائيةَ الصائبةَ، وهذا الأمر العرفى المعقول جداً. وغيبةُ الإمام المهدىّ عجل الله فرجَه الشريف ليس بمستثنىً من هذه القاعدة، وعَدَم الإطلاع على سِرّها أو أسرارها الحقيقية لا يجوزُ الترديدُ فيها، وإنكارُها.

---

۱ . لاحظ الأعراف | ۱۴۲ .

۲ . لاحظ النساء | ۱۵۸ .

۳ . لاحظ الصافات | ۱۴۰ .

(۲۱۸) ومع ذلك فإنّنا يجب أن نقول: إنّه من الممكن إدراك سرّ الغيبة هذه فى حدود فكرِنا البشرىَّ وهذا السِرّ هو ما يلى: حيث إنّ آخرَ حُجَّةٍ من حَجَج الله وآخر إمامٍ من أئمة أهلِ البيت قد أرادَ اللهُ تعالى أن يُحقّق به الأُمنيةَ الكبرى (وهى بسط العدل والقسط ورفع راية التوحيد على كل ربوع الأرض) وهذه الأُمنية الكبرى وهذا الهدف العظيم لا يمكن أن يَتحقق إلّا بعد مرور ردح من الزمان، وإلّا بعد تكاملِ العقلِ البَشَرىّ وتهيّؤِهِ الروحىّ والنفسِىّ لذلك، حتى يستقبلَ العالَمُ ـ بشوقٍ ورغبةٍ ـ موكبَ الإمام والمصلح العالمىّ، موكبَ العَدلِ والحريّةِ والسلام، لهذا فإنّ منَ الطبيعىّ أنّ هذا الإمام لو ظَهَرَ بين النّاس، وعاشَ بين ظهرانيّهم قبلَ نُضُوج الأمر، وحصولِ المقدّمات اللازمة، والأرضيّة المناسبة، كان مَصيرُه ومآلُهُ، مصيرَ من سَبَقه من آبائه من الأئمةِ الكرام البرَرَة (أى الشهادة)، ولَقُتل ـ عليه السلام ـ قبل أن يتحقّق ذلك الهدفُ العظيم، وتلك الأُمنيّة الكبرى على يديه. ولقد أُشير إلى هذه الحكمة فى بعض الرّوايات الصادِرةِ عن أهل البَيْت: أيضاً. فقد رُوى عن الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ أنّه قال: «إنّ لِلْقائِم غَيْبَةً قَبْلَ ظُهُورِهِ». يقول الراوى: قلتُ: ولِمَ؟ فقالَ الإمامُ الباقر: «يَخافُ (أى القتل)»(۱).

---

۱ . كمال الدين للشيخ الصدوق، ص ۴۸۱، الباب ۴۴، الحديث ۸ .

(۲۱۹) أى منعاً من أن يُقتَل قبل تحقّق الهدفِ المنتظَرَ منه. وَرُبّما ذُكِرَ وجهٌ آخر لغيبته فى بعض الرّوايات وهى إختبارُ النّاس وتمحيصُهم، وامتحانهم، يعنى أنّ الناس يُختَبرون فى عَصر الغَيبة، ويمرُّون بالإمتحان الإلَهىّ، ويُعرَفُ مدى ثباتهم على طريق الإيمان، ومدى استقامَتهم فى طريق الإيمان والعقيدة.(۱)

الأصلُ المائة: وجود الإمام المعصوم لطف إلهى فى حضوره وغيابه إنّ البراهينَ الكلاميَّة ترى أنّ وجودَ الإمام المعصوم فى المجتمع، وحضورَه بين الناس لُطفٌ من ألطاف الله الكبرى لكونه سبباً لِهداية الناس. ومِنَ البديهىّ أنّ النّاسَ إذا رَحَّبوا بهذا المظهر البارزِ مِن مظاهر اللُطفِ الإلَهىّ واستقبلوه، والتفّوا حولَه، انتفَعوا بآثار وجوده المباركة. وإلّا حُرِموا من الإستفادة الكامِلَة والانتفاع التامّ من نعمة وجوده الشريف. وفى هذه الحالة لا يكونُ السبب فى هذا الحِرمان إلّا الناس أنفسُهم، لا الله ولا الإمام.(۲_____)

۱ . راجع بحار الأنوار: ۵۲ | ۱۰۲ ، ۱۱۳ ـ ۱۱۴، باب التمحيص والنهى عن التوقيت.

۲ . وقد أشار المحقّق نصيرُ الدين الطوسىّ إلى هذه الحقيقة فى كتابه تجريد الاعتقاد (مبحث الإمامة) حيث قال: وجودُهُ (أى الامام) لُطفٌ وتصرُّفُهُ لُطفٌ آخرَ وغيبته مِنّا.

(۲۲۰)

الأَصلُ الواحدُ بعد المائة: الإمام المهدى وطول العمر لقد وُلِدَ الإمامُ المهدىّ عجّل الله فرجَه الشَريف عام ۲۵۵ هجرية، وعلى هذا الأَساس يكونُ عُمرُه الآن (عام ۱۴۱۸ هـ) قد تجاوَزَ أحَدَ عشر قرناً. إنّ الإذعان بهذا العُمُر الطَويل جداً، مع أخذ القُدرة الإلَهيّة المطلقة بعين الإعتبار ليس أمراً مشكلاً. وفى الحقيقة إنّ الذين يَعتَبرُون طولَ عُمُر الإمام المهَدىّ ـ عليه السلام ـ مشكلةً فى طريق الإيمان بوجوده، ومانعاً من القول بولادته، يَغْفَلُون عن قدرة الله اللاّمتناهية فهم كمن قالَ عنهم سبحانه: (وَما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِهِ)(۱). هذا مضافاً إلى أنّ فى الأُمَم السالِفة معمَّرين كثيرين عاشوا طويلاً ذكرهم القرآن الكريم. فقد ذكَر أن نوحاً عاشَ فى قومه ألفَ سنة إلاّ خمسين عاماً (۲). كما أنّ العِلم البشرىّ الحديث يسعى فى عَصرِنا إلى أنْ يُحِلّ مشكلة طولِ العُمُرِ، بالأَساليب العِلميّة، والصِحّية. وهذا يُفيد أنَّ الإنسان يمكن ـ فى نظر العُلَماء ـ أن يَعيشَ طويلاً بعد رَفْع الموانِع الّتى تحول دونَ العُمُر الطويل. إنّ اللهَ قادرٌ على إطالة عُمُر من يُريد إلى يوم القيامة إذا شاء، أليسَ هو القائل بأن يونس لو لم يكن من المسبّحين لَلَبِث فى بَطن الحوتِ إلى

---

۱ . الأَنعام | ۹۱ .

۲. لاحظ العنكبوت | ۱۴ .

(۲۲۱)

يَوم الدِّين(۱). ألا يَستَطيع هذا الإلَهُ الخالقُ القادر أن يُطيلَ عُمُرَ حُجَّته البالِغَة، وخَليفَتِهِ الحقّ بِلُطْفِهِ وعِنايَتِهِ؟ الجوابُ هو: نعم.

الأَصلُ الثانى بعد المائة: علائم ظهور الإمام المهدى ـ عجل الله فرجه الشريف ـ لا يعرف أحدٌ بَوْقت ظهور الإمام المهدى قط، فهذه الحقيقة من الأَسرارِ الإلَهيّة، مثل مَوعد يوم القيامة، الذى لا يَعرفُ بِهِ أحدٌ إلاّ الله وحده. ولهذا يجب أن لا يُصدَّقُ زعمُ من يَدّعى أنّه يَعْلَمُ بوقتِ ظهورِ الإمام المهدىّ، أو يعيّنَ وَقتاً، ويضرب أجلاً معيّناً لذلك، (كَذِبَ الوَقّاتُون)(۲). ولو أنّنا تجاوَزْنا مَسألة توقيت ظهور الإمام المهدىّ ـ عليه السلام ـ وَجَبَ أنْ نقولَ: إنّ الروايات ذَكَرَتْ علائمَ كُلّيَّةً لِظهورِ الإمام المهدىّ وهى تَنْقَسِمُ إلى نَوعين: ۱. العلائم الحَتمية القَطعيّة . ۲. العلائم غير الحتمية. ويُطلب التفصيل ممّا كتب حول الإمام المهدى من الموسوعات.

---

۱ . لاحظ سورة الصافات | ۱۴۳ ـ ۱۴۴ .

۲ . الاحتجاج للطبرسى، احتجاجات الإمام المهدى عليه السلام ـ .

(۲۲۲)

الفصل الثامن عالَمُ ما بَعد الموتِ

عالَمُ ما بَعد الموتِ

عالَمُ ما بَعد الموتِ

الأَصلُ الثالثُ بعد المائة: يوم القيامة تَتّفِقُ جميعُ الشَرائعُ السَماويّة فى لزوم الإيمان بالآخرة ووجوب الإعتقاد بالقيامة، فقد تحدّث الأَنبياءُ جميعاً ـ إلى جانب التوحيد ـ عن المَعاد، وعالم ما بعد الموت أَيضاً. وجَعَلُوا الإيمانَ باليوم الآخر فى طليعة ما دَعَوا إليه. وعلى هذا الأَساس يكونُ الإعتقاد بالقيامة من أركانِ الإيمان فى الإسلام. إنّ مسألةَ المعاد وإن طُرحَت فى كتاب العهدين (التوراة والإنجيل معاً) إلاّ أنّها طُرحت فى العَهد الجديدِ بشكلٍ أوضح، ولكنّ القرآنَ الكريمَ إهتمّ بهذه المسألة أكثر من جميع الكتب السماوية الأُخرى، حتى أنَّهُ اختص قسمٌ عظيمٌ من الآيات القرآنية بهذا الموضوع. وقد أُطلق على المعاد فى القرآن الكريم أسماءٌ كثيرة مثل: يوم

القيامـة، يوم الحِساب، اليوم الآخر، يوم البعث وغير ذلك. وعلّـة كلّ هـذا الاِهتمام والعِنايـة بمسألـة القيامة هى أن الاِيمان والتديّن من دون الاِعتقاد بيوم القيامة غير مثمر. (۲۲۶)

الاَصل الرابعُ بعد المائة: ضرورة المعاد لقد أقام الحكماء والمتكلّمون المُسلمون أدلّة عديدة ومتنوعة على ضرورة المعاد، وحياة ما بعد الموت، وفى الحقيقـة كان القرآن الكريم هو مصـدر الاِلْهام فى جميع هـذه الاَدلَّة. من هنا فإننا نـذكر بعضَ الدلائل القرآنية على هذه المسألة: ألف : إنّ الله تعالى حقٌّ مطلقٌ، وفعلُهُ كذلك حقٌّ، منزَّهٌ عن أى باطلٍ ولغوٍ. وخَلق الاِنسانِ من دونِ وجودِ حياةٍ خالدةٍ سيكون لغواً وعبثـاً كمـا قـال: (أَفَحَسِـبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْناكُم عَبَثاً وأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ)(۱). ب : إنّ العـدلَ الاِلـهىَّ يوجبُ أن لا يعامَل المحسـنون والمسـيئون فى مقام الجزاءِ على شكلٍ واحدٍ. ومن جانبٍ آخر انّه لا يمكن تحقّقُ العدالةِ الكاملةِ بالنسبة إلى الثَّوابِ والعِقاب فى الحياة الدنيوية، لاَنّ مصيرَ كلا الفريقين فى هذا العالم متداخِلَين وغير قابلَين للتفكِيك والفَصل. ومن جهة ثالثة فإنّ لِبعض الاَعمال الصالِحة، والطالحة جزاءً لا يسع له نطاقُ هذا العالم. فَمَثَلاً هناك من ضَحّى بنفسِه فى سَبيل الحق، وهناك من خضّب

---

۱ . المؤمنون | ۱۱۵ .

(۲۲۷)

الاَرض بـدماء المؤمنين. ولهـذا لا بُـدَّ مِن وجود عالمٍ آخر يتحقَّق فيه العدلُ الاِلَهىّ الكاملُ فى ضوءِ الاِمكانات غير المتناهية. كما قال: (أَم نَجْعَـلُ الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِـدِينَ فى الاَرضِ أَم نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)(۱). ويقولُ أيضاً: (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَـرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ)(۲). ج : إن خلقَ البشَـر بَدَأَ فى هذا العالَم من ذَرّةٍ حقيرةٍ ثم ترقّى فى مدارج الكمال الجسـمى شيئاً فشَيئاً، حتى بَلَغ مرحلـةً نُفِخَت فيهـا الرُّوح فى جسـمه. وَقـدْ وَصَـفَ القرآنُ الكريمُ، خـالقَ الكون بكونه «أحسنَ الخـالقين» نظراً إلى تكميـل خلقِ هـذا الموجودِ المتميّز. ثم إنّه ينتَقل بالمَوْت من مَنْزله الـدنيوىّ إلى عالمٍ آخر، يُعتَبر كمالاً للمرحلـة المتقدّمـة وقـد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى إذ قال: (ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامةِ تُبْعَثُونَ)(۳).

---

۱ . ص | ۲۸ .

۲ . يونس | ۴ .

۳ . المؤمنون | ۱۴ ـ ۱۶ .

(۲۲۸) الاَصـلُ الخـامسُ بعـد المائـة: جواب الشـبهات المثارة حول المعاد لقـد طَرَحَ مُنكروا القيامـة والمعاد فى عصـر نزول القرآن، شُبُهاتٍ ردّ عليها القرآن، ضـمن توضيحه لاَدلّة وجود المعاد. وفيما يلى بعضُ هذه الموارد: ألف : تارةً يؤكّدُ القرآنُ الكريم على قدرة الله المطلقة فيقول: (إِلى اللهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِ شَىءٍ قَدِيرٌ)(۱). ب : وتارةً يُذكّر بأنّ الذى يقدرُ على خَلق الاِنسان ابتداءً قادرٌ على إعادته، ولملمة رفاته، وإرجاع الروح إليه ثانية. فهو مَثَلاً ينتقدُ قولَ المنكرين للمعاد قائلاً: (فَسَيَقولونَ مَن يُعيدُنا)؟ ثم يقول: (قلِ الّذى فَطركم أوَّلَ مَرَّةٍ)(۲). ج : وفى بَعضِ الموارد يُشَبِّهُ إحْياءَ الاِنسان بعـدَ مَوْته بإعادةِ الحَياة إلى الاَرض فى فَصْل الرَّبيع بعـد رقدةٍ شـتائيّة من جديدٍ وولوج الحياة فى الطبيعة وعلى هذا يقيسُ المعادَ وعودةَ الرُّوح إلى الموتى قال تعالى: (وَتَرى الاَرضَ هامِدَةً فَإذا أنْزَلْنا عَلَيها الماءَ اهتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأنْبَتَتْ من كلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذلِكَ بأنّ اللهَ هُوَ الحقُّ وأنّه يُحيى الموَتى وأنّه على كلّ شَىءٍ قَديرٌ * وأنّ الساعةَ آتِيةٌ لا رَيبَ فِيها وأنّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِى القبُوُر)(۳).

---

۱ . هود | ۴ .

۲ . الإسراء | ۵۱ .

۳ . الحج | ۵ ـ ۷ .

(۲۲۹) د : فى الإجابة على هذه الشُّبهة التى تقول «من يُحيى العِظام» وقد أصبحت رميماً، وَكَيف يَجمعُها وقد ضاعَت فى الأَرض ويخلق منها جَسَداً كالجسد الأَول؟ يقولُ سبحانه: (... بَلى وَهُو الخَلاّقُ العَلِيمُ)(۱). وفى موضع آخَر يُخبرُ عَن ذلك العلم الواسع قائلاً: (قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأَرضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنا كِتابٌ حَفِيْظٌ) (۲). هـ : ربّما يتصوّر أنّ الإنسان يتألف من أجزاء جسمانية، وأعضاء مادّية تنحل بموته وتستحيل إلى تراب. فكيف يكون الإنسان يوم القيامة هو عينه فى الحياة الدنيا، وبعبارة أُخرى ما هى الصلة بين البدن الدنيوى والأُخروى كى يحكم بوحدتهما؟ والقرآن ينقل تلك الشبهة عن لسان الكافرين ويقول: (أَءذَا ضَلَلنَا فى الأَرضِ أَءِنَّا لفى خلقٍ جَديد)(۳). ثُمّ يعود ويجيب عليها بقوله: (قُلْ يَتَوَفاكُم مّلَكُ المَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُم ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) (۴). ويكمن حاصل الجواب فى الوقوف على معنى «التوفّى» المأخوذ فى الآية. الذى هو «الأَخذ»، وهو يعرب انّ للإنسان وراء البدن الذى يبلى حين موته شيئاً آخر يأخذه ملك الموت وهى الروح، فحينها تتضح إجابة القرآن عن الشبهة.

---

۱ . يس | ۸۱ .

۲. ق | ۴ .

۳ . السجدة | ۱۰ .

۴. السجدة | ۱۱ .

(۲۳۰) وهى انّ ملاك وحدة البدنين والحكم بأنّ البدن الأُخروى هو عين البدن الدنيوى ـ مضافاً إلى وحدة الأَجزاء ـ هى الروح المأخوذة من قبل ملك الموت، فإذا ولجت نفس الأَجزاء يكون المعاد عين المبتدأ. فيستفاد من هذه الآية ونظائرها انّ الإنسان المحشور يوم البعث هو عينه الموجود فى نشأة الدنيا، قال سبحانه: (قُلْ يُحْيِيها الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وُهَو بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)(۱). الأَصلُ السادس بعد المائة: معاد الإنسان هو جسمانى وروحانى صرّحت الآيات القرآنية والأَحاديث على أنّ معاد الإنسان: جسمانى وروحانى، ويراد من الأَوّل هو حشر الإنسان ببدنه فى النشأة الأُخرى، وأنّ النفس الإنسانية تتعلّق بذلك البدن فى تلك النشأة فيثاب أو يعاقب بأُمور لاـ غنى فى تحقّقها عن البدن والقوى الحسية. ويراد من الثانى أنّ للإنسان وراء الثواب والعقاب الحسيّين لذّات والآم روحيّة ينالها الإنسان دون حاجة إلى البدن، وقد أُشير إلى هذا النوع من الجزاء فى قوله سبحانه: (وَرِضوانٌ مِنَ اللهِ أَكبرُ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ) (۲)، وقال سبحانه: (وأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ الأَمْرُ وَهُمْ فى غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)(۳). فرضوانه سبحانه من أكبر اللذائذ للصالحين، كما أنّ الحسرة من أكبر الآلام للمجرمين.

---

۱ . يس | ۷۹ .

۲. التوبة | ۷۲ .

۳ . مريم | ۳۹ .

(۲۳۱) الأَصلُ السابع بعد المائة: البرزخ ليس الموت نهاية للحياة وانعدامها، بل انتقال من نشأة إلى أُخرى، وفى الحقيقة إلى حياة خالدة نعبّر عنها بالقيامة، بيد أنّ بين النشأتين نشأة ثالثة متوسطة تدعى بالبرزخ، والإنسان بموته ينتقل إلى تلك النشأة حتى قيام الساعة، إلاّ أنّنا لا نعلم عن حقيقتها شيئاً، سوى ما جاء فى القرآن والأَحاديث، ولنذكر طائفة من الآيات القرآنية بغية التعرّف على ملامح تلك النشأة. ألف: انّ المحتضر إذا وقف على سوء مصيره يتمنّى عوده إلى الدنيا ليتدارك ما فات منه، يقول سبحانه: (حَتَّى إِذا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلى أَعْمَلُ صَالِحاً فِيما تَرَكْتُ)(۱). ولكن يخيب سعيه، ويُردُّ طلبه، ويقال له: (كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ

هُوَ قائلُها ومِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)(۲). والآيةُ تحكى عن وجود حياة برزَخية مخفية للمشركين. ب : ويصف حياة المجرمين، لاسيما آل فرعون، بقوله: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ)(۳)

---

۱ . المؤمنون | ۹۹ ـ ۱۰۰ .

۲ . المؤمنون | ۱۰۰ .

۳ . غافر | ۴۶ .

(۲۳۲) فالآيةُ تحكى عن أنّ آل فرعون يعرضون على النار صباحاً ومساءً، قبل القيامة. وأمّا بعدها فيقحمون فى النار. ج : ويصف سبحانه حياة الشهداء فى تلك النشأة، بقوله: (ولا تَقُولُوا لِمنْ يُقْتَلُ فى سَبيلِ اللهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلِكنْ لا تَشْعُرُونَ)(۱). ويصف فى آيةٍ أُخرى حياة الشهداء بقوله: (فَرِحِينَ بِمَا آتاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ ويَسْتَبشرُونَ بالَّذينَ لَمْ يَلْحَقوا بِهِم مِنْ خَلْفِهِمْ ألَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولاهُمْ يَحْزَنُونَ)(۲). الاَصلُ الثامن بعد المائة: السؤال فى القبر تبتدأ الحياة البرزَخية بقبض الروح عن البدن، وعندما يودع بدن الإنسان فى القبر، يأتى إليه ملائكة الربّ فيسألونه عن التوحيد والنبوّة وأُمور عقائدية أُخرى، ومن الواضح أنّ إجابة المؤمن ستختلف عن إجابة الكافر وبالتالى يكون عالم البرزخ مظهراً من مظاهر الرحمة للمؤمن، أو مصدراً من مصادر النقمة والعذاب للكافر. إنّ السؤال فى القبر وما يستتبع من الرحمة أو العذاب من الاُمور المسلّمة عند أئمة أهل البيت، وفى الحقيقة أنّ القبر يُعدّ أُولى المراحل للحياة البرزخية التى تدوم إلى أنْ تقوم الساعة.

---

۱ . البقرة | ۱۵۴ .

۲ . آل عمران | ۱۷۰ .

(۲۳۳) ولقد صَرَّحَ علماءُ الإماميّة فى كتُب العقائد التى ألّفُوها بما قُلناه . فقد قال الشيخُ الصدوق؛: إعتقادُنا فى المساءلةِ فى القَبرِ، انَّه حقٌّ لابدَّ منها، فمن أجابَ بالصواب فازَ برَوحٍ ورَيحانٍ فى قَبرِهِ، وبِجَنّةِ النعيم فى الآخرةِ، ومَن لم يُجِبْ بِالصَّوابِ فَلهُ نُزُلٌ من حميمٍ فى قبره، وتَصْلِيةُ جَحيم فى الآخرةِ.(۱) وقال الشيخُ المفيد فى كتابه «تصحيحُ الإعتقاد»: جاءَت الآثارُ الصحيحة عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنّ الملائكة تنزل على المقبُورين فتسألُهم عن أدْيانهم، وألفاظُ الاَخبارِ بذلك متقاربة فمِنها أنّ مَلكَينِ لله تعالى يُقالُ لهما ناكر ونكير ينزلان على الميّتِ فَيسألانِهِ عن رّبِهِ ونبيِّهِ ودينِهِ وإمامِهِ، فإنْ أجابَ بالحق سَلَّموهُ إلى ملائكةِ النَعيم، وإن ارتجَّ عليه سَلَّموهُ إلى ملائكةِ العَذاب(۲). وقال المحقّق نصيرُ الدين الطوسى فى كتابه: «تجريد الاعتقاد» أيضاً: وعذابُ القبر واقعٌ لِامكانِهِ، وتواتُرِ السَمعِ بِوقوعِهِ.(۳) ومن راجَعَ كتب العقائد لدى سائر المذاهب الإسلامية اتّضح له أنّ هذه العقيدة هى موضع إتفاقٍ بين جميع المسلمين، ولم يُنسَب إنكار عذابِ القبر إلّا إلى شخص واحِدٍ هو «ضرار بن عمرو»(۴).

---

۱ . اعتقادات الصدوق، الباب ۱۷، ص ۳۷ .

۲ . تصحيح الاعتقاد للمفيد: ص ۴۵ ـ ۴۶ .

۳ . كشف المراد: المقصد ۶، المسألة ۱۴.

۴ . راجع كتاب «السنة» لاَحمد بن حنبل؛ و «الإبانة» لاَبى الحسن الاَشعرى؛ وشرح الاُصول الخمسة للقاضى عبد الجبار المعتزلى.

(۲۳۴) الاَصل التاسع بعد المائة: تفسير المعاد بالتناسخ وردّه لقَد اتّضحَ مّما سبق أنّ حقيقةَ المَعاد هى أنّ الرُّوح بعد مفارَقتها للجَسَد تعودُ مرة أُخرى ـ وبإذن الله ومشيئته ـ إلى نفسِ البدنِ الذى عاشت به ليلقى الإنسانُ جزاءَ ما عَمِلَهُ فى الدنيا، فى العالم الآخر، إنْ خيراً فخيرٌ، وإنْ شراً فشرّ. ولكن ثمَّتَ من يُنكر «المعاد» الذى دَعَت الشرائعُ السماويةُ إلى الإيمان بِهِ، وإن أقرّوا بمسألةِ الثوابِ والعقابِ،

الـذى يلحق أعمـال البَشَر، إلاّ أنّهم فسـروه عن طريقِ «التناسـخ». إنّهم ادّعَوا أنّ الرُّوح تعودُ مرّةً أخرى إلى العـالم الـدنيوى عن طريق تعلّقِهـا بالجنين، وعبْر طيّ مراحلِ الرُشـد والنموّ، ويطوى دورات الطفولـة، والشـباب، والشـيخوخة، غايـة ما فى الاَمر، يحظى أصـحاب الاَعمال الصالحـة بحياة لذيـذةٍ جميلةٍ، بينما يعانى أصـحاب الاَعمال الفاسدة من حياةٍ مُرّةٍ وقاسـيةٍ. فهى إذن ولادةٌ جديدةٌ، تتبعُها حياةٌ سعيـدةٌ أو تعيسـةٌ. ولقـد كانَ لعقيـدة التناسخ هذه على طول التاريخ البشـرىّ أنصار ومؤيّدون، وتُعَدُّ إحدى أُصول الديانة الهندوسـية. ويجب أن نَنتبه إلى هـذه النقطـة، وهى أنّ النفـوسَ والاَرواح البشـرية إذا سَـلكتْ طريـقَ التناسـخ بصورة دائميـةٍ لم يبق مجـالٌ للمعـاد والقيامة، والحال أنّ الاعتقاد بالمعاد أمرٌ ضرورىٌّ وبديهىٌّ فى ضوءِ أدلّته وبراهينه

(۲۳۵)

العقليـة والنقليـة. وفى الحقيقـة لابـدّ أن يُقـال: إنّ القائلين بالتناسـخ حيث إنّهم لم يتمكّنوا مِن تصوّر «المعاد» بصورته الصـحيحة أَحلُّوا «التناسـخَ» محلَّه، واعتقـدوا به، بَـدَلَ الاعتقاد بالمعاد. إنّ التناسـخَ فى المنطق الاِسـلامىّ يسـتلزم الكفرَ، ولقـد بُحِثَ فى كتبنا الاعتقادية وأُثبِتَ بطلانه، وعدم انسـجامه مع العقائد الاِسـلاميّة بشـكلٍ مفصَّلٍ، ونحن نشـير هنا إلى ذلك باختصار: ۱. إنّ النَفس والرّوحَ البشـرية تكون قـد بلغت عنـد الموت مرتبة من الكمال. وعلى هذا الاَساس فإنّ تعلُّق الروح المجدّد بالجنين بحكمِ لُزُوم التناسقِ والانسـجام بين «النَفْسِ» و «البَـدَن» يسـتلزمُ تنزُّل النَفْسِ من مرحلـة الكمال إلى مرحلـة النقص، والفعليَّة إلى القُوّةِ، وهو يتنافى مع السُـنّة الحاكمـة على عالم الخَلقِ (المتمثّلة فى السَـير التكاملىّ للموجوداتِ من القوّة إلى الفعل). ۲. إذا قَبلنا بأن النفس تتعلّق بعـد الاِنفصال من البَدَن، ببدنٍ حيٍّ آخر، فـإنَّ هـذا يسـتلزمُ تعلّق نفسين ببـدنٍ واحـد، ونتيجته هى الازدواجيّـة فى الشخصـيّة، ومثلُ هـذا المطلبِ يتنافى مع الاِدراك الوجدانى للاِنسان عن نفسه التى لا تمتلك إلاّ شخصيّةً واحدةً لا شخصيّتين.(۱)

---

۱ . كشف المراد للعلامة الحلّى المقصد الثانى، الفصل الرابع المسألة الثامنة، والاَسفار صدر المتألّهين: ۹ | ۱۰.

(۲۳۶) ۳. الاِعتقاد بالتناسُخ مع أنّه يتنافى مع السُـنّة الحاكمـة على نظام الخلق يعتبر بنفسه ذريعـة للظالمين والنفعيّين الـذين يرون أنَّ عزَّتَهم ورفاههم الفِعليّين نتيجةٌ لطهارة أعمالهم فى حياتهم المتقدمة، ويرونَ أن شقاء الاَشقياء كذلك نتيجةٌ لِسوءِ أعمالهم فى المرحلة السابقـة، وبهـذا يبرِّر هؤلاء الظَلَمـة أعمالَهم القبيحـة، ووجود الظُلم والجور فى المجتمعات التى تخضع لسـلطانِهم. الاَصلُ العاشرُ بعد المائة: الفرق بين التناسخ والمسخ فى ختام البحث حول التناسخ من الضـرورىّ أن نجيبَ على سؤالين: السؤال الاَوّل: لقد صَرَّح القرآنُ الكريم بوقوع حالات من المَسـخ فى الاُمم السابقة، حيث تحوّل البعضُ إلى قِردةٍ، والبعض الآخر إلى خنازير كما يقول تعالى: (وَجَعَل مِنهُمُ القِرَدَةَ والخنازِير)(۱). فكيفَ تحقّق المسخُ إذا كان التناسخ باطلاً؟ الجواب: إنّ «المسخ» يختلف عن «التناسخ» الاصـطلاحىّ، لاَنّ فى التناسخ تتعلَّق الروحُ بعد انفصالها من بَدَنِها بجنينٍ أو ببدن آخر. ولكن فى المسخ لا تنفصلُ الروحُ عن البَدن بل يتغير شكلُ البدَن

---

۱ . المائدة | ۶۰. لاحظ سورة الاَعراف: الآية ۱۶۶ .

(۲۳۷)

وصورتُه، ليرى العاصـى والمجرم نفسَه فى صورة القِرد والخنزير، فيتـألّم من ذلك. وبعبارة أُخرى: إنّ نفسَ الاِنسان لا تتنزّل من المقام الاِنسـانى إلى المقـام الحيوانى، لاَنّه إذا كان كـذلك لما كان أُولئك الـذين مُسِـخوا من البشـر يـدرِكون العـذاب، ولما لَمسوا عقاب عَمَلهم، فى حين يعتبر القرآنُ الكريمُ «المسـخَ» «نكالاً» وعقوبة للعصاة(۱). يقول التفتازانى: إنّ النفوس بعـد مفارقتها للاَبدان تتعلّقُ فى الـدنيا بأبـدان أُخرى للتصـرّف والاكتسـاب، لا أن تتبـدّل صُوَرُ الاَبـدان كما فى المسـخ.(۲) ويقول العلامـة الطباطبـائى: الممسوخ من الاِنسان إنسانٌ ممسوخٌ لا أنّه ممسوخٌ فاقدٌ للاِنسانية.(۳)

السؤالُ الثانى: يذهبُ بعض المؤلّفين إلى أنّ القول بالرجعة ناشئ من القول بالتناسخ.(۴)

فهل يستلزمُ الاعتقادُ بالرجعة القولَ بالتناسخ؟ الجواب: إنّ الرجعة ـ كما سنتحدّث عنها فى محلّها ـ حسب إعتقاد أكثر علماء الشيعة الإمامية تعنى أنّ طائفةً من أهلِ الإيمان، وأهل الكفر

---

١ . (فجَعَلْناها نكالاً لِما بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة | ۶۶).

٢ . شرح المقاصد، للتفتازانى: ٣ | ٣٣٧ .

٣ . الميزان، للطباطبائى، ١ | ٢٠٩ .

۴ . فجر الإسلام، لاَحمد أمين المصرى ص ٣٧٧.

(٢٣٨)

سيعودُون إلى هذه الحياة (أى العالم الدنيوىّ) فى آخر الزمان مرةً أُخرى، وتكون عودتهم إلى الحياة مثل إحياءِ الموتى على يد السيد المسيح، ومثل عودة «عزير» للحياة بعد مائة سنة.(١)

وعلى هذا الاَساس لا يكون للإعتقاد بالرجعة أىّ ارتباطٍ وعلاقة بمسألة التناسخ قط، وسنعطى المزيد من التوضيحات فى هذه المسألة فى مبحث «الرجعة» مستقبلاً.(٢) الاَصلُ الحادى عشر بعد المائة: أشراط الساعة لقد وردَت فى كلمات العلماء تبعاً للقرآن مسألة باسم «أشراط الساعة» وتعنى علامات القيامة. إنّ علاماتِ يوم القيامة على قسمين: ألف: حوادث تقع قبل وقوع القيامة وانهدام النظام الكونى وعند وقوع ذلك يكونُ البشر لا ـ يزالون يعيشون على وجه الاَرض، ولفظة «أشراط الساعة»تُطلَق فى الاَغلب على هذا النَمَط من الحوادث والوقائع. ب :الحوادث التى توجب تخلخل النظام الكونىّ، وقد جاء أكثرها فى سور: التكوير، والإنفطار، والإنشقاق والزلزال. والعلائم من القسم الاَوّل عبارة عن:

---

١ . لاحظ آل عمران | ۴٩ ، والبقرة | ٢٥٩ .

٢ . لاحظ الاَصل التاسع والعشرين بعد المائة ص ٢٨۶ .

(٢٣٩) ١. بعثة النبى الخاتم محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (١). ٢. اندكاك السدّ وخروج يأجوج ومأجوج(٢). ٣. إتيان السماء بدخان مبين (٣). ۴. نزول السيد المسيح ـ عليه السلام ـ (۴). ۵. خروج دابّة من الاَرض (۵). ولابُدَّ من مراجعة كُتُبِ التفسير والحديث للحصول على تفاصيل هذه العلائم. ولقد تحدّث القرآنُ الكريمُ بإسهاب حولَ العلائم والاَشراط من النوع الثانى مثل: إنهدام النظام الكونىّ وتلاشيه وتكوير الشمس والقمر، وانكدار النجوم، وتناثرها، وتفجير البحار وتسجيرها، وتسيير الجبال(۶) وغيرها من الحوادث التى ملخّصُها هو اندثار النظام السائد فعلاً، وظهور نظام جديدٍ، وهو فى حقيقته تجلّ للقدرةِ الإلَهيّةِ التامّة، كما قال تعالى: (يَوْمَ تُبَدَّلُ الاَرضُ غَيْرَ الاَرْضِ وَالسَّمَاواتُ وَبَرَزُواْ للهِ الواحِدِ الْقَهَّار)(٧).

---

١ . لاحظ محمد | ١٨ .

٢ . لاحظ الكهف | ٩٨ ـ ٩٩ .

٣ . لاحظ الدخان | ١٠ ـ ١۶ .

۴ . لاحظ الزخرف | ۵٧ ـ ۶١ .

۵ . لاحظ النمل | ٨٢ .

۶ . لاحظ سور: التكوير، والانفطار، والانشقاق، والقارعة.

٧ . إبراهيم | ۴٨ .

(۲۴۰) الأَصلُ الثانى عشر بعد المائةِ: النَفخُ فى الصُّور إنّ القرآنَ الكريم يتحدَّث عن حادثةٍ باسم «النَفخُ فى الصُّور» والذى يتم مرتين: ألف ـ النَفْخُ فى الصُّور، الذى يوجبُ موتَ كلّ الأحياء فى السَّماوات والأرضين. ب ـ النَّفخُ فى الصُّور، الذى يوجبُ إحياءَ الموتى كما يقول : (وَنُفِخَ فى الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فى السَّمَوَتِ وَمَن فى الأَرْضِ إلاّ مَن شَآءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ)(۱). إنّ القرآنَ الكريم يتحدَّث عن خصوص حَشر البَشَر ونشْرهم يومَ القيامة قائلاً: (يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ)(۲). الأَصلُ الثالثُ عشر بعد المائة: مراحل الحساب والقيامة بعد عَودة الموتى إلى الحَياة، وحَشْرِهِمْ ونَشْرِهِمْ، تتحقَّق عدةُ أُمور قبلَ دُخولِ الجنة أو النار، أخبر بها القرآنُ الكريمُ، والأَحاديثُ الشريفة: ۱. محاسَبة النّاس على أعْمالهم بشكلٍ خاصّ، أو بصورٍ معيّنة إحداها إعطاءُ صحيفةِ عملِ كل أحد بيده.(۳)

---

۱ . الزمر | ۶۸ .

۲. القمر | ۷ .

۳ . لاحظ الإسراء | ۱۳ ـ ۱۴ .

(۲۴۱) ۲. مضافاً إلى ما هو مُدرَجٌ فى صحيفة كل واحد من الصغائر والكبائر، ثمّتَ شهُودٌ من داخلِ الإنسان وخارجه تشهدُ يومَ القيامة بأعمالهِ التى عَمِلَها فى العالم الدُّنْيوىّ. والشُهود الّذين من الخارج هم عبارةٌ عن الله (۱) ونبى كلّ أُمّة (۲) ونبىّ الإسلام (۳)، والصَفوة الأخيار من الأُمّة (۴)، والملائكة (۵)، والأرض (۶). وأمّا الشهودُ من داخل الكيانِ البشرىّ فهم عبارة عن الأعضاء والجوارح (۷)، وتجسّم الأعمال نفسِها (۸). ۳. هناكَ لمحاسبة الإنسان على أعماله ـ مضافاً إلى ما قلناه ـ ما يُسمّى بـ«موازين العَدل» التى تُقامُ يومَ القيامة، وتضمِن وصولَ كلّ إنسان إلى ما يستحقه من الجزاء على وجهِ الدِقّة كما يقول تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ القيامة فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شيْئاً وإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِها وَكَفَى بِنَا حاسِبين) (۹). ۴. ويُستفاد من الأحاديث الشريفة أنّ هناك ـ يومَ القيامة ـ ممرّاً يجبُ أن يعبر منه الجميعُ بلا استثناء .

---

۱ . لاحظ آل عمران | ۹۸ .

۲. لاحظ النحل | ۸۹ .

۳. لاحظ النساء | ۴۱.

۴. لاحظ البقرة | ۱۴۳ .

۵. لاحظ ق | ۱۸ .

۶. لاحظ الزلزلة | ۴ ـ ۵.

۷ . لاحظ النور | ۲۴، فُصّلت | ۲۰ ـ ۲۱ .

۸. لاحظ التوبة|۳۴ ـ ۳۵.

۹. الأنبياء | ۴۷ .

(۲۴۲) وهذا الممرّ يُعبّر عنهُ فى الروايات بالصراط، وقد ذهبَ المفسرون إلى أنّ الآيات ۷۱ ـ ۷۲ من سورة مريم ناظرة إليه.(۱) ۵. هناكَ حائلٌ بين أهل الجنّة وأهل النار أسماه القرآنُ الكريم بـ(الحجاب) كما أنّه يقف شخصياتٌ رفيعةُ المستوى على مكانٍ مرتفع يعرفون كلاًّ مِن أهلِ الجنّة وأهلِ النارِ بسيماهُم كما يقولُ سبحانه: (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ)(۲). وهؤلاءُ الشخصيّات العالية المستوى هم ـ كما تُصرّح رواياتُنا ـ الأنبياءُ وأوصياؤهم الكرام البرَرَة. ۶. عندما تَنْتهى عمليّةُ الحساب ويَتّضح مصيرُ الأشخاص يومَ القيامة يعطى اللهُ سبحانه لواءً بيد النبىّ الأكرم محمّد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يُدعى «لواء الحمد»

فيتحرّكُ أمامَ أهلِ الجنـة، إلى الجنّة.(۳) ۷. أخبَرَتِ الرواياتُ العديدةُ بوجود حوضٍ كبير فى المحشر يُعرَف بحوض «الكوثر»، يحضر عنده رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويسقى الصالحون من الاُمّة من ماء ذلك الحوض بأيدى النبىّ وأهلِ بيته ـ عليهم السلام ـ

---

۱ .(وَإِن مِنكُمْ إِلاَّ وارِدُهَا كَانَ عَلى رَبّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَنَذَرُ الظَّالِمينَ فِيهَا جِثِيّاً) (مريم | ۷۱ ـ ۷۲).

۲ . الاَعراف | ۴۶ .

۳ . بحار الاَنوار، ج ۸، الباب ۱۸، الاَحاديث ۱ ـ ۱۲؛ ومسند أحمد ۱ | ۲۸۱، ۲۹۵ و ۳ | ۱۴۴ .

الاَصلُ الرابع عَشَرُ بعد المائة: الشفاعة

الاَصلُ الرابع عَشَرُ بعد المائة: الشـفاعة تُعتبر شفاعة الشافعين يوم القيامة بإذن الله تعالى إحدى العقائد الاِسلاميّة المُسَلَّمة الضروريّة. إنّ الشفاعةَ تشملُ أُولئك الذين لم يقطعوا صِلتهم بالله، وبالدين بصورةٍ كاملة، فصاروا صالحين لشمولِ الرحمةِ الاِلَهيّةِ لهم بواسطة شفاعةِ الشـافعين، رغم تورُّطِهم فى بعض المعاصـى والـذنوب. والاِعتقـادُ بالشَـفاعة مـأخوذٌ من القرآن الكريم والسُّنـة ونشـير إلى بعض تلك النصوص فيما يأتى: ألف : الشَـفاعة فى القرآن إنَّ الآياتِ القرآنيّـة تحكى عن أصل وجودِ الشـفاعة يومَ القيامة، وتصـرّح بأصل وجودِ الشـفاعة وأنّها تقع بإذنِ اللهِ تعالى. ويقول: (وَلاَ يَشْـفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى)(۱). فمَنْ هُم الشُّـفَعاء؟ يُستَفادُ من بعض الآيات أنّ الملائكة من الشُفعاء يومَ القيامة كما يقولُ: (وَكَم مِن مَّلَكٍ فى السَّماواتِ لاَ تُغْنِى شَفاعَتُهُم شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشاءُ وَيَرْضى)(۲).

---

۱ . الاَنبياء | ۲۸ .

۲ . النجم | ۲۶ .

(۲۴۴) ويذهبُ المفسِّرون فى تفسير قولِهِ تعالى: (عَسَـى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً)(۱) إلى أنّ المقصود مِنَ «المقـام المحمود» هو مقامُ الشّـفاعة الثابتُ للنبىّ الاَكرم ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ ب : الشَـفاعة فى الروايات لقـد تحـدّثت روايات كثيرة وردَت فى كتبِ الحـديث عن الشـفاعة مضافاً إلى القُرآنِ الكريم. ونشـيرُ إلى بعضِ هـذه الاَحاديث: ۱. يقولُ النبىُّ الاَـكرمُ: «إنَّما شَـفاعَتى لاَهلِ الكَبائِرِ مِن اُمَّتِى»(۲). والظاهر أنّ عِلّة اختصاص الشفاعة بمرتكبى الكبائر من الذنوب وشمولها لهم خاصة، هو: أنّ اللهَ وَعَد فى القرآنِ بصـراحة بـأن يغفرَ للناسِ السـيئات الصـغيرة إذا ما هم اجتنبوا الكبائرَ(۳) فبقيّـة الـذنوب ما عـدا الكبائر تشـمُلُها المغفرة، فى الدنيا ومع المغفرة لاـ موضوع للشـفاعة. ۲. «اُعْطِيْتُ خَمْسـاً... وأُعطِيتُ الشَـفاعَة، فَادّخَرْتُهـا لاُمَّتى فهىَ لِمَن لا يُشْـرك بِاللهِ»(۴). وعلى مـن أراد التعرّف على غيره من شفعاء يوم القيامة كالاَئمة

---

۱ . الاِسراء | ۷۹ .

۲ . الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ۳ | ۳۷۶ .

۳ . لاحظ النساء | ۳۱ .

۴ . الخصال للشيخ الصدوق، باب «الخمسةُ» ؛ صحيح البخارى، ۱ | ۴۲؛ مسند أحمد، ۱ | ۳۰۱.

(۲۴۵)

المعصومين، والعلماء، وكـذا المشـفوع لهُمْ، أن يُراجِعَ كتبَ العقائـد، والكلام، والحديث. كما أنّه لابُدّ أن نَعلَمَ بأنّ الاِعتقاد بالشَـفاعة، مثل الاِعتقاد بقبُول التوبـة، يجب أن لا يوجبَ تجرُّؤَ الاَشـخاص على ارتكاب الـذنوب، بل يجب أن يُعَـدَّ هـذا الاَمر «نافـذةَ أمَل» تعيدُ الاِنسانَ إلى الطريقِ الصـحيح، لكونه يرجو العفو، فلا يكونُ كالآيسين الّذين لا يفكّرون فى العودة إلى الصِراط المستقيم قط. ومِن هذا

يتضح أنّ الأثر البارز للشفاعة هو مغفرة ذنوب بعض العُصاة والمذنبين ولا ينحصر أثَرُها فى رفع درجة المؤمنين كما ذهبَ إلى ذلك بعض الفِرقُ الإسلامية (كالمعتزلة).(۱) الأصلُ الخامسُ عشر بعد المائة: طلب الشفاعة فى الدنيا إنّ الاعتقادَ بأصلِ الشَفاعة فى يَوم القيامة (فى إطار الإذن الإلَهىّ) ـ كما أسلَفنا ـ من العقائِد الإسلاميّة الضرورية ولم يخدش فيها أحدٌ. يبقى أنْ نرى هل يجوز أن نطلب الشفاعةَ فى هذه الدنيا من الشافعين المأذون لهم فى الشفاعة يوم الحساب، كالنبىّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أملا؟ وبعبارةٍ أُخرى، هل يصحُ أن يقول الإنسانُ: يا رسولَ الله يا وجيهاً

---

۱ . أوائل المقالات للشيخ المفيد ص ۵۴ وكتب أُخرى.

(۲۴۶)

عند الله إشفع لى عند الله؟ الجواب هو: أنّ هذا الموضوعَ كان محلَّ اتفاقٍ وإجماعٍ بين جميع المسلمين إلى القرن الثامن، ولم ينكرْه إلّا أشخاصٌ معدودُون من منتصف القرنِ الثامن، حيث خالَفوا طلبَ الشفاعة من الشفعاء المأذون لهم، ولَم يجوّزوه فى حين أنّ الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة المعتبرة، وسيرة المسلمين المستمرة تشهَدُ جميعُها بجوازه، وذلك لأنَّ الشَفاعة هو دُعاؤهم للأشخاص ومن الواضح أن طلبَ الدعاء من المؤمن العادىّ (فضلاً عن النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ) أمرٌ جائز ومستحسَن، بلا ريب. ولقد رَوى ابنُ عباس عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما يُستفاد منه بوضوحٍ بأنّ شفاعة المؤمن هو دعاؤه فى حق الآخرين فقد قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «ما مِن رَجُلٍ مُسْلِم يَموتُ فَيَقومُ على جَنازَتِهِ أربَعون رَجُلاً لا يُشرِكُونَ بالله شيئاً إلّا شفَّعهُم اللهُ فِيه»(۱). ومِنَ البديهىّ والواضح أنّ شفاعة أربعين مؤمن عند الصلاة على الميّت ليس سوى دعاؤهم لذلك الميت. ولو تَصَفَّحْنا التاريخَ الإسلامىَّ لوَجَدنا أنّ الصَحابة كانوا يطلبون الشفاعة من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. فها هو الترمذىّ يروى عن أنَس بن مالك أنّه قال: سألتُ النبىَّ أنْ يَشْفَعَ لى يومَ القِيامة فقال: أنا فاعل.

---

۱ . صحيح مسلم: ۳ | ۵۴ .

(۲۴۷) قلتُ: فأينَ أطلبُك؟ فقالَ: عَلى الصِراطِ (۱). ومع الأخذ بِنَظَر الإعتبار أن حقيقة الإستشفاع ليست سوى طلب الدعاءِ من الشَفيع، يمكنُ الإشارةُ إلى نماذج مِن هذا الأمر فى القرآن الكريم نفسِه: ۱. طلبَ أبناءُ يعقوب من أبيهِم أن يستغفرَ لهم، وقد وَعَدَهم بذلك ووفى بوعده، يقول تعالى: (قَالُواْ يا أبانا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خاطِئِينَ * قَال سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى)(۲). ۲. يَقولُ القرآنُ الكريمُ: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَاءوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً)(۳) . ۳. يقولُ فى شأن المنافقين: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْاْ رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ)(۴). فإذا كانَ الإعراضُ عن طَلَب الإستغفار من النَبىّ ـ الذى يَتّحدِ فى حقيقته مع الإستشفاع ـ علامةَ النِفاق، والإستكبار، فإنّ الإتيان بهذا الطَلَب وممارسته يُعدّ بلاشكّ علامةُ الإيمانِ.

---

۱ . صحيح الترمذى: ۴ | ۴۲، باب ما جاء فى شأن الصراط.

۲ . يوسف | ۹۷ ـ ۹۸ .

۳ . النساء | ۶۴ .

۴ . المنافقون | ۵ .

(۲۴۸) وحيثُ إنّ مقصودَنا ـ هنا ـ هو إثبات جواز طلب الشفاعة، ومشروعيّته، لذلك لا يَضرُّ موتُ الشفيع فى هذه الآيات بالمقصود، حتى لو فُرض أنّ هذه الآيات وَرَدَت فى شأنِ الأحياء من الشُفَعاءِ لا الأموات، لأن طَلَبَ الشَفاعة مِنَ الأحياء إذا لم يكن شركاً فإنّ من

الطبيعي أن لا يكونَ طلبُها من الاَموات كذلك شركاً لاَنّ حياة الشَفيع وموته ليس ملاكاً للتوحيد والشرك أبداً، والاَمرُ الوحيدُ الذى هو ضروريٌ ومطلوبٌ عندَ الإستشفاعِ بالاَرواح المقدَّسة هو قدرتُها على سماع نداءاتنا، وهو أمرٌ قد أثبْناه فى مبحث التوسُّل حيث أثبتنا ـ هناك ـ(۱) وجود مثل هذا الإرتباط. وهنا لابدّ أن نلتفتَ إلى نقطةٍ هامّة وهى أن استشفاعَ المؤمنين والموَحّدين من الاَنبياء والاَولياء الإلَهيّين يختلفُ اختلافاً جَوهرياً عن استشفاع الوثنيّين من أصنامهم وأوثانهم. فالفريقُ الاَوّل يطلبُ الشَّفاعةَ من أولياءِ الله، وهو مذعِنٌ بحقيقتين أساسيّتين: ۱. إنَّ مقامَ الشفاعة مقامٌ خاصٌّ بالله، وحقٌ محضٌ له سبحانه كما قال: (قُل للهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً)(۲). أى قل: إنّ أمر الشَفاعة كلَّه بِيَدِ اللهِ ولا يحقّ لاَحدٍ أن يشفَعَ مِن دون إذنِهِ ولن تكونَ شفاعةٌ مؤثرةً بغيره.

---

۱ . لاحظ الاَصل ۱۲۶ و ۱۲۷ و ص ۲۷۹ ـ ۲۸۶ .

۲ . الزمر | ۴۴ .

(۲۴۹) ۲. إنّ الشُّفعاء الذين يَستشفِعُ بهم الموحِّدون عبادٌ صالحون مخلصُون لله سبحانه يستجيب الله دعاءَهم لِمكانَتِهم عندهَ وَلِقُربِ مَنزِلَتِهم منه سبحانه. وبهذين الشرطين يفترقُ الموحِّدُون عن الوثنيّين فى مسألة الاستشفاع افتراقاً أساسياً. أوّلاً : انّ المشركين لا يرون لنفوذ شفاعتهم وتأثيرها أىَّ قيد أو شرط، وكأنّ اللهَ فَوَّضَ أمرَ الشَفاعة إلى تلك الاَصنام العَمياء الصَمّاء. فى حين أنّ الموحّدين يعتبرون الشفاعة كلّها حقاً مختصاً بالله، تبعاً لما جاء فى القرآن الكريم، ويُقيّدون قبولَ شفاعة الشافعين وتأثيرها بإذن الله ورضاه وإجازته. ثانياً : إنّ مشركى عصر الرسالة كانوا يَعتبرون أوثانهم وأصنامَهم ومعبوداتهم المختلفة أرباباً وآلهةً، وكانوا يظنّونَ سفهاً أنّ لِهذهِ الموجودات الميّتة، والجمادات سَهْماً فى الرّبوبيّة، والاُلُوهيّة، بينما لا يرى الموحّدون، الاَنبياءَ والاَئمةَ إلاّ عباداً صالحين، وهم يردّدُون فى صلواتهم وتحياتهم دائماً عبارة: «عَبْدُه ورسوله» و «عباد الله الصالحين». فانظرْ إلى الفرق الشاسِع، والتفاوت الواسع بين الرؤيتين والمنطِقَين. بِناءً على هذا فإنّ الاستدلالَ بالآيات التى تَنفى وتندّدُ باستشفاعِ المشركين من الاَصنام، على نَفى أصل طلب الشفاعة فى الإسلام، إستدلالٌ مرفُوضٌ وباطلٌ وهو من باب القياس مع الفارق. (۲۵۰) الاَصلُ السادسُ عشر بعد المائة: التوبة إنّ انفتاح بابِ التوبةِ فى وجهِ العُصاة والمُذنبين والدعوة إليها من التَعاليم الإسلاميّة بل مِن مقرّرات جميع الشرائع السَّماويّة. فعندما يندَمُ الإنسانُ المذنبُ من عَمَلِهِ القبيح نَدَماً حقيقيّاً ويملأُ التوجّهُ إلى الله، والتضرُّع إليه فضاءَ رُوحه، فيقرّر من صميم قَلبه أن لا يرتكبَ ما ارتكبَ ثانيةً، قَبِل اللهُ الرحيمُ أوبتَه وتَوبته، بشروطٍ مَذكورةٍ فى كُتُبُ العقيدة والتفسير. يقول القرآنُ الكريمُ فى هذا الصَدَد: (وَتُوبُواْ إِلَى اللهِ جَمِيعاً أيّها الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(۱). إنّ الّذين لا يَعرفونَ الآثار التربويّة الإيجابيّة للتوبة يتصوَّرُون أنّ فتح هذين البابين (بابِ الشفاعة وباب التوبة) فى وجه العُصاة والمذنبين يشجّعهم ـ بشكلٍ مّا ـ على المعصية، فى حين يغفل هؤلاء عن أنّ كثيراً من النّاس متورّطونَ فى بعض المعاصى، وقلّما يوجَد من لم يرتكبْ ذَنباً فى حياته طوال عمره. وعلى هذا الاَساس، إذا لم يكن بابُ التوبة مفتوحاً فى وَجه هؤلاء لقالَ الذين يريدون أن يغيّروا مسيرهم ويقضوا بقيَّةَ أيّام حياتِهِمْ فى الطُّهْر والنَقاء مع أنفسهم: إنَّا سنَلقى ـ على كلّ حالٍ ـ جزاءَ ذُنوبنا، وندخل جهنّم فلِمَ لا نستجيبُ لِرَغباتنا؟ ولمَ لا نحقّق شهواتِنا فيما تبقّى من عُمُرنا ما دام هذا هو مصيرُنا، وهو مصيرٌ لا يَتَغيَّر قطّ ولا مفرّ منه أبداً؟.

---

۱ . النور | ۳۱ .

(۲۵۱) وهكذا نكونُ بإغلاقنا بابَ التَّوبة قد فَتَحْنا فى وجه النّاس بابَ اليأس والقنوط، ومَهَّدْنا للَمزيد من المعصية وللتمادى فى ارتكاب القبائِح والذنوب.. إنَّ الآثار الإيجابيّة لاَصل التوبة تتّضحُ أكثر فأكثر عندما نعلم بأن الإسلام يقيّد قبولَ التوبة بشروطٍ خاصّةٍ ذكرَها ـ بتفصيل ـ أئمةُ الدّين، والمحقّقون من علماءِ الإسلام. إنَّ القرآن الكريم يتحدّث عن التوبة بصراحةٍ تامةٍ إذ يقول : (كَتَبَ رَبُّكُم عَلى نَفسِهِ الرَّحمةَ أنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بجهالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(۱). ثم إنّه قد ذُكرَ الاَشخاصُ

الذين لا تُقبَلُ توبتهم عندَ الله سبحانه فى كُتب الفِقه، والتفسير، والعقيدة فمنَ شاء راجَعَها. الاَصلُ السابعُ عشر بعد المائة: الإنسان ينال جزاء أعماله يَشهدُ العقلُ والنقلُ بأنّ كلَّ إنسانٍ يَرى جزاءَ عملِهِ، إنْ خيراً فخيرٌ، وإن شرّاً فشرّ. يقول القرآنُ فى هذا الصَّدد: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَال ذَرَّةٍ خيْراً يَرَهُ)(۲). ويقول أيضاً: (وأنَّ سَعْيَهُ سَوفَ يُرى * ثُمَّ يُجزاهُ الجزاءَ الاَوفى)(۳).

---

۱ . الاَنعام | ۵۴ .

۲ . الزلزلة | ۷ .

۳ . النجم | ۴۰ ـ ۴۱ .

(۲۵۲) ويُستفاد من الآيات السابقة أنَّ أعمالَ الإنسان القبيحة، لا تُزيل أعمالهُ الصالحة ولا تقضى عليها، ولكن يجب أنْ نعلم فى نفس الوقت أنّ الذين يرتكبون بعضَ الذنوب الخاصّة كالكُفر والشرك، أو يَسلكون سبيلَ الإرتداد سيُصابون بالحَبط، أىْ أنّ أعمالَهم الصّالِحة تُحبط وتهلَكَ، ويَلقون فى الآخرة عَذاباً أبديّاً كما يَقول سبحانه: (وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئكَ حَبِطتْ أَعْمالُهُمْ فى الدُّنْيا وَالآخِرةِ وَأُوْلئكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فيهَا خالدونَ)(۱). ونظراً إلى ما قلناه فإنّ كلَّ إنسانٍ مؤمنٍ سيَرى ثوابَ أعماله الصّالِحَة فى الآخرة خيراً كانت أو شراً، إلاّ إذا ارتدّ، أو كَفَرَ، أو أشرَكَ، فإنّ ذلك سيأتى على أعماله الصالِحَة ويقضى عليها ـ كما دَلّ على ذلكَ الكتابُ والسُنّةُ ـ وفى الختام لابُدَّ من التذكير بالنقطة التالية وهى: أنّ اللهَ سبحانه وتعالى وإنْ وَعَدَ المؤمِنين بالثواب على أعمالِهم الصالِحة، وفى المقابل أوعد على الاَعمال السيئة، ولكن «الوعدَ» و «الوَعيد» هذين يختلف أحدُهما عن الآخر ـ فى نظر العقل ـ لاَنّ العَملَ بالوعد أصلٌ عقلىٌ، والتخلّفَ عنه قبيح، لاَنّ فى التخلّف عنه تضييعاً لِحقّ الآخرين، وإن كانَ هذا الحقُ مما أوجبَهُ الواعدُ، نفسُه على نفسه، وهذا بخلاف الوعيد فهو حق للمُوعِد وله الصفح عن حقه والإعراض عنه ولهذا لا مانعَ مِن أن تستر بعضُ الاَعمالِ الصالِحة الحسنة قباحةَ بعض الاَعمال السيئة وهو ما

---

۱ . البقرة | ۲۱۷ .

(۲۵۳)

يُسمّى بالتكفير(۱). وقد صَرَّحَ القرآنُ الكريمُ بكونِ بعضِ الاَعمال الصّالحة الحَسَنة مكفّرةً للاَعمال السَّيئة، وأكّد هذه الاَعمال هو اجتناب الشخص للذنوب الكبيرة: (إن تَجْتَنِبُوا كَبائرَ ما تُنْهَونَ عَنْهُ نُكَفّرْ عَنكُمْ سَيِئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَريماً)(۲). وكذا يكونُ لاَعمالٍ أُخرى مثل التوبة (۳)، وصدقة السر(۴) وغير ذلكَ مِثل هذا الاَثر. الاَصلُ الثامن عَشَر بعد المائة: الخلود فى الجحيم خاصّ بالكفّار إنّ الخُلودَ فى عذاب جهنّم خاصّ بِالكفّار، وأمّا المؤمنون العُصاة الذين أشرقت أرواحهم بنورِ التوحيد، فطريقُ المغفرة والخروج من النار غير مسدودة عليهم كما يقولُ اللهُ تعالى: (إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمنَ يَشَاءُ وَمَن يُشْرِك بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً) (۵). إنّ الآيةَ المذكورةَ الّتى تخبرُ بِصراحة عَن إمكان المغفرة والعفو عن

---

۱ . كشف المراد، ص ۴۱۳، المقصد ۶، المسألة ۷.

۲ . النساء | ۳۱ .

۳. لاحظ التحريم | ۸ .

۴ . لاحظ البقرة | ۲۷۱ .

۵. النساء | ۴۸ .

(۲۵۴)

جميع الـذنوب (ما عـدا الشـرك) ناظرة ـ من دون شَكَ ـ إلى أولئك الّذين ماتُوا من دون توبة، لَانّ جميعَ الذنوب والمعاصـى ـ حتى الشـرك ـ يشـملُها العفوُ والغفرانُ إذا تابَ عنها الإنسانُ. وحيث إنّ هذه الآية فَرَّقت بين المشـرك وغير المشرك، وَجَب أن نقول: إنّها تحكى عن إمكـان مغفرةِ من مـاتوا من دونِ توبـة. ومن الواضـح أنّ مثلَ هـذا الإنسان إذا كان مشـركاً لم يغفرِ اللهُ له، وأمّا إذا لم يكنْ مُشـركاً فيمكنهُ أن يأمَـل فى عَفو اللهِ ويَطمع فى غفرانه ولكن لا ـ بشـكلٍ قَطعىّ وحتمىّ، إنمـا يحظى بالعفو والغفران من تعلَّقت الإرادةُ والمشـيئةُ الإلَهيّـةُ بمغفرته. فإنّ قَيْد «لِمنْ يَشاءُ» فى الآية تضعُ العُصاة والمُذنبين بين حالَتى «الخَوْف» و «الرَّجاءِ» وتحثهم على التوقّى من الخطر وهو التوبـة قبـلَ الموت. ولهـذا فـإنّ الوَعـدَ المـذكور يـدفع بالإنسـان على طريق التربيـة المسـتقيم، بإبعـاده عن منزلَق «اليأس» و «التجرّى». الأصلُ التاسع عشرَ بعدَ المائة: الجنة والنار مخلوقتان نحن نعتقد أنّ الجنّة والنّار مخلوقتان موجودتان الآن. قال الشيخ المفيد: «إنَّ الجنّة والنّارَ فى هذا الوَقتِ مخلوقَتان وبذلك جاءتِ الأخبارُ، وعليه إجماعُ أهل الشّرعِ والآثار»(۱).

---

۱ . أوائل المقالات ص ۱۴۱ .

(۲۵۵) وإنّ الآيات القرآنيـة هى الأُخرى تشـهد بالوجودِ الفِعلىّ لِلجنَّة والنار إذ يقول: (وَلَقـدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرى * عِندَ سِدْرَةِ المُنْتَهى * عِنـدَها جَنَّةُ المأْوى)(۱). ويصـرّح فى موضـعٍ آخر: بـأنَّ الجنّـة مهيَّئَـةٌ للمـؤمنين، وإن النّـار للكـافِرين، إذ يقـول حـولَ الجنّـةِ: (أُعِـدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)(۲). ويقـولُ حَـولَ النّـار: (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتى أُعِـدَّتْ لِلْكـافِرِينَ)(۳). ومَعَ ذلـك فلا ـ نعرِفُ مكـانَ الجَنَّةِ والنّـار على وَجهِ الـدّقةِ واليقينِ، وإن كـان المُستفاد من بعض الآيـات هـو أن الجَنّـة موجودةٌ فى القِسم الأعلى كمـا يقولُ سـبحانه: (وَفى السَّمـاءِ رِزْقُكُم وَمَا تُوعَدُونَ)(۴)_____).

۱ . النجم | ۱۳ ـ ۱۵ .

۲ . آل عمران | ۱۳۳ .

۳ . آل عمران | ۱۳۱ .

۴ . الذاريات | ۲۲ .

(۲۵۶)

الفصل التاسع فى معالم الإيمان والكفر

فى معالم الإيمان والكفر

فى معالم الإيمان والكفر

الأصلُ العشـرون بعـد المائة: حدّ الإيمان والكُفر إنّ حدَّ «الإيمان» و «الكُفر» من المباحث الكلاميّة والإعتقاديـة الهامّة جدّاً. فالإيمان فى اللُّغـة يعنى التّصـديق و «الكُفر» يعنى السَـتر، ولهـذا يُقـال للزارع «كـافر» لأنّه يسـتر الحَبَّةَ بـالتراب، ولكـن المقصـود مـن «الإيمـان» فى المصطلَح الدينىّ (وفى علم الكلام والعقيدة) هو الإعتقاد بوحدانيَّة الله تعالى، والآخرة ورسالة النبى الخاتم محمّد المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على أنَّ الإيمان برسالة النبىّ الخاتِم يشمُلُ الإيمانَ بِنبوّة الأنبياء السابقين عليه، والكتب السّماوية السابقة، وما أتى به نبىُّ الإسـلام من تعاليم وأحكام إسـلاميّة للبشـر من جانب الله أيضاً. إنّ المكان الواقعى والحقيقى للإيمان هو قلب الإنسان وفؤادُه كما يقول القرآن: (أُولئِكَ كَتَبَ فى قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ)(۱).

---

۱ . المجادلة | ۲۲ .

(۲۶۰) كما أنّه يقول لسُكّان البَوادى الذين استسْلَمُوا لِلحاكميّة الإسلامية وسلطتها من دون أن يَدخلَ الإيمانُ فى أفئدتِهم: (وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمانُ فى قُلُوبِكُمْ)(۱). ولكنّ الحكمَ بإيمان الشخص مشروطٌ بأن يعبّر عن ذلك بلسانه وإقرارِهِ اللفظى أو يُظهِرَه بطريقٍ آخر، أو لا يُنكر اعتقادَه به على الأقل، وذلك لأنّ فى غير هذه الصورة لا يُحكم بإيمانِهِ كما قال : (وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ)(۲). فى ضوءِ هذا يكونُ قد تبيَّنَ معنى «الكفر» وحدّه أيضاً، فاذا أنكر شخصٌ وحدانيّةَ الحقِّ تعالى، أو أنكرَ يومَ القيامة، أو رسالةَ النبىّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حُكِمَ بكفره حتماً، كما أنّ إنكار أحد مسلّمات الدين المحمدىّ وضروريّاته التى يكون إنكارها مستلزِماً لإنكار رسالةِ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بشكلٍ واضحٍ يجعلُ الإنسانَ محكوماً بالكفر أيضاً. فعندما أعطى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الرايةَ لعلى ـ عليه السلام ـ لفتحِ قِلاعِ خيبر، وأخبرَ الناسَ بأن حاملَ هذه الرايةِ سيفتح خيبراً، فى هذه اللحظة قال الإمامُ علىٌ ـ عليه السلام ـ لرسول اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : يا رسولَ الله على مَ أُقاتلهُمْ؟؟ فقال النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «قاتِلْهُمْ حَتّى يَشهَدُوا أنْ لا إلَه إلاّ اللهُ وأنّ محمداً رسولُ الله، فإذا فَعَلُوا ذلك فقد مَنَعوا مِنْكَ دِماءَهُمْ وأموالَهم إلاّ بحقها،

---

۱ . الحجرات | ۱۴ .

۲ . النمل | ۱۴ .

(۲۶۱)

وحسابُهم على الله».(۱) وسَأَلَ شخصٌ الإمامَ الصادق ـ عليه السلام ـ فقال: ما أدنى ما يكونُ به العَبدُ مُؤمِناً؟ قالَ ـ عليه السلام ـ : «يَشْهَد أن لا إلَه إلاّ الله، وأنّ مُحمداً عبدُهُ ورسولهُ، ويُقرّ بالطّاعَةِ، ويعرف إمامَ زمانِهِ، فاذا فَعل ذلكَ فَهُو مؤمِنٌ».(۲) الأصلُ الواحدُ والعشرون بعد المائة: الإيمان مشروط بالالتزام بالعمل الصالح إنّ حقيقةَ الإيمان وان كانت هى الإعتقاد القلبى (المشروط بالإظهار أو عدم الإنكار على الأقلّ) ولكن يجب ان لا يُظَنَّ أنّ هذا القَدَر من الإيمان كافٍ فى فلاحِ الإنسانِ، بل يجب على الشَخْصِ أن يَلتَزِمَ بلوازم الإيمان وآثاره العَمَليّة أيضاً. ولهذا فقد وُصِف المؤمنُ الواقعى وعُرّف فى كثير من الآيات والرّوايات بأنه الملتزم بآثار الإيمان، والمؤدّى للفرائض الإلَهيّة. فقد اعتبر القرآنُ الكريمُ فى سورة «العصر» كلّ الناس فى خسر إلاّ من اتّصف بالصّفات التالية حيث قال: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالحَقّ وَتَواصَوْا

---

۱ . صحيح البخارى: كتاب الإيمان، ۱۰ ؛ صحيح مسلم: ج ۷، باب فضائل على، ۱۲۱.

۲ . بحار الأنوار: ۶۹ | ۱۶، كتاب الإيمان والكفر، نقلاً عن معانى الأخبار للشيخ الصدوق، وسند الحديث صحيح.

(۲۶۲)

بِالصَّبرِ)(۱). وقد روى الإمامُ الباقر ـ عليه السلام ـ عن الإمام على ـ عليه السلام ـ أن رجلاً قال له: من شهد أن لا إلَه إلاّ اللهُ وأنّ محمّداً رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كانَ مؤمناً؟ قال: «فأينَ فرائضُ الله»؟(۲). وَقال ـ عليه السلام ـ أيضاً: «لو كانَ الإيمان كلاماً، لم ينزلْ فيه صومٌ، ولا ـ صلاةٌ، ولا حلالٌ، ولا حرام».(۳) فيُستنتَج من البيان السابق أنّ الإيمان ذو مراتب ودَرَجات، وأنّ لكلِ مرتبة أثراً خاصّاً بها، وأن الاعتقاد إذا اقترن بالإظهار أو عدم الإنكار على الأقل، كان أضعف مراتب الإيمان وأدونها، وتترتّب عليه سلسلةٌ من الآثار الدينيّة، والدنيويّة، فى حين أن المرتبة الأُخرى للإيمان التى توجب فلاحَ الإنسان فى الدنيا والآخرة رهنٌ للإلتزام بآثاره العمليّة. والنقطة الجديرةُ بالذّكر هى أنّ بعضَ الروايات اعتبرت العَمَلَ بالفرائض الدينيّة ركناً من أركان الإيمان، فقد روى الإمامُ الرضا ـ عليه السلام ـ عن رسولِ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنّه قال: «الإيمان معرفة بالقلب وإقرارٌ باللسان وعملٌ بالأركان»(۴). وفى بعضِ الرّوايات جُعِلَت أُمور، مثل إقامة الفرائض، وأداء الزكاة

---

۱ . العصر | ۳ .

۲ . الكافى : ۲ | ۳۳ .

۳ . الكافى: ۲ | ۳۳، الحديث ۲ .

۴ . عيون أخبار الرضا: ۱ | ۲۲۶ .

(۲۶۳)

والحج، وصوم شهرِ رمَضَان، إلى جانب الشهادتين أيضاً.(۱) إنّ هذه الروايات إمّا هى ناظرةٌ إلى أنّه يمكن تمييز المسلم عن غير المسلم بواسطةِ هذهِ الأعمال، أو أنّ ذكرَ الشهادتين إنّما يكونُ سبباً للنجاة وموجباً للفلاح إذا اقترنَت وانضمّت إلى أعمالٍ شرعيةٍ أهمُّها وأبرزُها: الصلاةُ، والزكاةُ، والحجُّ، والصوم. بالنَظَر إلى هذين الأصلين يجب أن لا تُكَفِّرَ أيَّةُ فِرقة من فِرَقِ المسلمين الفرقةَ الإسلامية الأُخرى التى تخالفُها فى بعض الفرُوع، لأنّ ملاكَ «الكُفر» هو أنْ ينكرَ الشخصُ أحدَ الأُصول الثلاثة، أو إنكار ما يلزَمُ من إنكاره إنكار أحَدِ الأُصول الثلاثة المذكورَة، وهذه الملازمة إنّما تتحقَّق إذا كان حكمُ ذلك الشىء بديهيّاً من وجهة نظرِ الشَرع، وواضحاً جِدّاً إلى درجة أنّه لا يستطيع أنْ يجمعَ بين إنكاره والاعترافِ بالأُصول الثلاثة. وعلى هذا الأساس ينبغى للمسلمين أن يحفظوا فى جميع المراحل أُخوَّتَهم الإسلاميَّة، ولا يَسْمَحُوا بأنْ يَصيرَ الاختلافُ فى الأُمور المتعلّقة بالأُصولِ سبباً للنزاع، وربّما لتفسيقِ أو تكفير فرقةٍ لأُخرى، وأن يكتفوا فى الاختلافات الفكريّة والعقيديّة بالحوار العلمىّ والمناقشة الموضوعيّة، ويتجنَّبوا إقحام التعصُّب غير المنطقىّ، والإتهام والتحريف فى هذا المجال ابقاءً على الصّفاء والمودّة بين المسلمين.

---

۱ . صحيح البخارى: ۱ | ۱۶، كتاب الإيمان شهادة أن لا إلَه إلاّ الله وأنّ محمّداً رسولُ الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحجّ ، وصوم رمضان.

(۲۶۴) الأَصلُ الثانى والعشرون بَعدَ المائة: لا يجوز تكفير المسلم المعتقد بالأُصول الثلاثة إنّ المسلمين فى عالمنا الراهن يتّفقون فى الأُصُول الأساسية الثلاثة(۱)، فيلزمُ أنْ لا يكفِّرَ فريقٌ فريقاً آخر بسبب الاختلاف فى بعض الأُصولِ، أو الفروع الأُخرى، وذلكلأنَّ الكثيرَ من الأُصول المختَلف فيها، هى فى الحقيقة من القضايا الكلاميّة التى طرِحَت على بساط البحثِ والمناقشة بين المسلمين فيما بعد، ولكلِّ فريقٍ منهم أدلّتهُ وبراهينهُ فيها. وعلى هذا لا يُمكن أن يُتّخَذَ الاختلافُ فى هذه المسائل وسيلةً لتكفير هذه الفرقة، أو تلك أو ذريعة لتفسيق هذه الطائفة، أو تلك، ولا سبباً لِتفتيت وحدةِ المسلمين. إنّ أفضلَ الطُرق لحلّ هذا الإختلاف هو الحوارُ العلمىُّ بمنأى عن العَصَبيّات الجافّة، وَالمواقف المتزمّتة وغير الموضوعية. يقول القرآنُ الكريمُ فى هذا الصَّدَد: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً)(۲). ولقد صرّح النبىُ الأكرمُ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد ذكرهِ لأهَمّ أُسُس الإسلام وأُصُوله، بأنَّه لا يحقُّ لمسلمٍ أنْ يُكفّرَ مُسلماً آخر لارتكابه معصية، أو يرميَه بالشرك، إذ قال:«لاتُكَفّرُوهُمْ بِذَنبٍ ولاتَشْهَدُوا عليهم بِشِرْكٍ» (۳).

---

۱ . وهى الأُصُول التى يرتبط تحقّق «الإيمانُ» و «الكفرُ» بقبولها أو رفضِها. وهى: الشهادة بوحدانية الله، والإيمان بنبوة خاتم الأنبياء محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والمعاد فى يوم القيامة.

۲ . النساء | ۹۴ .

۳. كنز العمّال: ج ۱، الحديث ۳۰.

(۲۶۵) الأَصلُ الثالث والعشرون بعد المائة: البدعة «البِدعة» فى اللغة تعنى العَمَل الجديد والذى لاسابق له، الذى يبيّن نوعاً من الحُسن والكمال فى الفاعل، فلفظ «البديع» من صفات الله كما نعلم كما، قال تعالى: (بَدِيعُ السَّمَوتِ وَالأَرضِ)(۱). وأمّا المفهومُ الإصطلاحىّ

للبدعة، فهو أيضاً نسبةُ ما ليس من الشريعة إلى الشريعة، وأكثر التعاريف اختصاراً للبدعة الإصطلاحيّة هو: «إدخالُ ما ليسَ مِنَ الدّينِ فى الدينِ». إنَّ الابتداع فى الدين من الذُنوب الكبيرة، وهو مما لا شك قط فى حرمته فقد قال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «كلُّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ وكلُّ ضَلالةٍ فى النّار»(۲). والنقطةُ المهمّةُ الوحيدةُ فى مسألة البِدعة هى أن يُحدَّدَ مفهومُ «البِدعة» بصورةٍ جامِعةٍ ومانِعةٍ ليمكن تمييزُ ما هو بدعةٌ عمّا ليس ببدعةٍ. وفى هذا الصَّعيد، ولإزالة الإبهام عن حقيقة «البدعة» يجب الالتفات والانتباه إلى نقطتين: ۱. إنّ البِدعة نوعٌ من التصرّف فى الدِين، وذَلك بإحداث الزيادة أو النقص فيه.

---

۱ . البقرة | ۱۱۷ .

۲ . بحار الأنوار: ۲ | ۲۶۳، مسند أحمد: ۴ | ۱۲۶، ۱۲۷ .

(۲۶۶) وعلى هذا الأساس إذا لم يَكُن إحداثُ شىءٍ، مما يرتبطُ بالدِّين والشريعة، بل كان أمراً عاديّاً أو عُرفيّاً لم يكن بدعةً (وإن كانت مشروعيّته مشروطة بأن لا يكونَ الابتداع والإبتكار المذكور محرَّماً أو ممنُوعاً فى الشرع بدليلٍ خاصٍ). وللمثال: إن البشريّة تبتكرُ باستمرار أساليب جديدة فى مجال المسكن والمَلبس وغير ذلك من وسائل العيش وخاصّة فى عصرنا الحاضر الذى تتطور فيه الأساليب والأدوات المستخدَمة فى المعيشَة باستمرار، وبشكلٍ متواصلٍ ونضربُ على ذلك مثلاً أنواع النزهة والرياضة الجديدة، بل والمتجدّدة على الدوام. إنّ من البديهى أنّ كلَّ هذه الأشياء والأُمور نوعٌ من البدعة والأُمور البديعة (بمعنى ما لم يكن له سابق) ولكنها لا صلة لها بالبدعة المصطلَح عليها شرعاً. إنّما تتوقَّفُ حليّتُها وحليّةُ الاستفادةِ منها ـ كما قلنا ـ على أن لا تكونَ مخالِفةً لأحكام الشَرع وموازينه. فمثلاً اختلاط الرجلِ والمرأة من دون حجابٍ فى المجالس، والمحافل ـ الذى هو من مستورَدات الغرب الفاسد، ومعطيات ثقافته المنحرفة ـ حرامٌ، إلاّ ـ أنّه ليس ببدعَةٍ، لأنّ الذين يشتركونَ فى هذه المحافل لا ـ يأتونَ بهذا العمل باعتباره عملاً أقرّ الشرعُ الإسلاميُ صحَّته وقرَّره، بل ربما أتَوا به من بابِ اللّامبالاة مع الإعتقاد بأنّه مخالفٌ للشرع ولهذا ربما تنبَّهوا وعادوا لرشْدهِمْ فقرّرُوا بجديّةٍ تركَه، وعدم

(۲۶۷)

الإشتراك فيه. وإنطلاقاً من التوضيح السابقِ إذا عيَّنَ شعبٌ مّا يوماً، أو بعض ا لأيّام للفَرحَ والإبتهاج والاجتماع، ولكن لا بقصد أنّ الشَرع أمرَ بهذا لم يكن مثل هذا العمل (بدعة) وإن كانت حليّةُ أو حرمة هذا العمل من جهاتٍ أُخرى يجب أن تقع محطّاً للبحث والدراسة. من هنا اتّضح أنَّ الكثيرَ من مبتكرات البشر، وبدائعه، فى مجال الفنّ والرياضة، والصناعة وغير ذلك خارجٌ عن نطاق البدعة الاصطلاحية، وما يقالُ حول حرمَتها، أو حليّتها، إنّما هو ناشىَ من جهات أُخرى ولهما ملاكٌ ومقياسٌ خاص. ۲. إنّ أساس «البدعة» فى الشرع يرجع إلى نقطةٍ واحدة وهى الإتيان بعملٍ بزعم أنّه أمرٌ شرعيٌّ أمَرَ به الدين فى حين لا يوجد لمشروعيته أىُّ أصل ولا ضابطة، ولكن اذا أَتى بعمل على أنّه أمر شرعى ويدل على مشروعيته دليل شرعى (بشكلٍ خاصٍ، أو بصورةٍ كليّةٍ وعامّة) لم يكن ذلك العملُ بدعةً. ولهذا قالَ العالِمُ الشيعيُّ الكبيرُ العلاّمةُ المجلسى: «البدعة فى الشرع ما حَدَثَ بعد الرَسول ولم يكن فيه نصٌّ على الخصوصِ ولا يكونُ داخلاً فى بعضِ العمومات».(۱) وقال ابن حجر العسقلانىّ: «البِدعة ما أُحدِثَ وليسَ لهُ أصلٌ فى

---

۱ . بحار الأنوار: ۷۴ | ۲۰۲ .

(۲۶۸)

الشَرعَ. وما كان له أصلٌ يدل عليه الشرع فليس ببدعة»(۱). فإذا كان العملُ الذى نَسَبْناه إلى الشرع يستندُ إلى دَليلٍ خاصّ، أو ضابطةٍ كليّةٍ فى الشرع لم يكن بدعةً حتماً. والصورةُ الأُولى (أىْ وجود الدليل الخاص) لا يحتاج إلى بيانٍ. إنّما المهم هو القِسم الثانى لأنّه ربَّ عَمَلٍ كانَ فى ظاهرهِ عَملاً مبتدَعاً جديداً ومبتكراً، ولم تكن له سابقةٌ فى الإسلام، ولكنّه فى معناه وحقيقتهِ يدخُلُ تحت ضابطةٍ

أقرّها الشرعُ الاِسلاميُّ بصورةٍ كليّةٍ. ولِلمثال: يمكنُ الاِشارة إلى التجنيدِ الاِجباريّ العامّ المتداوَلِ اليوم فى أكثر بُلدانِ العالم. فإنَّ دعوةَ الشباب إلى خدمة العَلَم كوظيفةٍ دينيةٍ، وإن كانت فى ظاهرها عَمَلاً مبتكراً ومبتدعاً إلّا أنّها حيث تنخرطُ تحت أصلٍ أو قاعدةٍ دينيّة لا تُعدّ بِدعةً، وذلك لاَنّ القرآنَ الكريمَ يقول: (وأعِدّوا لهُمْ ما استَطعتُمْ من قُوَّةٍ)(۲). ومن البديهيّ أنّ التربيةَ العَسكريّةَ العامةَ للشباب ـ تُعدُّ فى ظلّ التحوُّلات والتَطَوّرات والاَجواء العالميّةِ ـ سبباً للتهَيّؤِ الاَكثر فى مقابلِ العدوّ المتربّص، والعملُ بروح الآيةِ المذكورةِ فى عصرنا الراهنِ يقتضى هذا الاَمر.

---

۱ . فتح البارى: ۵ | ۱۵۶، و ۱۷ | ۹.

۲ . الاَنفال | ۶۰ .

(۲۶۹) فى ضوء البيان السابق يمكن حلّ ومعالجةُ الكثير من الشُبهات التى تقيّد البعضَ وتعيقهم عن الحركة. ونضرب لذلك مثلاً: ما يقومُ به جماهيرُ المسلمين العظمى من الاِحتفالِ بمولدِ النبيّ الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويراهُ البَعض أو يسمّونه بِدعةً، فى حين لا ينطبق عليه عنوان البدعة وملاكُها، فى ضوء ما قلناه، لاَنّه على فرضِ أنّ هذا النمطَ من التكريم وإظهار المحبّة والتكريم لم يَرِدْ فى الشرع بخصوصهِ. ولكنَّ موَدّةَ النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وحُبَّه وحبَّ أهل بيته المطهَّرين سلام الله عليهم أجمعين يُعتبر أحد أُصول الاِسلام الضروريّة وتُعتَبر هذه الاِحتفالات والاِجتماعات الدينية البهيجةُ مِن مظاهر ذلك الاَصل الكلىّ ونعنى المحبةَ والمودةَ للنبى وآله. فقد قال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «لا ـ يؤمِنُ أحدُكم حتّى أكونَ أحبَّ إليه مِن مالِهِ وأهْلِهِ والناسِ أجمعين»(۱). ولا ـ يخفى أن الذين يُظهِرُون البَهجة والفرح فى مواليد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأهل بيته الطاهرين، ويقيمون لاَجل هذه الغاية، الاحتفالات والمجالس لا يهدفون من إقامة الاِحتفال فى هذه الاَيام إلى أنّ هذه الاَعمال منصوصٌ عليها ومأمُور بها شرعاً بعينها وشكلها الراهن، بل يفعلون هذه الاَعمال باعتقاد أنّ حُبَّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والمودّةَ لرسول الله وأهل بيته أصلٌ كلّىٌ وَرَدَ التأكيد عليه فى الكتاب والسُّنة بتعابير مختلِفةٍ ومتنوّعةٍ.

---

۱ . جامع الاُصول ۱ | ۲۳۸ .

(۲۷۰) إنّ القرآنَ الكريم يقول: (قُلْ لا أسْئَلُكُمْ عَليه أجراً إلّا المودّةَ فى القَربى)(۱). وهذا الاَصلُ يمكن أن تكونَ له تجلياتٌ ومظاهرُ مختلِفة ومتنوّعة، منها إقامة هذه الاحتفالات البهيجة على حياة المسلمين الفرديّة والاِجتماعية، فأنّ إقامةَ الاِحتفالات، فى الحقيقة مما يذكّر بنزول الرحمةِ والبركةِ الاِلَهيّةِ فى هذه الاَيّام، وهى نوعٌ من أنواع الشُكر لله تعالى أو عملٌ باعث عليه، وهذا المطلب (إى اقامة الاحتفال فى يوم نزول الرحمة والفيضِ الربانىّ) كان فى حياة الاُمم السابقة أيضاً كما يصرّحُ بذلك القرآنُ الكريمُ. فقد طلَبَ النبىُّ عيسى ابنُ مريم ـ عليه السلام ـ مائدةً سماويّة تنزلُ عليه وعلى حواريّيه ليكونَ يومُ نزول تلك المائدة عيداً للجيل الذى كان يعيش بينهم، وللاَجيال اللاحقة كما يقولُ تعالى: (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لاَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَءَايَةً مِنكَ)(۲). أضف إلى ذلك انّ الله تعالى يقول فى آية أُخرى فى مجال تكريم النبى الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : (فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ

---

۱ . الشورى | ۲۳ .

۲ . المائدة | ۱۱۴ .

(۲۷۱)

هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(۱). فإنّ الله تعالى يأمر الناسَ فى هذه الآية بأربعة أُمور: ۱. الاِيمان بالنبىّ (آمَنُوا بِهِ). ۲. تكريم النبىّ وتعظيمه (عَزّرُوهُ).

۳. نصرته (نَصَرُوه). ۴. إتّباع القرآن (واتَّبَعُوا النُّور الذى أُنزِل مَعَهُ...). فلزومُ التكريم والتعظيم للنبىّ كما هو واضح أصلٌ دينىٌّ وقرآنىّ، وله فى كل زمان مصاديق ومجالى خاصّة: فالصلاةُ والسلام على النبىّ وأهلِ بيته عند ذكر اسمِهِ، وإظهارُ الفرح والابتهاج يومَ ولادته وبعثته، وكذا إعلانُ الحزنِ والأسى فى مأتمه ومأْتم أهل بيته، وحفظُ آثارِ النبىّ وتعمير مرقده الطاهر وحفظُ آثار أهل بيته، وتعميرُ مراقدهم الطاهرة، كلّها وكلُّها مصاديقُ لِإظهار المودّة والمحبّة للنبىّ الأكرم وعترتِهِ الطاهرة صلواتُ الله عليهم أجمعين. على أنّه يجب أن لا ـ يتصوَّر أحَدٌ بأنّ محبّةَ النبىّ وأهل بيته ومودّتَهم تنحصرُ فى هذه الأُمور فقط، بل يجب الإنتباه إلى أنّ اتّباعَهم فى أقوالهم وأفعالهم، والذى جاءَت الأشارة إليه فى الآية أدناه أيضاً هو من أظهر مصاديق محبّتهم ومودّتهم، كما انّه سببٌ لنيلِ العِناية الإلَهيّة واللطفِ الربانىّ كما قال:

---

۱. الأعراف | ۱۵۷.

(۲۷۲) (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونى يُحبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم)(۱). والبِدعَة ـ كما أسلَفْنا ـ عبارةٌ عن نوعٍ من التصرّف فى الدّين من دون أن يكون له مستندٌ صحيحٌ (خاصٌّ أو كلّىٌّ عامٌّ) فى الشرع، ويجب التنويه بأنّ روايات أئمّة أهلِ البيت: ـ بحكم حديث الثقلين المتواتر ـ تُعَدُّ من مصادر الشريعة، وأدلّةِ الأحكام الدينيّة وعلى هذا الأساس إذا صرَّحَ الأئمةُ المعصومُون: بجواز أو عدم جواز شىءٍ كان اتّباعهم فى ذلك اتّباعاً للدِين ولم ينطبق عليه عنوانُ الإبتداع والإحداث فى الدّين. وفى الخاتمة نُذَكّر بأنّ «البدعة» بمعنى التَصَرُّف فى الدين من دون إذن الله سبحانه كان ولا يزال عَمَلاً قبيحاً وحراماً وقد أشار إليه القرآن بقوله: (ءَاللهُ أذِنَ لَكُمْ أمْ عَلى اللهِ تَفْتَرُونَ)(۲). وعلى هذا الأساس لا يصحُّ تقسيم البِدعة (بهذا المعنى) إلى القبيح والحَسَن والحرام والجائز، بل كلُّها (بهذا المعنى) حرامٌ غير جائز. نعم البِدعة بمعناها اللغوىّ العامّ (أى الإتيان بأشياء حديثة فى أُمور المعيشة من دون نسبة ذلك إلى الشرع) يمكن أن تكون له صُوَرٌ مختلفة ومتنوّعة، وتكون مشمولةً لأحد الأحكام التكليفيّة الخمسة: (الوجوب والحرمة والكراهة والإستحباب والإباحة).

---

۱. آل عمران | ۳۱.

۲. يونس | ۵۹.

(۲۷۳) الأصلُ الرابع والعشرون بعد المائة: التقية إنَّ أحَدَ التعاليم القرآنيّة هو أن يكتم الإنسانُ المسلمُ عقيدتَه إذا تعرَّضَ فى نفسه، أو عِرضِه أو مالِه لِخطرٍ لو أظهرها، ويُسمّى هذا العَمل فى لسانِ الشَرع والمصطلَح الشرعىّ بالتقيّة. إنّ جوازَ «التَقيَّة» لا يحظى بالدَّليل النقلىّ فحسب، بل إنّ العقلَ يحكم أيضاً بصحّته ولزومه، ويَشهَد بذلك فى شرائط حسّاسةٍ، وخطيرةٍ، لأنّ حفظ النَّفس، والمالِ، والعِرض، واجبٌ، ولازمٌ من جهة، وإظهارَ العقيدة والعمل وفقَ تلك العقيدة وظيفةٌ دينيّةٌ من جانبٍ آخر، ولكن إذا جرَّ إظهارُ العقيدةِ إلى الخطر على النّفس والمال، والعرض، وتعارضت هاتان الوظيفتان عَمليّاً، حكم العقلُ السليمُ بأن يُقدِّم الإنسانُ الوظيفةَ الأهمّ على المهمّ. والتقية ـ فى الحقيقة ـ سلاحُ الضُّعفاء فى مقابل الأقوياء القُساة، ومن الجَلىّ أنّه إذا لم يكن خطرٌ ولا تهديدٌ لم يكتم الإنسانُ عقيدَتَه، كما لم يَعمل على خلافِ معتقَده. ينصُّ القرآنُ الكريمُ فى شأن عَمّارِ بن ياسر على عدم البأس عمّن يَقعُ فى أيدى الكفار، ويُظهرُ كلمة الكفر على لِسانِه للخلاص والنجاة، وقلبُه عامرٌ بالإيمان مشحونٌ بالإعتقاد الصحيح: (مَن كَفَرَ باللهِ مِن بَعْدِ إيمانِهِ إلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمانِ)(۱).

---

۱. النحل | ۱۰۶.

(۲۷۴) وَيقولُ فى آية أُخرى: (لاَّ يَتَّخِذِ المُؤمِنُونَ الكافِرِينَ أَولِيَاءَ مِن دُونِ المُؤمِنِينَ وَمَن يَفْعَل ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فى شىءٍ إلَّا أن تَتَّقُوا مِنْهُم تُقاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وإلى اللهِ المَصِيرُ)(۱). إنّ المفَسّرين المسلمين يَتّفقون ـ عند ذِكرِ وتفسيرِ هاتين الآيَتين ـ على أنّ

أصل «التَقيّة» أصلٌ مشروع. ومن طالَعَ ـ ولو على عَجَل ـ ما جاء فى التفسير والفقه الإسلاميّ فى هذا المجال عَرفَ بوضوحٍ أن أصلَ «التقيّة» من الأُصول الإسلاميّة، ولا يمكن تجاهلُ الآيتين المذكورَتين أعلاه، ولا عَمَل مؤمنِ آل فرعَون فى كتمان إيمانِه(۲) وإنكار «التقيّة» بالمرَّة. والجَدير بالذّكر أنّ آياتِ «التقيّة» وإن وَرَدَت فى مجال التَقيّة من الكافر إلّا أنّ الملاكَ (وهو حِفظ نفسِ المسلم ومالِه وعرضِه فى الظروف الحسّاسة والخطيرة) لا يختصُّ بالكفار، فَلَو استوجَبَ إظهار الشخص لعقيدته، أو العَمَل وفقها عندَ المسلمين، خوفَ ذلك الشخص على نفسِه أو مالِه أو عرضِه أى احتَملَ بقوة تعرّضها للخَطَر من جانبِ المسلمين، جرى فى المقام حكمُ «التقيّة» أى جاز له التقيّة من المسلمين كما جاز له التقيّة من الكفار، وذلِكَ لوحدة العلّة والمِلاك، وتحقّق الأمر الموجب للتقيّة.

---

۱ . آل عمران | ۲۸.

۲ . لاحظ غافر | ۲۸ .

(۲۷۵) وهذا هو ما صَرَّحَ الآخرون به أيضاً فهذا هو الفخر الرازى يقول: إنّ مذهب الشافعى۲ انّ الحالةَ بَين المسلمين إذا شاكَلتْ الحالةَ بَين المسلِمين والمشركين حَلَّتْ التقيّةُ محاماةً على النفس. وقال: التقيّةُ جائزةٌ لصونِ النَّفس، وهل هى جائزةٌ لصونِ المال؟ يُحتَمل أنْ يُحْكَمَ فيها بالجواز لقولهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «حُرْمَةُ مالِ المُسْلِم كَحُرمةِ دَمِهِ» ولقولِهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «مَن قُتِلَ دُون مالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(۱). وقال أبو هريرة: حَفِظْتُ مِن رسُول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وِعائَين، أمّا أحَدُهما فَبَثَثْتُهُ فى النّاس، وأمّا الآخرَ فَلَوْ بَثَثْتُهُ لقُطِعَ هذا البَلعُومُ.(۲) إنّ تاريخَ الخُلَفاء الأُمويّين والعَباسيّين زاخرٌ بالظلم والعَسْف، والحيْف والجَور. ففى تلكَ الأيّام لم تكنِ الشيعةُ وحدَهم هُمُ المطرودُون، والمحجور عليهم بسببِ إظهار عقائِدِهم، بل سَلَكَ أغلَبُ محدّثي أهلِ السُّنّة فى عَصرِ المأمون أيضاً مَسْلَكَ التقيّة فى محنة «خَلْقِ القرآنِ» وَلم يخالف المأمونَ فى خَلْق القرآنِ وحُدُوثِه بعدَ صُدُور المرسُوم الخليفى العامّ، سوى شخصٍ واحدٍ، وقصَّتُهُ معروفةٌ فى التاريخ وعامّة المحدّثين تظاهروا بالوفاق تقيّةً.(۳)

---

۱ . تفسير الرازى: ۸ | ۱۳ .

۲ . محاسن التأويل: ۴ | ۸۲ .

۳ . تاريخ الطبرى: ۷ | ۱۹۵ ـ ۲۰۶ .

(۲۷۶) الأصلُ الخامسُ والعشرون بعد المائة: التقية واجبة فى بعض الحالات فقط إنّ التقيّة ـ حسبَ منطِقِ الشّيعَة ـ واجبة فى ظروف خاصّة، إلّا أنّها مُحرَّمةٌ فى بعضِ الشروطِ أيضاً، ولا يجوز للإنسانِ فى مثل هذهِ الشُروط أنْ يَستخدمَ التقيّة بحجّة أنّه قد يتعرّض نفسُه، أو مالهُ أو عرضُه للخطر. فَقَد يَتَصوَّرُ بعضٌ أنّ الشّيعة يوجبونَ التَقيّة دائماً وفى جميع الحالات والظروف والأوضاع، والحال أنّ هذا تصوّرٌ خاطِئٌ، فإنّ سيرةَ أئمّة أهلِ البيت: لم تكنْ هكذا، لأنّهم، وبغية رعايةِ المصالحِ والمفاسِدِ كانوا يَسلكون فى كلّ زمانٍ موقفاً خاصّاً، وأُسلوباً مناسباً ولهذا نجدُهم كانُوا تارةً يتّخذون مَسلَكَ التقيّة أُسلوباً، وتارة أُخرى كانوا يُضحُّون بأنفسِهم وأموالِهم فى سبيلِ إظهارِ عَقيدتهم. ومما لا شك فيه أنّ أئمّةَ الشّيعَة استشهدوا بالسَيف أو السُّمّ على أيدى الأعدْاء فى حين أنّهم لو كانُوا يُصانِعُونَ حُكّام عصورهم ويجارُونهم، لمَنحهمْ أُولئِك الحكّام أعلى المناصب، وأسمَى المَراتب فى حكوماتِهم ولكنهم كانُوا يَعلمُون أنّ التقيّة قبال أُولئك الحُكّام (كيزيد بن معاوية مثلاً) كان يؤدّى إلى زوال الدّين، وهلاك المذهب. وفى مِثل هذهِ الشُروط أمام القادة الدينيّين المسلِمين نوعان من الوظيفة: أن يسلكوا مَسلَك التقيّة فى ظروف خاصّة، وأنْ يحملوا حياتهم على أكفّهِمْ ويَستَقْبلوا الموتَ فى ظروفٍ أُخرى، أى إذا وَجَدوا أساس

(۲۷۷)

الدِين فى خطرٍ جدّيٍ. وفى الخاتمة نذكّرُ بأنّ التقيّةَ أمرٌ شخصىٌ ويَرتبط بوضعِ الفرد، أو الأفراد الضعفاء العاجزين فى مقابل العدوّ

الغاشِم. فإنّ مثل هؤلاءِ إذا لم يَعْمَلوا بالتقيّة فَقَدوا حياتهم مِن دون أن يترتب أثرٌ مفيدٌ على مقتَلِهِمْ. ولكن لا تجوز التقيّة مطلقاً فى بيان معارف الدين وتعليم أحكام الاِسلام مثل أن يكتُبَ عالمٌ شيعيٌ كتاباً على أساس التقيّة، ويذكرَ فيه عقائدَ فاسدة، وأحكاماً منحرفة على أنّها عقائدُ الشيعة وأحكامُهم. ولهذا فإنّنا نرى علماءَ الشيعة أظهروا فى أشدّ الظروف والاَحوال، عقائِدَهُمُ الحقَّة، ولم يحدُثْ طيلةَ التاريخ الشيعىّ ولا مرة واحدةً أن أقدَمَ علماءُ الشيعة على تأليف رسالةٍ أو كتابٍ على خلافِ عقائدِ مذهبِهم، بحجّة التقيّة، وبعبارة أُخرى: أن يقولوا شيئاً فى الظاهر، ويقولُوا فى الباطن شيئاً آخر ، ولو أن أحَداً فَعَلَ مِثلَ هذا العملِ وسَلَكَ مثلَ هذا المسلَكَ أُخرِجَ من مجموعةِ الشيعةِ الاِماميَّة. وهنا نوصى الّذين يصعُب عليهم هضمُ مسألة التقيّة، وتقبُّل هذه الظاهرة، أوخَضَعُوا لِتأثير دعايات أعداءِ التشيُّع السيّئة، بأنْ يطالِعوا ـ ولو مرّةً ـ تاريخَ الشيعة فى ظلّ الحُكومات أُمويّةً، وعبّاسيّةً، وفى عصر الخلفاء العثمانيّين فى الاناضول والشامات، لِيَعلَموا بَهاضةَ ما قَدَّمهُ هذا الفَريقُ من الثَمن للدّفاع عن العَقيدة وبِسَبب اتّباع أهلِ البَيت:، وجَسامةَ

(۲۷۸)

ما قدّموه من تضحياتٍ، وقرابين، وعظمةَ ما تحمّلوه من مصائبَ مرّة، حتى أنّهم ربّما هَجَرُوا بيوتهم ومنازلهم ولجأوا إلى الجبال. لقد كانَ الشيعة على هذه الحال مع ما كانوا عليه من التقيّة، فكيف إذا لم يُراعُوا هذا الاَصل..ترى هل كانَ يبقى من التَشيُّع اليومَ إذا لم يَتّقوا، أثرٌ أو خَبَرٌ؟ وأساساً لابُدَّ مِن الاِنتباه إلى نقطةٍ مهمّةٍ وهى أنّه إذا استوجَبَت التقيّة لَوماً فإنّ هذا اللومَ يجب أن يُوجَّهَ إلى من تَسبَّبها، لاَنّ هؤلاء بَدَل إجراء العَدل ومراعاة الرأفةِ الاِسلاميّة أوجَدوا أصعَب ظروف الكَبت السياسى والمذهبى ضِدّ أتباع أهل البيت النبوىّ، لا ـ أن يُلامَ مَن لَجَأ إلى التقيّة اضطراراً وحفاظاً على نُفُوسهم وأموالِهم وأَعراضِهِمْ. والعَجَبُ العجاب فى المقام هو أن يتوجَّه البعضُ باللَّوم والنقد إلى العاملين بالتقيّة المظلومين ووصفهم بالنفاقِ بدل توجيه ذلك إلى مسبّبى التقيّة، أى الظالمين، هذا مضافاً إلى أنَّ «النفاق» يختلف عن «التقيّة» كاختلافِ المتناقضين، والبَونُ بينهما شاسع وبعيدٌ بُعدَ السَّماءِ عن الاَرض. فالمنافِقُ، يُبْطِنُ الكُفْرَ فى قَلبِهِ ويُظهِرُ الاِيمانَ لِغَرض التجسس على عورات المسلمين أو الوصول الى منافع لا يستحِقها، فى حين يكونُ قلبُ المسلم فى حال التقيّة مفعماً بالاِيمان، وإنما يُظهِرُ خلاف ما يعتقد لعلّة الخوف من الاَذى، والاضطهاد.

الاَصلُ السادسُ والعشرون بعد المائة :التوسّل

الاَصلُ السادسُ والعشرون بعد المائة :التوسّل إنّ حياةَ البَشَر قائمةٌ على أساس الاستفادة من الوسائل الطبيعيّة والاِستعانة بالاَسباب، التى لِكلّ واحدٍ منها أثرٌ خاصٌ. فَكُلُّنا عندما نعطش نشربُ الماء، وعندما نجوعُ نأكلُ الطعام، وعندما نريد الانتقالَ من مكانٍ إلى آخر نستخدم وسائلَ النَقل، وعندما نريد إيصال صوتنا إلى مكانٍ نستخدم الهاتفَ، لاَنّ رفعَ الحاجة عن طريق الوسائل الطبيعيّة ـ بشرط أن لا نعتقد بإستقلالها فى التأثير ـ هو عينُ «التوحيد» ومن صميمه. فالقرآنُ الكريمُ وهو يُذكّرُنا بقصّة ذى القرنين فى بنائه للسدِّ يُخبرُنا كيف طلب العونَ والمعونة من النّاس إذ قال: (فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً)(۱). وإنّ الذين يُفسّرُون الشركَ بالتعلُّق والتوسُّل بغير الله، إنَّما يصحُّ كلامُهم هذا إذا اعتقد الاِنسانُ بتأثيرِ الوسائل والاَسباب على نحوِ الاِستقلال والاَصالة. وأمّا إذا اعتقد بأنَّها تؤثّر بإذن الله فإنّه سينتهى حينئذ إلى نتيجةٍ لا تُخرِجُه عَن مسيرِ التوحيد. ولقد قامَت حياةُ البشريةُ من أوّل يوم على هذا الاَساس والقاعدة

---

۱ . الكهف | ۹۵ .

(۲۸۰)

أى على الاستفادة من الوسائل والوسائط الموجودة، ولم يزل يتقدم فى هذا السبيل. والظاهر أنّ التَوَسُّل بالاَسباب والوسائلِ الطبيعيّة لِيس مَحَطّاً للمناقشة والبحث، إنّما الكلام هو فى الاَسباب غير الطبيعيّة التى لا يعرفها البَشرُ، ولا سبيلَ له إليها إلّا عن طريق الوحى. فإذا

وُصِفَ شيءٌ فى الكتاب والسُّنة بالوسِيلَةِ كانَ حكمُ التوسّل به نظير حكم التوسّلِ بالاُمور الطبيعيّة. وعلى هذا الاَساس فإنّنا إنّما يجوز لنا التوسل بالاَسباب غير الطبيعيّة إذا لاحَظنا مطلبين: ١. إذا ثَبَتَ كونُ ذلك الشيء «وسيلةً» لنيل المقاصد الدنيويّة أو الاُخروية بالكتاب أو السنة. ٢. إذا لم نعتقد بأيّة أصالةٍ أو استقلال للوسائل والاَسباب، بل اعتبرنا تأثيرها منوطاً بالاِذنِ الاِلَهى والمشيئةِ الاِلَهيّة. إنّ القرآنَ الكريمَ يدعونا إلى الاِستفادة من الوسائل المعنوية إذ يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ وجاهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(١).

---

١ . المائدة | ٣٥ .

(٢٨١) هذا ويجب الاِنتباهُ إلى أنّ «الوسيلة» لا تعنى (التقرُّب) بل تعنى الشيء الذى يوجب التقرّبَ إلى الله، وأحَد هذه الطرق هو الجهادُ فى سبيل الله الذى ذُكِرَ فى الآية الحاضِرة كما يمكن أن تكون أشياء أُخرى وسيلة للتقرّب أيضاً.(١) الاَصلُ السابعُ والعِشرون بعد المائة: التوسُّل بأسماء الله الحسنى ودعاء الصالحين ثَبَت فى الاَصلِ السابقِ أنّ التوسّلَ بالاَسباب الطبيعيّة، وغير الطبيعيّة (بشرط أن لا تُصبَغ بصبغة الاَصالة ولا يعتقد فيها بالاِستقلال فى التأثير) عينُ التوحيد، ولاشك فى أنّ القيام بالواجباتِ والمستحبّاتِ، كالصَّلاة والصَّوم والزَّكاة والجِهاد فى سبيل الله وغير ذلك وسائل معنويّة تُوصِل الاِنسان إلى المقصد الاَسمى، ألا وهو التقرّبُ إلى الله تعالى. فالاِنسان فى ظلّ هذه الاَعمال يجد حقيقة العبوديّة، ويتقرّب فى المآل إلى الله تعالى. ولكن يجب الاِنتباهُ إلى أنّ الوسائل غير الطبيعيّة لا تنحصر فى الاِتيان بالاَعمالِ العبادِيّة، بل هناك سلسلة من الوسائل ذكرَت فى الكتابِ والسُّنةِ يستعقبُ التوَسلُ بها استجابةَ الدعاءِ، نذكر بعضَها فيما يأتى: ١.التوسُّل بالاَسماء والصّفات الاِلَهيَّة الحُسنى التى ورَدَت فى

---

١ . قال الراغبُ الاِصفهانى فى مفرداته (فى مادة وسل): الوَسيلة التوصّلُ إلى الشيء برغبة، وحقيقةُ الوسيلة إلى الله سبيلُه بالعلمِ والعِبادة وتحرّى مكارم الشريعة.

(٢٨٢)

الكتاب العزيز، والسُّنة الشريفة، إذ يقول سبحانه: (وَلِلهِ الاَسْماءُ الحُسْنى فادْعُوهُ بِها)(١). ولقد وَرَدَ التوسُّل بالاَسماء والصفات الاِلَهيّة فى الاَدعية الاِسلامية كثيراً. ٢. إن التوسُّل بأدعية الصالحين، والذين يكون أفضلُ أنواعه: التوسّلُ بالاَنبياء والاَولياء المقرّبين إلى الله، لِيَدعو للاِنسان فى محضر ذى الجلال. إنّ القرآنَ الكريمَ يحثُّ الذين ظَلَموا أنْفُسَهم (أى العُصاة) إلى أن يذهَبوا إلى رسولِ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويطلبوا منه أن يَستغفِرَ لهم، إلى جانب استغفارِهم هم بأنفسِهم، ويبشِّرُهم بأنّهم سيجدون الله توّاباً رحيماً: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتغْفَروا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لوجَدُوا اللهَ توّاباً رَحِيماً)(٢). ويَذمُّ فى آية أُخرى المنافقين، بأنّهم كلّما دُعوا إلى الذهاب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لِيَستغفر لهم أعرَضوا عن ذلك إذ يقول: (وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تعالَوْا يَسْتغْفِرْ لَكُمْ رسُوْلُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيتهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتكْبِرُون)(٣).

---

١ . الاَعراف | ١٨٠ .

٢ . النساء | ۶۴.

٣ . المنافقون | ٥ .

(٢٨٣) ويُستفاد من بعض الآيات أنّه كان مثل هذا العَمَل جارياً ورائجاً فى الاُمم السابقة. وللمثال: طلبَ أبناءُ يعقوب من أبيهم أن يستغفرَ لهم، واستجاب لهم أبوهم يعقوبُ ـ عليه السلام ـ ووعدهم بذلك: (يا أبانا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إنا كُنّا خاطِئِين * قال سَوْفَ أسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَبِّى إنّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحيمُ)(١). ومن الممكن أنْ يُقال أنّ التوسُّل بدعاء الصالحين يكون فى صورةٍ خاصّة عين التوحيد

(أو على الأقلّ مفيداً ومؤثراً) وهى إذا كان من نتوسّلُ به على قيد الحياة. أمّا إذا ماتَ الأنبياء والأولياءفكيفَ يكونُ التوسُّل بهم مُفيداً وعين التوحيد؟ فى الجواب على هذا الإشكال لابدّ من التذكير بنقطتين: ألف : إذا افترَضْنا أنّ التوسُّل بالنَبى أو الولىّ مشروطٌ بكونهم على قيد الحياة، ففى هذه الصورة يكون التوسُّل بالأنبياء والأولياء الإلَهيّين بعد الموت مجرّد عملٍ غيرِ مفيد، لا- أنّه يكون موجباً للشرك. وقد غُفِلَ عن هذه النقطة الهامّة فى الغالب، وتَصوّر البعض أنّ الموتَ والحياةَ رمزُ التوحيد والشرك! مع أنّ هذا الشرط (أى حياة النبىّ

---

١ . يوسف | ٩٧ ـ ٩٨ .

أو الولى عند توسُّلِ الآخرين به) ملاكٌ لكون التوسّل مفيداً أو غير مفيدٍ، لا أنّه «ملاكٌ» لكون التوسُّلِ عَمَلاً توحِيديّاً أو شِركيّاً. ب : إنّ تأثيرَ التوسّل وكونَه مفيداً يُشترط فيه أمران: ١. أن يكونَ الفردُ المتوسَّلُ به مُتصِفاً بالعلم والشعور والقدرة. ٢. أن يكونَ بين المتوسّلِ، والمتوسَّل به ارتباط واتصال وكلا هذين الشرطين (الإدراك والشعور ووجود الارتباط بينهم وبين المتوسَّل بهم) موجودان فى التوسّلِ بالأنبياء، وإن فارقت أرواحُهم أجسادَهم وذلك ثابت بالأدلة العقلية والنقلية الواضحة. إنَّ وجودَ الحياة البرَزَخيّة من المسائل القرآنيّةِ والحديثيّةِ المسلّمة الضَّرُوريّة، وقد مرّت أدلّتها فى الأصل ١٠٧. فإذا كانَ الشهداء الّذين قُتلُوا فى سبيلِ الحقِّ أحياءً حسب تصَريح القرآن الكريم، فأولى أن يكون أنبياء الشهداء والأولياء المقرّبون أحياءً عند ربّهم ـ خاصة وانّ أكثرهم قد استشهد فى سبيل الله ـ أيضاً بحياة أعلى وأفضل. ثم إنّ هناكَ أدلةً كثيرةً على وجود الارتباط بيننا وبين الأولياء الإلَهيين نذكر بعضَها: ١. إنّ جميع المسلمين يقولون فى نهاية الصَلاة مخاطِبين رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «السَّلامُ عَليكَ أيُّها النبىُّ ورحمةُ اللهِ وَبَرَكاتهُ». فهل هم يقولون ما يقولونه لغواً وعبثاً؟ وهل النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا يسمع كلّ

هذه التحيات وكل هذا السلام ولا يردّ عليها؟!! ٢. إنّ النبىَ الأكرم أَمَر ـ فى معركة بدر ـ بأن تلقى أجسادُ المشركين فى بئر (قليب) ثم وَقَفَ يُخاطبهم قائلاً: لَقَد وَجَدْنا ما وَعَدنا ربُّنا حقاً، فهل وَجدتُم ما وَعَدَكم ربُّكم حَقاً؟ فقال أحدُ أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : يا رسولَ الله أتكلم الموتى؟! فقالَ النبىُ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :«ما أنْتُمْ بأسَمعَ مِنْهُمْ»(١). ٣. لقد ذَهَبَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى البقيع مراراً وقال مخاطباً أرواح الراقدين فى القبور والأجداث: «السَلامُ على أهلِ الدّيار مِن المؤمِنين والمؤمِنات». وفى رواية كان يقولُ: «السلامُ عليكمْ دارَ قوم مؤمِنين»(٢). ۴. روى البخارىُ فى صحيحهِ أنّه لما تُوفّى النبىُ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ دخل أ بو بكر حجرة عائشة ثم ذهبَ إلى حيث سُجِّىَ رسولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فكَشَفَ عن وجهِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقَبّلهُ ثم قال وهو يَبكى: بأَبى أنتَ يانبىَّ الله؛ لايجمعُ اللهُ عليكَ موتَتين أمّا الموتة الأُولى التى كُتِبَتْ عَلَيْكَ فقد متّها(٣). وإذا لم يكن لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حياةٌ برزخيّةٌ، ولم يكن بينه وبيننا أىُّ ارتباط فكيف خاطَبَه أبو بكر قائلاً: يا نبىّ الله؟!

---

١ . صحيح البخارى، ج ۵، باب قتل أبى جهل؛ والسيرة النبويّة لابن هشام: ٢ | ٢٩٢ وغيره.

٢ . صحيح مسلم، ج ٢، باب ما يقال عند دخول القبر.

٣ . صحيح البخارى ج ٢ كتاب الجنائز ص ١٢؛ والسيرة النبويّة لابن هشام ۴ | ٣٠۵ ـ ٣٠۶.

 ۵. عندما كان الإمامُ علىٌ ـ عليه السلام ـ يغسّل رسولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويجهّزه قال: انقطَعَ بموتِكَ ما لَمْ يَنْقَطِعْ بموتِ غَيْرِك مِن النُبوَّة والإنْباءِ، وأخبارِ السماء بأبى أنَت وأُمّى اذكُرْنا عند ربِّكَ واجْعَلْنا مِن بالِكَ(١). وفى الختام نُذَكّرُ بأنّ للتَوَسُّلِ

بالأنبياء والأولياء صُوَراً مختلِفةً جاء شرحُها فى كُتُبِ العَقائد. الأصلُ الثامن والعشرون بعد المائة: البَداء إنّ لله تعالى فى شأنِ الإنسان نوعين من التقدير : ١. تقدير محتومٌ وقطعيٌّ لا يقبل التغييرَ والتبديلَ مطلقاً. ٢. تقديرٌ معلَّقٌ ومشروطٌ وهو يتغيَّر ويَتَبدّلُ مع فقدان بعضِ الشرائطِ، ويحلُّ محلَّه تقديرٌ آخرٌ. وبالنَّظر إلى هذا الأصْلِ نُذَكِّرُ بأن الإعتقاد بالبَداء هو أحَدُ الأُصول الإعتقاديّة الإسلاميّة الأصيلَة التى اتَّفَقَتْ جميعُ الفِرَقِ الإسلاميّة على الإعتقادِ بها إجمالاً، وإنْ أحجَمَ البعضُ عن استخدام لَفظة «البَداءِ» وهذا الإستيحاش من إستعمال لفظة «البَداء» لا يَضُرُّ بالقَضِيّة أيضاً، إذ أنّ المقصود هو بَيان محتوى «البَداء» ومعناه، لا لفظه واسمه. إنّ حقيقةَ «البَداء» تقومُ فى الحقيقة على أصلين:

---

١ . نهج البلاغة قسم الخطب، الرقم ٢٣٥.

(٢٨٧) ألف : انّ لله تعالى قدرةً وسلطةً مُطلقةً، فهو قادرٌ على تغيير أىّ تقديرٍ، وإحلالِ تقديرٍ آخر محلَّه متى شاءَ، فى حين يعلم سلفاً بكلا التقديرين، ولا سبيل لأىّ تغيير إلى عِلمه قط أيضاً، لأنّ التقديرَ الأوّل لم يكن بحيث يحدُّ من قدرةِ الله أو يَسلُبَ منه القدرةَ، فإنّ قدرة الله تعالى على خلاف ما تعتقِدُهُ اليهود من كَونها محدودةً لقولهم: (يَدُ الله مَغْلُولَةٌ)، قدرةٌ مطلقةٌ، أو كما قال القرآن: (بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتان)(١). وبعبارةٍ أُخرى: إنّ خلاّقيةَ الله وإعمال السُّلطة والقُدرة من جانبِهِ تعالى مستمرٌ، وبحكم قوله تعالى: (كلَّ يَومٍ هُوَ فى شَأنٍ)(٢) فالله تعالى لم يفرغ سبحانه عن أمر الخلقِ، بل عمليّةُ الخَلق لا تزال متواصِلةً ومستمرة. روى الصدوق باسناده عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ : أنّه قال فى قول الله عزّ وجل: (وقالتِ اليهودُ يَدُ اللهِ مَغلُولَةٌ) لم يعنوا أنّه هكذا، ولكنّهم قالوا قد فرَغَ من الأمر فلا يزيدُ ولا ينقص (أى فى العمر والرّزق وغيرهما)، فقال الله جلّ جلالُه تَكذيباً لقولهم: (غُلّتْ أيدِيهِمْ ولُعِنُوا بِما قالُوا بل يَداهُ مَبْسُوطَتان يُنْفِقُ كيفَ يَشاءُ). أَلم تسمع الله عزَّ وجَلَ يقول: (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ)(٣).(٤)

---

١ . المائدة | ۶۴ .

٢ . الرحمن | ٢٩ .

٣ . الرعد | ٣٩ .

۴ . التوحيد للصدوق، ص ١۶٧، الباب ٢۵، ح ١ .

(٢٨٨) فالعقيدة الإسلاميّة تقومُ على أساس الاعتراف بقدرة الله المطلقة وسلطتِهِ التى لا تُحدُّ، وبدوام خلاّقيته واستمرارها، وبأنّ الله تعالى قادر كلّما شاءَ ومتى شاء أن يُغيّر المقدَّرات المرتبطة بالإنسان فى مجال العُمرِ والرزقِ وغيرهما، ويُحلَّ مَحَلَّ ذلك مقدراتٍ أُخرى، وكلا التقديرين موجودان فى «أُمّ الكتاب». وفى علم الله سبحانه. ب : إنّ إعمالَ القُدرةِ والسُّلطَة من جانبِ الله تعالى، وإقدامَه على إحلال تقديرٍ مكان تقديرٍ آخر لا يتمُّ من دون حكمةٍ ومصلَحةٍ، وان قسماً من هذا التغيير يرتبط فى الحقيقة بِعَمل الإنسان وسلوكه، وإنتخابه، واختياره، وبنمط حياته الصالح أو السّيء، فهو بهذه الأُمور يهيِّئ أرضيّة التغيير فى مصيره. وَلْنفترض أنَّ إنساناً لم يراع ـ لا ـ سمح اللهُ ـ حقوقَ والدَيه، فإن منَ الطبيعيّ أنّ هذا العَمل غير الصالح سيكونُ له تأثيرٌ غير مرغوب فى مصيره. فإذا غيَّر من سُلُوكِهِ هذا فى النصفِ الآخر من حياتِهِ، واهتمَّ برِعايةِ حقوقِ والدَيْهِ فانَّه فى هذه الحالة يكون قد هَيَّأ الأرْضيّة لتغيير مصيرِهِ، وصار مشمولاً لقولِهِ تعالى: (يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ ويُثبتُ). وينعكس هذا الّذى ذكرناه إذا انعكسَ الأمر . إنَّ الآيات والرّوايات فى هذا المجال كثيرةٌ نذكرُ بعضها هنا: (٢٨٩) ١. (إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)(١). ٢.(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ وَلَكن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)(٢). ٣. يروى السيوطىُ فى تفسيره «الدرّ المنثور» أنَّ الإمام أمير المؤمنين علياً ـ عليه السلام ـ سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن قوله: (يَمْحوا الله ما يَشاء). فقال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «لأُقِرَّنَّ عَيْنَك بِتفسيرها ولأُقِرَّنَّ عَين أُمّتى بَعدى بتفسيرها: الصّدَقةُ على وَجهها، وبِرُّ الوالِدَين وَاصطِناعُ المعروف

يُحوّلُ الشقاءَ سعادةً ويزيدُ فى العُمُر ويقى مصارَع السُّوء».(۳) وقالَ الإمامُ الباقُر ـ عليه السلام ـ : صِلةُ الأَرحام تُزَكّى الأَعْمالَ، وتُنمّى الأَموالَ، وَتَدْفَعُ البَلوى، وتُيَسِّرُ الحِساب، وتُنْسِئُ فى الأَجَل.(۴) وبالنَظر إلى هذين الأَصلين يتَّضح أن الاعتقاد بالبداء عقيدة إسلاميّة قطعيّة، وأنّ جميع الفرق الإسلامية تعتقد به بغضِّ النظر عن التعبير والتسمِية، واستخدام لفظ «البَداء». وفى الختام نُذَكّرُ بُنقطتين لنعرف لماذا أُطلقت لفظة «البدَاء» على هذه المسألة فى الرّوايات فجاء التعبير عن هذه العقيدة الإسلامية بقولهم:

---

۱ . الرعد | ۱۱ .

۲ . الأَعراف | ۹۶ .

۳ . الدر المنثور ۴ | ۶۶ .

۴ . الكافى، ۲ | ۴۷۰، الحديث ۱۳.

(۲۹۰)

«بَدا لله». ألف : إنّ استخدامَ هذه اللَّفظة فى هذه المسألة جاء تبعاً للنَبىّ الأَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، فقد روى البخارىُ فى صحيحه أنّ النبىّ قال فى شأن ثلاثة أشخاص: أبرص وأقرع وأعمى: «بدا لله عزَّ وجلّ أن يَبْتَلِيهُمْ...». ثم ذكر بعد ذلك قصّتهم بصورةٍ مفصَّلةٍ وبيَّنكيف أن اثنين منهم سُلِبَت منهما سلامتُهما بسبب كفران النعمة، وأصابَهما ما أصيب به أسلافُهم من الأَمراض(۱). ب : إنّ هذا النّوع من الاستعمال من باب المشاكلة، والتحدّث بلسان القوم حتى يفقهوا، ويفهموا الموضوع. فقد تعارَفَ فى العرف الاجتماعى أنَّه إذا غيَّرَ أحد قراراً قد اتخذه أن يقول بدا لى. وقد تَحدَّث أئمةُ الدين بلسان القوم ليمكنهم تفهيم مخاطبِيهم، وقد استعملوا مثلَ هذه اللفظة فى حق الله تعالى. والجدير بالذِكر أنّ القرآنَ الكريمَ استخدمَ فى شأن الله تعالى ألفاظاً وصفات مثل المكر والكيد، والخُداع والنسيان، فى حين أنّنا نعلم أنّ الله تعالى منزَّهٌ عن مثل هذه الأُمور (بِمعانيها ومفاهيمها الرائجة بين البشر) قطعاً ويقيناً، ومع ذلك كرّرَ القرآنُ الكريمُ هذه الصِفات واستعمل الألفاظ فى حق الله سبحانه.

---

۱ . صحيح البخارى: ۴ | ۱۷۲ .

(۲۹۱) ۱. (إنَّهم يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً)(۱) . ۲. (وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً)۲ . ۳. (إنَّ المُنَافِقِينَ يُخادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)(۲). ۴. (نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ)۴. وعَلى كلّ حالٍ فإنّ لمحقّقى الشيعة حول استعمال لفظ البداء، بالنظر إلى امتناع حصول التغيّر، والتبدّل فى علم الله تعالى دراساتٍ وتحقيقاتٍ قَويّةً وشيِّقةً لامجال لذكرها هنا، ونحن نحيل من يحب الاطّلاعَ عليها إلى الكتب والمؤلّفات التى تتضمن هذه الأبحاث(۳). الأَصلُ التاسعُ والعشرون بعد المائة: الرَجعة «الرَجعَة» فى اللغة تعنى العَودة، والمقصود منها فى الثقافة الشيعيّة هو عودة جماعةٍ من الأُمّة الإسلاميّة إلى الحياة بعد ظهور الإمام المهدىّ عجّل اللهُ فرجَه الشريف، وقبل قيام القيامة. ويَشهَد القرآنُ الكريمُ قبل أىّ شىءٍ بوجود مسألة الرَّجعة فى الثقافة الإسلاميّة.

---

۱ . الطارق | ۱۵ ـ ۱۶ .۲. النمل | ۵۰ .

۲ . النساء | ۱۴۳ .۴. التوبة | ۶۷ .

۳ . كتاب التوحيد للصدوق، ص ۳۳۱ ـ ۳۳۶؛ تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد ۲۴؛ عدة الأُصول ۲ | ۲۹؛ كتاب الغيبة، ص ۲۶۲ ـ ۲۶۴ طبعة النجف.

(۲۹۲) فقد قال سبحانه وتعالى فى سورة النَّمل الآية ۸۳ : (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ). وفى الآية ۸۷ من سورة النمل يقول: (وَيَومَ يُنْفَخُ فى الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى السَّماواتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ إلاّ من شاءَ الله وكُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ). أى بعد

النفخ يفزع كل الناس جميعاً ومن دون استثناء. إنّ الآيةَ الاَولى تتحدّث عن إحياء فريقٍ خاصٍّ فى اليوم الاَوّل بينما تتحدث الآيةُ الثانيةُ عن إحياء جميع الناس مّما يكشف عن أنّ اليوم الاَوّل هو غير يوم القيامة وإنّهما يختلفان. فالقرآنُ يتحدَّث كما نرى بوضوح عن يومين، وقد عطف اليوم الثانى على اليوم الاَوّل، ممّا يكشف عن أن هناك حَشرين وإعادتين إلى الحياة بعد الموت. ونُذكِّر ثانيةً بأنّ الآيةَ الاُولى تتحدّث عن إحياء طائفة من الناس ومن الطبيعى أن مثل هذا اليوم لا يمكن أن يكون يوم القيامة، لاَنّ الناس فى ذلك اليوم يُحشرون بأجمعهم، كما قال أيضاً فى الآيات ۹۳ ـ ۹۵ من سورة مريم: (إِن كُلُّ مَن فِى السَّمَاوَاتِ والاَرْضِ إِلاَّ آتِى الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَقَدْ أحصَاهُمْ وعَدَّهُمْ عَدّاً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْداً). (۲۹۳) وكما يقول تعالى فى آية أُخرى فى وصف يوم القيامة: (وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً)(۱). فيُستنتج من المقارنة بين الآية ۸۳ من سورة النمل وبين الآيات ۹۳ إلى ۹۵ من سورة مريم و ۴۷ من سورة الكهف الاختلاف بينها فى المضمون: أنّ العالم البشرى ينتظر يومين يُحشَر فى أحدهما بعضُ الناس ، ويُحشَر فى الآخر جميعهم بلا استثناء. وروايات الشيعة التى ترتبط بالرجعة، تتعلق بما يقع بعد ظهور الاِمام المهدى ـ عليه السلام ـ ، وقبل يوم القيامة. إنّ عودة جماعة من الصالحين، والظالمين قبل يوم القيامة ليس بالاَمر العجيبِ أبداً لاَنّه قد وَقَع مثلُ ذلك فى الاُممَ السالفة حيث عاد بعضُ الناس إلى الحياة مرةً أُخرى ثم ماتوا بعد ذلك ثانية.(۲) إنّ عودةَ البعض إلى الحياة فى هذا العالَم (الدنيوىّ) بعدَ الموت لا هو مخالف لحكم العقل، ولا هو معارضٌ للنقل، لاَنّه كما أسلفنا مّما صرّح القرآنُ الكريمُ بوقوع نظيره فى الاُمم السالِفة، وهذا هو خير دليلٍ على إمكان وقوعه.

---

۱ . الكهف | ۴۷ .

۲ . مِثل إحياء فريق من بنى إسرائيل، كما فى سورة البقرة الآيات ۵۵ ـ ۵۶، وإحياء المقتول من بنى إسرائيل بواسطة بقرة بنى إسرائيل، كما فى سورة البقرة الآيات ۷۲ و ۷۳، وموت جماعة من الناس وإحيائهم كما فى سورة البقرة الآية ۲۴۳، وإحياء عزير بعد مائة عام، كما فى سورة البقرة الآية ۲۵۹، وإحياء الموتى بإعجازٍ من السيد المسيح كما فى سورة آل عمران الآية ۴۹.

(۲۹۴) على أنّ «الرَّجعةَ» تختلف عن «التَّناسخ»، وتشبيه الاَوّل بالثانى تشبيهٌ خاطئٌ جِداً، وذلك لاَنّ «التناسخ» يعنى عودة الرُّوح والنفس إلى الحياة بعد الموت مرّةً أُخرى إبتداءً من مرحلة النطفة، أو تعلّقها بِبَدنٍ آخر، والحال أنّه لا يَحدُث مثلُ هذين الاَمرين الباطلين فى «الرجعة» قط. إنَّ حكمَ الرَجعة ـ من هذه الجهة ـ أشبه ما يكون بعودة الموتى إلى الحياة فى الاُمم السابقة وبالمعادِ الجِسمانىّ الذى يقع فى القيامة. وفى الحقيقة إنّ «الرَّجعة» هو مظهرٌ مصغَّرٌ مِن القيامة النهائية الحقيقيّة الكبرى التى يُحشَر فيها الناسُ أجمعون، وبلا إستثناء. إنَّ البَحث المفَصَّل حول «الرَّجعة» والحديث حول جزئيّاتها، وتفاصيلها، موكول إلى: كتب التفسير، والحديث، والكلام، الشيعية، وقد بَلَغت رواياتُ الشيعة فى هذا المجال حدَّ التَّواتر، وتمّت مايفوق ثلاثين حديثاً رويت فى أكثرمن خمسين مؤلَّفاً(۱). الاَصلُ الثلاثون بعد المائة: عدالة الصحابة إنّ لِصَحابة النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الّذين آمَنوا به فى حياته، واستفادوا منه المعرفةَ، وأخذوا عنه العلمَ، والسنة، احتراماً خاصّاً عندنا نحن الشيعة الاِمامية، وذلك من دون فرقٍ بين الذين استُشهدوا فى معركة «بدر» و«أُحد» و«الخندق» و«حُنين»، أو بقوا على قيد الحياة بعد رَسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

---

۱ . لاحظ بحار الاَنوار: ۵۳ | ۱۳۶ .

(۲۹۵) فكل هؤلاء الذين آمنوا برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وعاشوا معه، وصَحِبُوه محترمون، ولا يجوز لمسلمٍ فى العالم أن يسىء إلى صحابة رسولِ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (من جهة كونهم صحابةً للنبىّ) أو يؤذيهم، ونِسبة مثل هذا الموقف إلى فريق من المسلمين نسبةٌ ظالمةٌ وافتراءٌ مرفوض. ولكن إلى جانبِ هذه المسألة ثمّت مسألةٌ أُخرى يجب دراستها من دون تعصّب أو حبّ وبُغض غير مُبرَّرَين، وهى: هل أن جميع صحابة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عدولٌ وأتقياء، ومنزَّهون عن الذنوب، أو أنّ

حكمَ الصحابة فى هذه النقطة هو عين حكم التابعين الذين لا يمكن ان نعتبر جميعهم عدولاً أتقياء. إنّ من البديهيِّ أنَّ مرافقة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ورؤيته وان كانت مبعث فخرٍ واعتزاز لمن يرافقه ويراه إلّا أنّ كل هذه الاُمور لا توجب المصونية لهم من الذنوب، ولا الحصانة من المعاصى، ولا يمكن النظر إلى جميع الصحابة بنظرة واحدة ومساوية، واعتبارهم جميعاً عدولاً أتقياء، مبرَّأين عن كلّ زَلَلٍ وخطل، ذلك لاَنّهم ـ بشهادة القرآن ـ من حيث الإيمان والنِّفاق، ومن حيث الطاعة والعِصيان، والتسليم وعدم التسليم أمامَ الله ونبيّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على أصناف مختلفة، وفى هذا التصنيف لا يمكن اعتبارهم جميعاً فى مرتبةٍ واحدةٍ، ولا ـ اعتبارهم جميعاً عدولاً أتقياء. إنّه ممّا لاشكَّ فيه أنّ القرآن الكريم مدح أصحاب النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى مواقع مختلِفة(۱) وللمثال قد ذَكَرَ القرآنُ أنّ اللهَ رضى عن الّذين بايَعوا

---

۱ . لاحظ سورة التوبة | ۱۰۰، وسورة الفتح | ۱۸ و ۲۹، وسورة الحشر | ۸ و ۹.

(۲۹۶)

تَحتَ الشجرة فى حالة صلح الحديبية، إذ قال سبحانه: (لَقَد رَضى اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وأثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيبا)(۱). فالآية تعكس رضى الله سبحانه عن المؤمنين، لكنّها لا تعنى انّهم صاروا بذلك عدولاً أتقياء إلى آخر عمرهم وان عَصَوا وخالفوا أمره سبحانه، نعم ثبت رضاه سبحانه عنهم فى فترة خاصة وهو حال المبايعة بشهادة قول: (إذ يبايعونك) وهو ظرف للرضا. فهذا المدح لهم لا يدلُّ على ضمان صلاحِهم واستقامتِهم حتى آخر لحظة من حياتهم. ولهذا إذا سلك شخصٌ أو أشخاصٌ منهم طريق الخلاف فيما بعد لم يكن رضا الله تعالى عنهم فى طرف المبايعة دليلاً على تقواهم المستمرّ، ولا شاهداً على فلاحِهم الاَبدىّ، لاَنّ شأنَ هذا الفريق، ومقامَهم ليس أعلى ولا أسمى من شأن ومقام رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذى قال الله مخاطباً إيّاه: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(۲). إنّ الآيات المادحة للمهاجرين والاَنصار تبيّن ما حصل عليه هؤلاء الاَشخاص من الكمال فى تلك الحالة، ومن البديهيِّ أنّهم سيكونون مفلِحين دائماً إذا حافظوا على هذا الكمال إلى آخر لحظة من حياتهم.

---

۱ . الفتح | ۱۸ .

۲ . الزمر | ۶۵ .

(۲۹۷) وعلى هذا الاَساس لو دلّتِ الدلائلُ القاطعة من الكتاب والسُّنّة على انحراف فردٍ، أو أفرادٍ لا يَصحُّ فى هذه الحالة الاستنادُ إلى المدائح المذكورة لهم. ولنضربْ مَثَلاً ـ على ذلك ما جاء فى القرآن الكريم فى حق أحد الصحابة. فإنّ القرآنَ الكريمَ وصف أحد الصحابة بأنّه «فاسق»(۱) إذ قال: (إن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بنبأٍ فَتَبَيَّنُوا)(۲). وقال فى آيةٍ أُخرى : (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ)(۳). إنّ هذا الفرد بِشهادة التاريخ القطعىّ هو «الوليد بن عُقبة» وكان من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رغم كونه صحابيّاً ومهاجراً وهما فضيلتان سامقتان إلاّ ـ أنّه لم يتمكّن من المحافظة على هاتين الفضيلتين، بل تسبَّبَ كِذبُه على طائفة «بنى المصطَلَق» بأن يُذكَر بلفظ «الفاسق». ومع الإلتفات إلى هذه الآية ونظائرها(۳) وكذا ملاحظة الاَحاديث التى وَرَدَت فى ذمّ بعض الصَّحابة فى كتب الحديث(۴) وكذا فى ضوء

---

۱ . راجع التفاسير عند توضيح هاتين الآيتين .

۲ . الحُجُرات | ۶ .۳. السجدة | ۱۸ .

۳ . لاحظ آل عمران | ۱۵۳ ـ ۱۵۴، الاَحزاب | ۱۲، التوبة | ۴۵ ـ ۴۷ .

۴ . جامع الاَصول، ج ۱۱، كتاب الحوض، الحديث رقم ۷۹۷۲ .

(۲۹۸)

مطالعة التاريخ الاِسلامىّ والوقوف على سيرة بعضهم(۱) لا يمكن اعتبار جميع صحابة النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذين يتجاوز عددهم المائة ألف شخصٍ عُدولاً أتقياء جميعاً. على أنّ ما نحن بصدد بحثِه ودراستِهِ هنا هو «عدالةُ جميع الصحابة» لا سبّ الصحابة، وإنّ من المؤسف أنّه لم يفرّق البعضُ بين المسألتين، وإنّما عمد إلى اتّهام المخالفين فى المسألة الاُولى والاِيقاع فيهم فى غير ما حق. وفى الخاتمة نؤكّدُ على أنّ الشيعةَ الاِماميّة لاترى احترام صحبة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مانعاً من مناقشة أفعال بعض صحابته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والحكم عليها وتعتقد بأنّ معاشرةَ النبى لا تكون سبباً للمصُونيّة من المعاصى إلى آخر العمر. على أنّ موقف الشيعة، فى هذا المجال ينطلق من الآيات القرآنية، والاَحاديث الصحيحة، والتاريخ القطعى، والعقل المحايد الحصيف. الاَصلُ الواحدُ والثلاثون بعد المائة: محبّة النبى وآله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إنّ محبَّة النبىّ وأهلِ بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ومودَّتهم من أُصول الاِسلام الّتى أكدَّ عليها القرآنُ والسُّنة، فقد قال القرآن الكريمُ فى هذا الصَّدَد:

---

۱ . صحيح البخارى، ج ۵، تفسير سورة النور، ص ۱۱۸ ـ ۱۱۹.

(۲۹۹) (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِىَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(۱). وقال فى آية أُخرى : (فالّذينَ آمَنُوا به وَعزَّرُوهُ ونَصَرُوهُ واتّبَعُوا النُّورَ الّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلئِكَ هُمُ المُفْلِحُون)(۲). فَإنّ الله تعالى يَعُدُّ ـ فى هذه الآية ـ أربع خصوصيات للمفلحين وهى: ۱. الاِيمانُ بالنبى: (آمَنُوا به). ۲. تكريمهُ وتوقيره: (وعَزّرُوه). ۳. نصرهُ وتأييده: (ونَصَروه). ۴. إتّباعُ النور (القرآن) الذى أُنزِلَ معه: (واتّبَعوا النّوُر الّذى أُنزِلَ مَعَهُ). ونظراً إلى أن «نصرةَ» النبىّ الاَكرم جاءَت فى الخصيصة الثالثة لذا لا مناص من أنْ يكون المرادُ بلفظة «عَزّرُوه» فى الخصيصة الثانية هو تكريمُ النبىّ الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتعظيمه ولاشك أنّ تعظيمه وتكريمه لا يختص بزمان

---

۱ . التوبة | ۲۴ .

۲ . الاَعراف | ۱۵۷.

(۳۰۰)

حياته، كما أنّ الاِيمان الذى ورد ذكره فى الآية ليس محدوداً كذلك. وفى مجال لزوم محبّة أهل بيته ومودّتهم يكفى أنّ القرآن الكريم اعتبرها أجراً للرسالة (أى أنّه بمنزلة الاَجر لا ـ الاَجر الواقعى)، إذ يقول تعالى: (قُلْ لا ـ أسألُكُمْ عَلَيه أجْراً إلاّ ـ المودَّةَ فِى القربى)(۱). إنّ الدعوة إلى محبّة النبىّ، ومودَّته والحث عليها لم يرد فى القرآن الكريم وحده. بل جاء التأكيد عليها حتى فى الاَحاديث الشريفة التى نذكر منها نموذجين على سبيل المثال لا الحصر: ۱. قالَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «لا ـ يُؤمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من وُلْدِهِ والناسِ أجمعين»(۲). ۲. وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حديثٍ آخر: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه، ذاقَ طَعمَ الاِيمانِ: مَنْ كانَ لا ـ شىءَ أحبَّ إليه من الله ورسوله، وَمَنْ كان لِئن يُحَرق بالنّارِ أحبّ إليه من أن يرتدَّ عن دِينِه، وَمَنْ كانَ يحبُّ لله ويُبْغِضُ لله».(۳) كما أنّ محبَّة أهلِ بيت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومودَّتهم جاءَ التأكيدُ والحثُّ عليها فى الاَحاديث الشَريفة أيضاً ونود ذكر بعض تلك الاَحاديث على سبيل النموذج:

---

۱ . الشورى | ۲۳ .

۲ . كنز العمال ج ۱ | ۳۷، ح ۷۰ .

۳ . كنز العمال: ج ۱، ح ۷۲ ؛ وجامع الأُصول ج ۱، ص ۲۳۸.

(۳۰۱) ۱. قالَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «لا ـ يُؤمِنُ عَبْدٌ حَتّى أكونَ أحبَّ إليه من نَفْسِهِ وَتكونُ عِترتى أحبَّ إليه من عِترَتِهِ ويكون أهلى أحبَّ إليه من أَهْلِهِ»(۱). ۲. وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حديثٍ آخر: «مَنْ أحبَّهُمْ أحَبَّهُ الله، ومَنْ أبْغَضَهُمْ أبْغَضَهُ اللهُ» (۲). إلى هنا تَعَرّفنا على أَدلّة هذا الأصل (وهو لزوم محبّة النبىّ وعترتِهِ ومودّتهم) والآن ينطرح السؤالان التاليان: ۱. ما هى الثمرة الّتى تجنيها الأُمّةُ من مودَّة النبىّ وعترته؟ ۲. ما هى كيفيّة مَودّةِ النبىّ وعترتِه؟ لابدّ فى هذا المجال أن نذكرَ أنّ محبّة الإنسانِ الفاضِل الكامِل ومودَّته توجب بنفسها صعودَ الإنسان فى مدارج الكمال، فإنَّ الإنسان إذا أحبّ شخصاً من صميم قلبه سعى إلى التشبّه به فى حركاته وسكناته، وتحصيل ما يُسرُّ ذلك الشخص فى نفسه وذاته، وترك ما يؤذيه ويزعجه. ومن الواضح أنَّ وجودَ مثلَ هذه الروحيّة فى الإنسان توجب التحوّل فيه، وتبعَثُه على سلوكِ طريقِ الطاعة واجتنابِ طريقِ المعصيَة دائماً. إنّ الّذى يُظهرُ التعلُّقَ بأحدٍ ويتظاهر بمودته بينما يخالِفه فى مقام العمل يفتقد المحبَّةَ الحقيقيّة.

---

۱ و ۲ . مناقب الإمام أمير المؤمنين تأليف الحافظ محمد بن سليمان الكوفى ج ۲ ح ۶۱۹ و ۷۰۰ ؛ وبحار الأنوار ج ۱۷ ص ۱۳ ؛ وعلل الشرائع الباب ۱۱۷ ح ۳.

(۳۰۲) وقد نُسِب بيتان من الشِّعر إلى الإمام جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ جاءت الإشارة فيهما إلى هذه النقطة، إذ يقول: تعصى الإلَه وأنتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ * هذا لَعْمرى فى الفِعالِ بَديعُ لَو كانَ حُبُّكَ صادِقاً لأَطعتهُ * إنّ المحبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ(۱) والآن ـ وبعد أن تَبيَّن بعضُ ثمرات مودّةِ النبىّ وعترتِه ـ يجب أن نشيرَ إلى أُسلوب إظهار تلك المودة. لاشك أنّ المقصودَ من «الحبّ» ليس هو الحبُّ الباطنىّ العارىّ عن أىّ عمل يناسبُه، بل المقصودُ هو المودّة التى تَظهَر آثارُها المناسبة على قول الإنسان وفعله. ومن أحد الآثار البارزة لمحبّة النبىّ وآله الطاهرين هو اتّباعه العملىّ كما مرّت الإشارة إلى ذلك، ولكن الحديث هنا هو عن الآثار الأُخرى لهذه الحالة الباطنية، وتتمثل فى كلّ ما يعدّه الناس من الأقوالِ والأفعال، علامةً للحبّ والمودّة تحتَ هذه القاعدة، شريطة أن يكون تكريم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعملٍ مشروعٍ لا بعملٍ حرام. وعلى هذا فإنّ تكريمَ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأهل بيته: فى كلّ زمانٍ، وبخاصة فى مواليدهم أو وَفياتهم،يتحقّق بإظهار المودة لهم وإبراز التكريم لشَخصيّاتِهم. فالإحتفال بمواليدهم وإشعال المصابيح ونصب الأعلام والرّايات الملونة، ونشر معالم الزينة، وإقامة مجالس تُعرَضُ فيها فضائلُ النبىّ أو أهل بيته يُعدّ آيةَ المودة وعلامة المحبّة لهم، وعلى هذا الأساس كان تكريمُ النبى فى يوم مولِدِهِ سنّةً مستمرةً بين المسلمين. يقول القسطلانى فى كتابه «المواهب اللدنيّة»: ولا يزال أهل الإسلام يَحتَفلون بشهر مولده ـ عليه السلام ـ ، ويعملون الولائم، ويتصدّقون فى لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون فى المبرّات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاتِه كل فضلٍ عميم.(۲_____)

۱ . سفينة البحار: ۱ | ۱۹۹ .

۲ . المواهب اللدُنيّة، ج ۱ ص ۲۷؛ وفى تاريخ الخميس ج ۱ ص ۲۲۳ مثله.

الأَصلُ الثانى والثلاثون بعد المائة: إقامة مجالس

الأَصلُ الثانى والثلاثون بعد المائة: إقامة مجالس العزاء من البيان السابق اتّضَحت فلسفةُ وحكمةُ إقامة مجالس العزاء، والمآتم لأئمةِ الدّين، لأنّ إقامةَ مثل هذه المجالس من أجل ذكر مصائبهم وبيان ما جرى عليهم من المحَن فى سبيل الدين، هو نوعٌ من أَنواع إظهار المودَّة والمحبَّة لهم. فإذا ما بكى يعقوبُ لِفِراق وَلَدِهِ العزيز «يوسف» سنيناً عديدة، وذرف دموعاً كثيرة(۱) فإنّ ذلك نابعٌ مِن محبته وعلاقتِهِ القَلبيّة بابنِهِ. وإذا ما بكى محبُّو أهلِ البيت فى مُصابهم بسبب علاقتهم القلبيّة بهم، وحبّهم العميق لهم، فإنّهم يتّبعون فى هذا

العمل النبيّ يعقوبَ ـ عليه السلام ـ . إنّ إقامة مجلس فى مصاب الاَحبّة والبكاء لفقدانهم هى فى الاَساس

---

١ . لاحظ يوسف | ١٨۴ .

(٣٠۴)

عملٌ أسَّسَهُ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وذلك عندما سمع نساء الانصار يبكين قتلاهن فى معركة «أحُد»، فقال وهو يَذكر عمّه «حمزة» سيد الشهداء: «وَلكِنَّ حمزة لا بواكى له»(١). وعندما عرف أصحابُ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ برغبته فى إقامة مجلس العزاء لعمّه «حمزة» أمروا أزواجهم بأن يبكين على قتلاهم الشهداء وعلى «حمزة» ويقمن مجلس العزاء له، فأُقيم مجلسٌ لذلك الغرض فلمّا بلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما فعلَهُ الاَنصارُ وأزواجهم شكَرَهُم على ذلك، ودعا فى حقّهم قائلاً: «رَحم اللهُ الاَنصار»، ثم طلب من أصحابه من الاَنصار بأن يأمُروا أزواجهنّ بأن يَعدن إلى منازِلِهنّ (٢). وثمة روايات عديدة تكاد تبلغ حدّ التواتر تعرب عن أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بكى على الحسين سبطه الاَصغر لما يلمَّ به وبأهله وأنصاره على أيدى الفئة الباغية، فى وقعة كربلاء، كما يلاحظ ذلك من يراجع كتاب «الصواعق المحرقة» لابن حجر و«نور الاَبصار» للشبلنجى الشافعى، و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم النيسابورى ٣: ١٧۶. كما رثاه وبكاه طائفة من علماء الاِسلام من سنة وشيعة وانشأوا فى مصابه القصائد المطوّلة. فهذا الاِمام الشافعى يقول:

---

١ . سيرة ابن هشام: ١ | ٩٩ .

٢ . المصدر السابق؛ وإمتاع الاسماع: ١١ | ١۶۴ .

(٣٠۵)

تأوّب قلبى فالفؤاد كئيب * وأرّق نومى فالسهاد غريب إلى أن يقول : فمن مُبلغٌ عَنّى الحسينَ رسالةً * وإن كَرِهَتْها أنفسٌ وقلوبُ ذَبيحٌ بلاَ جُرم كأنَّ قميصَه * صَبِيغ بماءِ الاَرجوان خضيبُ(١) هذا مضافاً إلى أنّ لاِقامة المآتم ومجالس العزاء للشهداء فى سبيل الحق فلسفة هامّة أُخرى وهى أنّ إحياء ذكراهم يوجب الحفاظ على عقيدتهم التى قُتلوا من أجلها... تلك العقيدة التى يتكوّن جوهرُها من التفانى فى سبيل الدين وعدم الخضوع للذُلّ، والهوان وهم يردّدون شعار «الموت فى عزٍ خيرٌ من الحَياة فى الذلّ» ويجدّدون فى كلّ يوم عاشوراء هذا المنطق العظيم ويتعلم الشعوب والاُمم دروساً حيويّة من نهضتهم وثورتهم الكبرى.

الاَصل الثالث والثلاثون بعد المائة: صيانة الآثار الاِسلامية يسعى كلُّ العقلاء فى العالَم فى حفظ آثار عظمائهم، وأسلافِهِمْ، ويحمونها من الاِندثار والزوال بحجة كونها «تراثاً فكرياً» وآثاراً حضاريّة، وتجتهدُ الاُممُ المتحضّرة والراقية فى حفظ الآثار الوطنيّة القديمة وما خلّفه أسلافُها من مفاخر جديرة بالاِعتزاز، لاَنّ آثار الاَسلاف هى فى

---

١ . ديوان الاِمام الشافعى قافية الباء. وراجع للوقوف على المزيد فى هذا المجال: سيرتنا وسنتنا للعلاّمة الاَمينى.

(٣٠۶)

الحقيقة حلقة الوصل بين القديم والجديد، والماضى والحاضر، وهى ترسم حركة الشّعوب والاُمم فى مسار التقدّم والرقىّ، وتضىَ لها الطريق، والسبيل. ثم إنّ الآثارَ القديمةَ إذا كانت ترتبط بالرسلِ والاَنبياء فانّ الحفاظَ عليها وحراستَها ـ مضافاً إلى ما ذُكِرَ من الفائدة ـ تساعد بصورةٍ قويةٍ فى المحافظة على اعتقاد الناس وإيمانهم بأُولئك الرسُل والاَنبياء، ويكون لها أبلغ الاَثر فى تقوية دعائِمها، وتجذيرها وتأصيلها، بينما يؤدّى زوالُها، واندثارها بعد مدّة إلى انقداح روح الشك، والريب فى نفوس أتباعهم، ويعرض أصلَ الموضوع لخطر الغموض، والاِبهام، والنسيان والضياع. وللمثال نشير إلى المجتمع الغربى، فإنّ الناس فى هذا المجتمع وإن اصطبغت

حياتهم بالصبغة الغربية، وأخذوا بآدابها وأخلاقها تماماً، ولكنهم فى مجال العقيدة مدّوا أيديهم نحو الشرق، واعتنقوا الدين المسيحى وخضعوا لسلطانه ردحاً من الزمن بيد أنّهم مع تغيّر الأوضاع، وتنامى روح البحث والتحقيق لدى الشباب الغربىّ بدأ الشك والترديد يدَبُّ فى نفوسهم، وباتوا يشكّون فى أصل وجود السيد «المسيح» إلى درجة أنّهم على أثر عدم وجود آثار ملمُوسة من السيّد «المسيح» عادوا يعتبرونه أُسطورةً تاريخيّةً. فى حين أنّ المسلمين ظلّوا فى منأى عن مثل هذه الحالة، فقد حافظوا على طول التاريخ وبكلّ فخر واعتزاز على الآثار المتبقّية من

(۳۰۷)

رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأبنائه من خطر الإندثار، والزوال بسبب الحوادث. فالمسلمون يَدّعُون أن شخصيّة نبيلة طاهرةً اختيرت قبل أربعة عشر قرناً للنبوة وللرسالة، وقام ذلك النبى بمعونة برنامجه الراقى جداً بإصلاح المجتمع، وأوجد فى ذلك المجتمع تحوّلاً عظيماً، وانقلاباً عميقاً، وأسّس حضارة كبرى لا يزال المجتمع يستفيد من معطياتها، وثمارها، ولا سبيل للشك قط فى وجود مثل هذه الشخصيّة المُصلِحة، ولا فى الحضارة التى أسّسها وأرسى قواعدها، لبقاء آثاره إلى هذا اليوم، فمحل ولادته، ومكان عبادته ومناجاته، والنقطةُ التى بُعثَ فيها، والنقاط الأُخرى التى ألقى فيها خُطَبَه، والأماكن التى دافع فيها عن عقيدته ورسالته، والرسائل التى تبودلت بينه وبين ملوك العالم وحكام الدُّول فى عصره، والعشرات بل المئات من آثاره، والعلائم الدالة عليه، باقية من دون أنْ تمسّها يدُ التغيير، ومن دون أن تطالها معاول الزوال، فهى محسوسةٌ ومشهودة للجميع. وهذا البيان يمكن أن يوضّح أَهميّةَ حفظ الآثار من جهة التفكير الاجتماعى ودورها فى هدايته وقيادته. وهو أمر أيّدته النصوص القرآنية وسيرة المسلمين، فقد قال تعالى فى القرآن الكريم: (فِى بُيُوتٍ أَذنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بالْغدوّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِم تجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذكرِ الله وإقامِ الصَّلاةِ وإِيتَآءِ

(۳۰۸)

الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ).(۱) وليس المراد من لفظِ «البيوت» الواردِ فى هذه الآية «المساجد» لأنّ البيوت جاءَ فى القرآن الكريم فى مقابل المساجد، لأنّ «المسجد الحرام» غير «بيت الله الحرام» فالبيوتُ فى هذه الآية يراد منها بيوتُ الأنبياء، وخاصة بيت الرسولِ الأكرم محمّد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وذرّيته الطاهرة. فقد روى السيوطى فى تفسيره «الدر المنثور»: عن أنس بن مالك، وبرَيدة، قالَ: قرَأَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هذه الآية، فقام إليه رجلٌ فقال: أىُّ بُيوتٍ هذِهِ يا رسُول اللهِ؟ قال: «بيوت الأنبياء». فقام إليه أبو بكر فقال: يارسول الله هذا البيت منها؟ مشيراً إلى بيت على وفاطمة، قال: «نعم من أفاضلها»(۲). والآن ـ بعد أنْ اتّضح المرادُ من «البيوت» ـ لابد من توضيح المراد من «ترفيع البيوت». إنّ هناك احتمالين فى هذا المجال: ۱. الترفيع: بمعنى بناءِ البيوت وتشييدها، كما جاء بهذا المعنى فى قوله تعالى: (وَإِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ)(۳).

---

۱ . النور | ۳۶ ـ ۳۷ .

۲ . تفسير الدر المنثور ج ۵، ص ۵۰ .

۳ . البقرة | ۱۲۷ .

(۳۰۹) ۲. الترفيع: بمعنى إحترام تلك البيوت وحراستها، والمحافظة عليها. فعلى المعنى الأوّل، حيث إنّ بيوت الأنبياء قد بُنِيَت قبلَ ذلك، لهذا لا يمكن أن يكون المراد من الترفيع فى الآية الحاضرة هو إيجاد البيوت، بل المراد هو حفظها من الإنهدام والزوال. وبناءً على المعنى الثانى، يكون المراد من حفظ تلك البيوت هو ـ مضافاً إلى صيانتها من الخراب والانهدام ـ حفظها من أىّ نوع من أنواع التلوث المنافى لقداستها وحرمتها. وعلى هذا الأساس يجب على المسلمين السعىُ فى تكريم، وحراسة البيوت المرتبطة بالرسول الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وعليهم أنْ يعتبروا هذا العمل أمراً قربيّاً، أى مقرّباً إلى الله سبحانه. ثم إنّه يُستفاد من الآية التى تدورُ حول

أصحاب الكهف أنّه عندما اكتُشفَ موضعُ اختفائهم، اختلف الناس فى كيفية تكريمهم فصاروا فريقين: فريق قالوا: يجب البناء على قبرهم بغية تكريمهم. وفريق آخر قالوا: يجب بناء مسجد على مرقدهم، وقد أخبر القرآنُ الكريم بكلا الإقتراحين، وكلا الرأيين، ولو كان هذا العمل، أو ذلك مخالفاً لأُصول الإسلام لَاخبر بهما بنحوٍ آخر، ولتناوَلهما بالنقد. ولكنه رواهما من دون نقدٍ، إذ قال: (۳۱۰) (إِذ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أمرَهُم فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُم أَعْلَمُ بِهِم قَالَ الَّذينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِم لَنَتَّخذنَّ عَلَيهِم مَّسْجِداً)(۱). إنّ هاتين الآيتين (مع ملاحظة سيرة المسلمين المستمرة من عصر رسول الإسلام إلى هذا اليوم والمستقرة على حفظ هذه الآثار، والمحافظة على البيوت المرتبطة برسول الله وأهل بيته المطهرين وحراستها) دليل واضحٌ وبرهان قاطع على كون هذا الموقف موقفاً إسلامياً، وأصلاً شرعياً. ولهذا تقوم مسألة تعمير مراقد الأنبياء ـ وبصورة خاصّة مراقد رسولِ الله وعترتهِ الطاهِرة صلوات الله عليهم ـ وبناءِ المساجد عليها، أو إلى جانبها، على أساس هذا الأصل الإسلامى. الأصلُ الرابع والثلاثون بعد المائة: زيارة قبور المؤمنين تُعتبر زيارةُ قبور المؤمنين، وبخاصّة قبور الأقرباء والأبناء منهم، من الأُصول الإسلامية التى تنطوى على آثار تربويّة فى نفس زائريها، وذلك لأنّ مشاهدة تلك الديار الصامتة التى يرقد فيها أُناس كانوا قبل ذلك يعيشون فى الدنيا، ويقومون بمختلف النشاطات، ولكنّهم أصبحوا بعد حين أجداثاً خامدة، وجثثاً هامدة، جديرة بأن تهزَّ الضمير، وتوقظ القلوب، وتنبّه الغافلين، وتكون درس عبرة لا ينسى.

---

۱ . الكهف | ۲۱ .

(۳۱۱) فإنّ من يشاهد هذا المنظر سيحدّث نفسه قائلاً: وما قيمة هذه الحياة الدنيا التى سرعان ما تنتهى، وتكون مآلُها موت الإنسان ورقوده تحت التراب. هل يستحق العيش فى مثل هذه الدنيا الفانية أن يقوم فيها الإنسانُ من أجله بأعمالٍ ظالمة، وممارسات فاسدةٍ؟ إنّ هذا التساؤل الذى يواجهه ضميرُ الإنسان المفكّر فى مصير البشر، سيدفع به إلى إعادة النظر فى سلوكه وممارساته، وسيؤدِّى ذلك إلى حصول تحوّلٍ كبيرٍ فى روحه ونفسه. وقد أشارَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى هذا الأثر الهامّ، إذ قال فيحديث شريف: «زُورُوا القبورَ فإنّها تذَكِّرُكُم بِالآخِرَةِ»(۱). ثم إنّه مُضافاً إلى هذا تُعتبر زيارةُ مراقد أئمة الدين وقادته نوعاً من الترويج للقيم الدينيّة، والمعنويّة، كما أنّ إعتناءَ الناس بمراقد أُولئك الشخصيّات سيُقوّى لديهم الفكرة التالية، وهى أنّ الحالة المعنوية التى كانت تلك الشخصيات تتمتّع بها هى التى جذبت قلوب الناس إليهم، وهى التى رفعتهم إلى تلك المنزلة العظيمة التى حازوا بها احترام الناس وتكريمهم لهم، إذ رُبّ رجال من أصحاب السلطان والقوّة يرقدون تحت التراب دون أن يحظوا بمثل هذه العناية والاحترام من قِبَل الناس. ولقد كانَ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يذهبُ فى أُخريات حياته إلى البقيع،

---

۱ . سنن ابن ماجة ج ۱، باب ما جاء فى زيارة القبور، ص ۱۱۳ .

(۳۱۲)

ويستَغْفر لأصحاب القبور، ويقول: «أَمَرَنى رَبّى أنْ آتى البَقيعَ وأستَغْفِرَ لَهمْ» ثم قالَ: إذا زُرْتُمُوهُمْ فقولوا: «السلامُ على أهْلِ الدّيارِ مِنَ المُؤمِنين والمُسْلِمين يَرحَمُ اللهُ المُسْتقدِمينَ مِنّا والمُسْتَأخِرين، وإنّا إنْ شاءَ الله بكم لاحِقُون»(۱). وقد اعتُبرت زيارَةُ قُبور أولياء الله وأئمّة الدين ـ فى كُتبِ الحديث ـ من الأعمال المستحبَّة المؤكدة، وكان أئمة أهلِ البيت يَذهَبُون دائماً لزيارة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وغيرهم من الأئمة المتقدمين عليهم، وكانوا يحثُّون أتْباعَهم على هذا العمل.

الاصلُ الخامسُ والثلاثون بعد المائة: المنع عن الغلو «الغُلُوّ» فى اللُّغة هو التجاوز عن الحدّ، وقد خاطب القرآنُ الكريمُ أهلَ الكتاب قائلاً: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ)(۲). ولقد خاطَبهم القرآنُ بهذا الخطاب لأنّهم كانُوا يغالُون فى حق السيّد «المسيح» ويتجاوزون الحدّ، إذ يقولون إنّه إلَهٌ، أو ابنُ الله، أو ربّ. وقد ظَهَرتْ بعد وفاةِ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فرقٌ وطوائفُ غالَت فيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو فى الأئمة المعْصُومين، من بعده وتجاوزت الحدَّ، ووصفوهم بمقامات

۱ . صحيح مسلم، ج ۲، باب ما يقال عند دخول القبور، ص ۶۴.

۲ . النساء | ۱۷۱ .

(۳۱۳)

مختصَّة بالله وحده، ومن هنا سُمّي هؤلاء بالغُلاة، لتجاوزِهم حدود الحق. يقولُ الشيخُ المفيد ؛: «الغُلاة من المتظاهرين بالإسلام همُ الذين نَسَبوا أمير المؤمنين إلى الالُوهية والنبوَّة، ووصفوهم من الفضلِ فى الدين والدنيا، إلى ما تجاوزوا فيه الحدَّ، وخَرَجُوا عن القصد»(۱). ويقول العلاّمةُ المجلسىّ: إنّ الغُلُوّ فى النبىّ والاَئمّة: إنّما يكون بالقول بأُلُوهيتهم، أو بكونهم شركاء لله تعالى فى المعبوديّة، أو فى الخلق، والرزق، أو أنّ الله تعالى حلَّ فيهم، أو اتّحدَ بهم، أو أنّهم يعلمون الغيب بغير وحيٍ أو إلهامٍ من الله تعالى، أو بالقولِ فى الاَئمّة أنّهم كانوا أنبياء، أو القول بأنّ معرفتهم تُغنى عن جميع الطاعات، ولا تكليف معها بترك المعاصى(۲). ولقد تبرَّأَ الإمامُ علىٌّ وأبناؤُهُ الطاهرون صلوات الله عليهم من الغلاة، وكانوا يلعنونهم على الدّوام، ونحن هنا نكتفى بإدراج حديثٍ واحدٍ فى هذا المجال. يقول الإمام جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ : «إحذَرُوا على شَبابِكُمُ الغُلاةَ لا يُفْسدُوهُمْ، فإنَّ الغلاةَ شرُّ خلقِ اللهِ، يُصغِّرونَ عظمةَ اللهِ ويَدَّعُون الرَّبوبيَّةَ لِعبادِ اللهِ»(۳).

۱ . تصحيح الاعتقاد ص ۱۳۱ .

۲ . بحار الاَنوار ج ۲۵، ص ۳۶۴.

۳ . المصدر السابق، ص ۳۶۵ .

(۳۱۴) ولهذا لاقيمة لتظاهر الغُلاة بالإسلام، فهم عند أئمةِ الدين كفارٌ ضُلاَّلٌ. هذا ومن الجدير بالذِكر هنا أنْ يقال: كما يجب الاجتنابُ حتماً عن الغلوّ، يجب أن لا نعتبر كلَّ تصوّرٍ واعتقادٍ فى حقّ الاَنبياء، وأولياء الله غُلوّاً، ويجب الاحتياط فى هذا المجال كبقيّة المجالات الاُخرى، وتقييم العقائد بشَكل صحيح.

(۳۱۵)

الفصل العاشر الحديث والاجتهاد والفقه

الحديث والاجتهاد والفقه

الحديث والاجتهاد والفقه الاَصل السادسُ والثلاثون بعد المائة: مصادر التشريع والحديث يَعملُ الشيعة الإمامية فى العَقائد والاُصول بأحاديث مرويّةٍ عن رسولِ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن طريق ثقات يُعتَمَد عليهم، سواء أكانت هذه الروايات والاَحاديث. فى كتب الشيعة أم فى كتب أهل السُّنّة. من هنا ربّما استَنَد الشيعة فى كتبهم الفقهيّة إلى رواياتٍ منقولة عن طريق رواة من أهل السّنة أيضاً، ويُسمّى هذا النوع من الحديث الذى تُصَنَّف أقسامه على أربعة أقسام، بالموثّق. وعلى هذا فإنّ ما يرمى به البعض من المغرضين «الشيعةَ الإماميةَ» فى هذا المجال لا أساس له من الصحّة مطلقاً. إنّ الفقه الشيعىَّ الإماميَّ يقوم ـ أساساً ـ على الكتاب والسُّنّة، والعقل، والإجماع. والسُّنَّة عبارة عن قول المعصومين وفعلهم وتقريرهم وعلى رأسهم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . وعلى هذا إذا روى شخصٌ ثقة حديثاً عن رَسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ واشتمل ذلك الحديثُ على قولِ النبى، أو فعله، أو تقريره، كانَ معتبراً فى نظر

(۳۱۸) الشيعة الإمامية وتلقّوه بالقبول وعملوا وفقه. وما نجده فى مؤلّفات الشيعة ومصنّفاتهم شاهدُ صدق على هذا القول، ويجبُ أن

نقول: إنَّه ليس هناك أيُّ فرقٍ بين كتب الشيعة فى الحديث، وكتب أهل السنّة فى الحديث، فى هذا المجال، إنّما الكلام هو فى تشخيص من هو الثقة، وفى درجة اعتبار الراوى.

الأَصلُ السابعُ والثلاثون بعد المائة: حجيّة الأَحاديث المرويـة عن أئمة أهل البيت : إنّ الأَحاديث والرّوايات التى تُنْقَل عن أئمة أهل البيت المعصومين بأسنادٍ صحيحة، حجّةٌ شرعيّة، ويجب العمل بمضمونها، والإفتاء وفقها. إنّ أئمة أهل البيت: ليسوا بمجتهدين أو «مفتين» ـ بالمعنى الإصطلاحىّ الرائج للَّفظتين ـ بل كلُّ ما يُنقَلُ عنهم حقائق حَصَلوا عليها من الطُرُقِ التالية: ألف ـ النَقْل عن رَسُول اللهِ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إنّ الأَئمّة المعصومين: أخَذوا أحاديثهم من جَدّهمْ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (خَلفاً عن سَلَف وكابِراً عن كابر) ثم رووها للنّاس. وإنّ هذا النَوع من الأَحاديث والرِّوايات التى رَواها كلُّ إمام لاحق عن الإمام السابِق إلى أن يصل السَند إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كثيرة فى أحاديث الشيعة الإمامية. ولو أنّ هذه الأَحاديث التى وردت عن أهل البيت واتصل سَنَدها

(۳۱۹)

برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جُمِعَت فى مكانٍ واحدٍ لحصل مِنها مُسْنَدٌ كبيرٌ يُمثل كَنزاً عظيماً للمحدّثين، والفُقَهاء المسلمين، لأنّ مثل هذه الأَحاديث والروايات بهذه الأَسانيد المُحكَمة القَوِيّة لا نَظير لها فى عالم الحَديث ، ونشير إلى نموذج واحدٍ من هذه الأَحاديث، ويسمّى بحديث «سلسلة الذهب» ويُقال انّ السامانيّين كانوا يحتفظون بنسخةٍ منه فى خزانتهم حبّاً منهم للأَدب والعلم. روى الشيخُ الصَّدوقُ، عن أبى سعيد محمد بن الفَضل النيسابورى، عن أبى على الحسن بن على الخزرجى الأَنصارى السعدىّ، عن أبى الصَّلت الهَرَوىّ، قال: كنتُ مع على بن موسى الرّضا ـ عليه السلام ـ حين رَحَلَ من «نيسابور» وهو راكبٌ بغلةً شهباء، فاذا محمدُ بن رافع، وأحمد بن حرب، ويحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وعدّةٌ من أهل العلم، قد تَعَلَّقوا بلجام بغلته فى المربعة فقالوا: بحقّ آبائِك المطهَّرين، حدِثنا بحديثٍ قد سَمِعته من أبيك، فأَخرَجَ رأسَه من العَمارية، وعَليه مِطرف خزٍ ذو وجهين، وقال: «حَدَّثَنى أبى العبدُ الصالح موسى بنُ جعفرٍ قال: حَدَّثنى أبى الصادقُ جعفرُ بنُ محمدٍ قالَ: حَدَّثنى أبى أبو جَعفر محمدُ بنُ علىٍ باقر عِلم الأَنبياء قالَ: حَدَّثَنى أبى علىُّ بن الحسين زينُ العابِدين قالَ: حَدَّثنى أبى سيدُ شبابِ أهلِ الجَنَّةِ الحسينُ قالَ: حَدَّثنى أبى علىُّ بنُ أبى طالب قالَ: سَمِعْتُ النَّبىَّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: قالَ الله جَلَّ جَلالُه: لا إلَهَ إلّا اللهُ حِصْنِى فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِى أمنَ مِن عَذابى». فلَما مَرَّتِ الراحِلةُ، نادانا: «بِشُروطِها، وأنا مِن شُروطِها».(۱)

---

۱ . التوحيد للشيخ الصدوقَ: الباب ۱، الأَحاديث ۲۱، ۲۲، ۲۳ .

(۳۲۰) ب : الرِوايـة من كتابِ علىٍّ ـ عليه السلام ـ لقد صاحَبَ علىٌ ـ عليه السلام ـ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى فترةِ بعثته كلّها، ولهذا استطاع أن يحفظ ويدوّن قدراً عظيما من أحاديث رسولِ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى كتاب (وفى الحقيقة كان ذلك الكتابُ من إملاءِ رسولِ اللهـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكتابة على ـ عليه السلام ـ). ولقد ذُكِرَت خُصوصيّات هذا الكتاب الذى صار بعد استشهاد الإمام على ـ عليه السلام ـ إلى أهل بيته فى أحاديث أهل البيت:. يقول الإمام الصّادق عن هذا الكتاب: «طولُه سَبْعون ذراعاً، إملاء رسولِ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قاله من فِلقِ فِيه، وخطّ على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ بيده، فيه والله جميع ما تحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة»(۱). ومِنَ الجدير بالذّكر أنّ هذا الكتاب بقىَ عند أهل البيت يتوارثه إمامٌ من إمام، وقد نقل الإمامُ الباقر والإمام الصّادق۸ رواياتٍ عديدةٍ منه وربّما أطلَعُوا بعضَ شيعتهم عليه. ويوجَدُ قسمٌ كبير من أحاديثه الآن فى المجاميع الحديثيّة الشيعية وبالأَخص كتاب «وسائل الشيعة». ج : الإلْهاماتُ الإلَهيّة إنّ لِعلومِ أهلِ البيت: مَنبعاً آخر يمكن أن نسَمّيه بالإلهام.

---

۱ . بحار الأَنوار ج: ۲۶ | ۱۸ ـ ۶۶ .

(۳۲۱) والإلهامُ ليس مخصوصاً بالأنبياء، فقد كان فى طول التاريخ من الشخصيات المقدَّسة مَن كان يحظى بهذا الإلهام، مع أنّهم لم يَكونوا أنبياء، وقد كانت تلقى إليهم بعضُ الأسرار من عالم الغيب، وقد أشار القرآنُ الكريمُ إلى ذلك عندما تَحدَّثَ عن مرافق النبىّ موسى (خضر) الّذى علّم موسى بعضَ الأشياء فقال: (آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدنا وَعَلّمناهُ من لَدُنّا عِلْماً)(۱). كما وأنّه قال فى شأن شخصٍ من حاشية النبىّ سليمان ـ عليه السلام ـ (وهو آصف بن برخيا) قال: (قالَ الّذِى عندَهُ عِلْمٌ مِن الكِتاب)(۲). إنّ هؤلاء الأشخاص لم يَتعلَّموا علومَهم، ولم يَكتسبُوا مَعلوماتهم من طريق التعلّم، بل هو كما يُعَبّرُ عنه القرآنُ عِلْمٌ لَدُنّىّ:(عَلَمّنّاهُ مِنْ لَدُنّا عِلماً). وعلى هذا الأساس لا يكونُ عدم كون الشخص نبيّاً، مانِعاً من أن يحظى بالإلهام الإلَهىّ، كما يحظى بعضُ الأشخاص من ذوى الدَرَجات المعنويّة الرفِيْعَة بالإلْهام الإلَهىّ. وقد أُطلق على هذا النَمَط من الأشخاص فى أحاديث الفريقين وصف «المُحدَّث» يعنى الّذين تَتَحدّثُ معهم الملائكةُ من دون أن

---

۱ . الكهف | ۶۵ .

۲ . النمل | ۴۰ .

(۳۲۲)

يكونوا أنبياء. فقد رَوى البخارىُّ فى صحيحِهِ عن النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنّه قال: «لَقَدْ كانَ فِيمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ مِن بَنى إسْرائِيل يُكلَّمون مِن غَيرِ أنْ يَكُونُوا أنْبِياء».(۱) من هنا كان أئمة أهل البيت: ـ لكونهم مراجعَ للأُمة فى بيان المعارف الإلَهيّة، والأحكام الدينيّة ـ يجيبون على الأسئلة التى لا توجَد أجوبتها فى أحادِيث النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو فى كتاب على ـ عليه السلام ـ، من طريق «الإلهام» والتعليم الغيبى، والعِلم اللَدُنِىّ.(۲)

الأصلُ الثامنُ والثلاثون بعد المائة: تدوين الحديث إنّ الأحاديث النَبويّة تحظى باعتبارٍ خاصٍّ، مثل القرآن الكريم، فالكتاب والسُّنّة كانا ولا يزالان من مصادر المسلمين الاعتقادية والفقهيّة. ولقد أحجَمَ فريقٌ من المسلمين بعد رحلة النبىّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتحت ضغطٍ من السُّلُطات الحكومية بعد النبىّ، من كتابة وتدوين الحديث، ولكنّ أتباع أهلِ البيت: لم يغفَلوا ـ ولحسن الحَظّ ـ ولا لحظة واحدة عن تدوين الحديث، فدوَّنُوا، وضَبَطوا الحديث بعد رحيل النبىّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . ولقد قُلنا ـ فى الأصل السابق ـ بأنّ قِسماً من أحاديث أئمة أهلِ البيت مأخوذٌ عن الرسول الأكرم نفسه.

---

۱ . صحيح البخارى: ۲ | ۱۴۹ .

۲ . راجع حول المحدَّث وتعريفه كتاب إرشاد السارى فى شرح صحيح البخارى: ۶ | ۹۹ وغيره.

(۳۲۳) ولقد قام علماءُ مدرسة أهل البيت وعلى طول التاريخ، بتأليف مجاميع حديثيّة كبيرة، ومدوَّنات تضمُّ الرّوايات والأخبار، جاءَ ذكرها فى كتب الرجال، خاصّة فى القرنِ الرابعِ والخامسِ الهجريّين، مستفيدين ـ فى هذا الصعيد ـ من الكتب التى تمَّ تأليفُها وتدوينُها فى عصر الأئمة:، وعلى أيدى أصحابهم وتلامذتهم العَدِيدين. والكتب الحديثية الجامعة المدَوَّنة التى تعتَبرُ اليومَ محوراً للعقائد والأحكام الشيعية هى عبارة عن: ۱. «الكافى» تأليف محمّد بنِ يعقوب الكلينىّ (المتوفّى عام ۳۲۹ هـ) فى ثمانية أجزاء. ۲. «مَنْ لا يَحْضرُه الفقيهُ»، تأليف محمد بن علىّ بن الحسين بن بابويه المعروف بالصدوق (۳۰۶ ـ ۳۸۱ هـ) فى أربعة أجزاء. ۳. «التَهذيب» تأليف محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسىّ (۳۸۵ـ ۴۶۰ هـ) فى عشرة أجزاء. ۴. «الإستبصار»، تأليف المؤلف السابق، فى أربعة أجزاء. وهذه هى ثانى مجموعة من المجاميع الحديثيّة التى دوَّنها ونَظَّمها الشيعةُ، طوال التاريخ، بجهودِهِمُ الحثيثة حتى القرن الرابع والخامس الهجريّين، وقد أُلّفَتْ ـ كما ذكرنا ـ فى عصر الأئمة أى القرن الثانى والثالث جوامع حديثيّة تُسمّى بِالجَوامع الأوَّليّة، بالإضافة إلى «الأُصول الأربعمائة» وقد انتقلت محتوياتها إلى الجوامع الثانويّة. (۳۲۴) وحيثُ إنّ عِلمَ الحديث كانَ دائماً موضعَ إهتمام الشيعة،

لذلك أَلّفَت فى القرنِ الحادى عشر، والثانى عشر مجاميعُ حديثيةٌ أخرى نترك ذكر أسمائها لعلّة الاختصار. إلّا أنّ أكثر هذه المجاميع شهرةً هو «بحار الأنوار» للعلامة محمد باقر المجلسى، ووسائل الشيعة لمحمد بن الحسن الحرّ العاملى. هذا ومن البديهىّ أنّ الشيعة لا تعمل بكل حديث، ولا تعمل بأخبار الآحاد، فى العقائد، أو التى تخالف فى مضمونها القرآنَ أو السّنة القطعيّة، وليست بحجّة عندهم، على أنّ مجرّد وجود الرواية فى كتب الحديث عندهم لا يَدلُّ على إعتقاد المؤلّف بمفاده، بل الأحاديث تتنوَّع عند هذه الطائفة إلى صحيح وحَسَن، وموثَّق، وضعيف، ولكلٍّ واحدٍ من هذه الأنواع أحكامٌ خاصّة، ودرجةٌ خاصّة من الاعتبار، وقد جاء بيان ذلك على وجه التفصيل فى علم الدراية.

الأصلُ التاسع والثلاثون بعد المائة: الاجتهاد أشرنا فيما سبق إلى مصادر الفقه الشيعىّ الإمامىّ (وهى عبارة عن الأدِلّة الأربعة: الكتاب والسُّنة والعقل والإجماع)، وتسمّى عمليّة إستنباط الأحكام الشرعيّة من هذه الأدلّة بشروطٍ خاصّة مذكورة فى عِلم الأُصولِ بـ«الإجتهاد». إنّ الشريعة الإسلاميّة حيث إنَّها شريعةٌ سماويّةٌ، ولا شريعة بعدَها قَط، وَجَبَ أنْ تلبّى كلَّ الحاجات البشرية فى مختلف مجالات حياتها

(۳۲۵)

الفرديّة والاجتماعية. ومن جانبٍ آخَر حيث إنَّ الحوادث والوقائع لا تنحصر فيما كان فى زمن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فالتَطوُّرات المتلاحقة فى الحياة تطرح احتياجات وحالات جديدة، تحتاج كل واحدة منها طبعاً إلى حكم شرعى خاصّ. وبالنظر إلى هذين المطلبين يكون فتح باب الاجتهاد فى وجه الفقهاء على طول التاريخ أمراً ضروريّاً، إذ هل يمكن أن يكون الإسلام الذى هو شريعة إلَهية كاملة ودين جامع أن يسكتَ فى الحوادثِ الجَديدة الظهور، وأن يترك البشرية حائرة فى منعطفات التاريخ والحياة، أمام سيل الحوادث الجديدة. كُلُّنا نَعلم بأنّ علماءَ «الأُصول» قَسَّموا «الإجتهاد» إلى قسمين «الإجتهاد المطلَق» و «الإجتهاد فى مَذهَبٍ خاصٍّ». فإذا اجتهد شخصٌ فى مسلك أبى حنيفة الفقهىّ، وسعى إلى أن يحصل على رأيه فى مسألة مّا، سُمِّىَ عَمَلُه بـ«الإجتهاد فى المذهب». وأمّا إذا لم يقيّدِ المجتهدُ نَفسَه بمذهبٍ معيّن وخاصّ فى المذهب وسعى إلى أن يَفهَمَ الحكمَ الإلَهىَّ من الأدلّة الشرعيّة (سواءً وافق مذهباً ومَسلَكاً معيَّناً أو خالفه) دُعىَ ذلك بالإجتهادِ المطلق. ولقد أُغلق بابُ الإجتهاد المطلق ـ وللأسف ـ فى وجه علماء أهل السُّنّة(۱) لا، وإنحصر اجتهادُهم فى إطار المذاهب الأربعة خاصّة، وهو لاشك

---

۱ . المقريزى: الخطط: ۲ | ۳۴۴ .

(۳۲۶)

نوعٌ من تقييد عمليّة الاجتهاد، وتضييق لدائرته. إنّ فقهاء الشيعة اجتهدوا على أساس الكتاب والسّنة والعقل والإجماع، وسعَوا إلى أن لايتقيّدوا لإدراك الحقائق والمعارف الدينية بشىء، الّا إتّباع الأدلّة الشرعيّة. ومن هنا انتج اجتهادُهم الحىُّ المتحرّك فِقهاً جامعاً، منسجماً مع الإحتياجات البشريّة المختلفة، المتنوعة، المتطوّرة باستمرار، وخلّف كنزاً علمياً عظيماً. إنّ ما ساعد على إثراء هذا الفقه العميق المتحرّك هو المنع من تقليد الميّت، والحكم بتقليد المجتهد الحىّ، الذى يعرف بالمجتمع وبالزمان واحتياجاتهما، ومستجداتهما. إنّ الفقه الشيعىّ يوافق فى أكثر المسائل نظريات الفقهاء من المذاهب الأُخرى، وإنّ مطالعة كتابِ «الخلاف» للشيخ الطوسىّ شاهدُ صدقٍ على ذلك، فقلّما توجَد مسألةٌ فرعيّة فى الفقه الشيعىّ لا توافِق رأىَ أحد مؤسسى المذاهِبِ الأربعة، أو من سَبقهم من الفقهاء، ومع ذلك فثمّت مسائل للفقه الشيعى فيها رأىٌ خاصٌّ، نشير إلى بعضها ضِمن عدّة أُصول تالية، وسنَذكرها مع أدلّتها، لأنّه قد يُتَصَوَّر أنّ هذه الفروع الخاصّة لا يدل عليها شىءٌ أو هى تخالف الكتاب والسُّنّة، والحال أنّ الأمر على عكس ذلك.

بَعضُ الأحكام الفقهيّة المختلَف فيها

بَعضُ الاَحكام الفقهيّة المختلَف فيها إنَّ الدينَ الإسلاميَّ تركيبة مزيجةٌ من العقيدة والشريعة (أى من الرؤية والنظرة إلى الوجود، ومما يجب وما لا يجب) واللّذين يُعَبَّر عنهما بأُصول الدين وفُرُوعه أيضاً. ولقد وقفنا فى الاَبحاث السابقة على أُصول عقائد الشيعة بصورة برهانيّة، كما تمَّ بيان موقف الشيعة ونظريتهم حول اعتبار أحاديث النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأهل البيت: أيضاً. والآن يجب أن نشير باختصار إلى الأُسلوب والمنهج الفقهىّ للشيعة وإلى بعض المسائل الفقهيّة التى للشيعة فيها آراءٌ خاصّة، وموقف خاص.

(۳۲۸) الاَصلُ الاَربعون بعد المائة: حجّية قول الصحابى وروايته لقد رُوِيَت ونُقِلَت السنّة النبويّة إلى الاَجيال اللاحقة عن طريق فريقٍ مِن صَحابته، وما رُوى من قوله، وفعله، وتقريره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حجةٌ إلَهيّةٌ يجب اتّباعُها، والعمل بموجبها. فإذا روى صحابىٌ السُّنةَ النبويّةَ وحازت تلك الرواية على كل شرائط الحجية تلقّاها الجميعُ بالقبول ولزم العمل وفقها. وهكذا إذا فَسَّرَ أحدُ الصَّحابة لغةً من لغات القرآن ولفظاً من ألفاظه، أو روى شيئاً من الحوادث والوقائع المرتبطة بعصر الرسالة، أو غيرها، قبلت روايتهُ إذا توفرت فيها الشروط المذكورة. ولكن إذا ذَكَرَ الصحابىُّ رأيَه أو استنباطَه من آية قرآنية، أو حديث نبوىّ، أو نُقِلَ عنه قولٌ، ولم يتبيّن أنّ ذلك المنقول هل هو من سنّة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، أو أنّه رأى ذلك الصحابى واجتهاده الخاص، لم يكن فى هذه الحالة حجةً، لاَنّ رأى المجتهد ليس حجة على غيره من المجتهدين. ولهذا يجب التفريق فى مجال العمل بقول الصحابىّ بين رأيه واجتهاده، وبين ما ينقله للسنّة النبوية. والشيعة الإمامية إنّما تعمل بقول الصحابى إذا روى السُّنة النبويّة. (۳۲۹)

الاَصلُ الواحدُ والاَربعون بعد المائة: التقليد يجب على كل مسلم أن يحصِّلَ على اليقين فى المسائل التى يجب ان يعتقدها، ولا يجوز له اتّباعُ الآخرين فى هذه المسائل من دون أن يحصل له اليقين. وحيث إنّ أُمّهات الاُصول وكلّيات المسائل الاعتقادية محدودة ومعدودة ولكلّ منها أدلةٌ عقليةٌ واضحةٌ، لهذا فإنّ تحصيلَ اليقين للاَشخاص فى أُصول الدين وأساسيات العقيدة، قضيةٌ سهلة، فى حين أنّ نطاق الفروع والاَحكام الفقهية لما كان واسعاً جداً، والعلم بها يحتاج إلى مقدمات كثيرة، لا يقدر أغلبُ الاَفراد على تحصيلها، لهذا فإنّ على أُولئك الاَشخاص ـ بحكم الفطرة، وتبعاً لسيرة العقلاء ـ أن يرجعوا فى أحكام الشريعة إلى العلماء والمجتهدين، ليقوموا فى ضوء ذلك بواجباتهم الدينية، ووظائفهم الشرعية. إنّ الإنسان ـ فى الاَساس ـ فاعلٌ عِلْمِىٌ أى إنّه يقومُ بأعماله على أساس العلم والمعرفة، فإذا تيسَّر له ان حَصَل بنفسه على تلك المعلومات أخَذَ بها وعمل على ضوئِها، وإلّا استعان بغيره. وهنا لا بدّ من أن نعلم بأنّ التقليد للمجتهد الجامع للشرائط والرجوع إليه لمعرفة الوظيفة الشرعية، هو نوعٌ من الرجوع إلى المتخصّصين، ولا علاقة له بالتقليد الاَعمى الناشئ من العصبيّة القوميّة، أو العرقية أو ما شاكل ذلك. (۳۳۰)

الاَصلُ الثانى والاَربعون بعد المائة: الوضوء اتّفق المسلمون على أنّ الإسلام عقيدة وشريعة . أمّا الاُولى فقد تعرفت عليها فى الفصول الماضية . أمّا الشريعة فأُصولها أربعة : ۱. العبادات . ۲. المعاملات . ۳. الإيقاعات . ۴. الاَحكام . وأُصول العبادات عبارة عن الاُمور التالية : ۱. الصلاة ونوافلها. ۲. الصوم الواجب والمستحب . ۳. الزكاة . ۴. الخمس . ۵. الحج . ۶. الجهاد . ۷. الاَمر بالمعروف . ۸ . النهى عن المنكر . (۳۳۱) هذه أُمهات العبادات والامور القُربيّة عند الإمامية طبق الشريعة الإسلامية اكتفينا بالإشارة إليها ، وأمّا المعاملات والإيقاعات والاَحكام فبيانها على عاتق الكتب الفقهية. نعم هناك أحكام ربما لا تتفق الشيعة فيها مع الآخرين ونشير إلى مهماتها وهى فى الوقت نفسه أُمور فقهية. مسح الاَرجل مكان غسلها كلُّنا نَعلمُ بأنّ الوُضوء هو أحَدُ مقدمات الصلاة فإنّنا نقرأُ فى سورة المائدة قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُم إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ)(۱). وللفظة «الاَيدى» وهى جمع «يد» التى جاءت فى جملة (فَاغسِلُوا وجوهَكم وأيديَكم إلى المَرافِق) إستعمالاتٌ مختلِفةٌ فى اللُّغة العربيّة فربما تُطلق ويراد منها الاَصابع إلى الرسغ، وربما يُراد منها الاَصابع إلى المرافق، وربما تُطلَق ويراد منها من رؤوس الاَصابع إلى الكتف. هذا أوّلاً. وثانياً: حيث إنّ المقدار الواجب غسلُه فى الوضوء هو ما بين رؤوس الاَصابع والمرافق، لذلك استعمل القرآن الكريم لفظة (إلى المرافق) ليعرف المقدارَ الواجبَ غسلُه من هذين العضوين فى الوضوء.

۱ . المائدة | ۶ .

(۳۳۲) وعلى هـذا الاَساس فانّ كلمة «إلى» فى قوله تعالى: (إلى المرافق) تبين مقدار «المغسول» من اليدين لا كيفيّة غسل اليدين (أى انّ الغَسـل من الاَعلى إلى الاَسـفل أو من الاَسـفل إلى الاَعلى) بل كيفيّـة الغَسل متروكـةٌ للعُرف ولعادة الناس الـذين يَغسـلون الاَعضاءَ والجوارح عـادةً من الاَـعلى إلى الاسـفل، وهو أمر موافق للطبيعـة كـذلك. وللمثـال: إنّ الطبيب حينمـا يـأمر بغَسل رجلى المريض الى الرُّكبة نجدهم يغسـلونَهما من الاَعلى إلى الاَسفل. ولهذا فإنَّ الشيعةَ الإماميـة تعتقد بأنّ غَسل الوَجه واليدين فى الوضوء يجب ان يكون من الاَعلى إلى الاَسـفل، ولا يصحّحون عكس ذلك. وثمّتَ مطلبٌ آخر فى الوضوء وهى مسألة مسح الاَرجل فإنّ الفقه الشيعى يقول: يجب المسـح لاـ الغَسـل، ويـدلُّ على ذلـك بإيجاز، ظـاهرُ الآيـة السادسـة من سورة المائـدة التى تبيّن أن هناك وظيفتين فى الوضوء إحداهما «غَسلٌ» والاُخرى «مسحٌ». والغَسل للوجه واليدين، والمسح للرأس وللرجلين. ۱. (فاْغسِلُوا وجوهَكم وأيديكم إلى المرافق). ۲. (وامسَـحوا بِرءُوسِـكَم وأرجلَكم إلى الكعبين). ولو أنّنا عرضـنا هاتين الجملتين على أىّ عربى أصـيل غير عارفٍ بمذهبٍ فقهىٍ خاصٍ، ولا مطّلع على موقف اجتهادىّ معيّن، وطلبنا منه

(۳۳۳)

أن يبيّن المرادَ منها، لقال من دون تردّد: إنّ وظيفتنا وفق هـذه الآيـة عملان، أحـدهما: الغَسل وهو للوَجه واليدين، والآخر: المَسح وهو للرأس والرجلين. ومن حيث القواعـد العربيـة فـإنّ لفظـة (أرجلكم) يجب أن تُعطف على كلمـة (رءُوسِـكم) فتكون النتيجـة هى مسـح الاَرجـل ولا يجوز عطفها على الجملـة الاَسـبق وهى (واغسـلوا... وايـديكم) التى تكون نتيجته غسل الاَرجل لاَنّ العطف على أيـديكم يسـتلزم الفصـل بين المعطوف وهو (أرجلكم) والمعطوف عليه وهو (وأيـديكم) بجملـة معترضـة وهى (فَامسـحُوا برءُوسِـكم) وهو غير صحيحٍ من حيثُ القواعِدِ النَحويةِ العربيّة، ويوجب الإلتباس فى المقصود. كما أنّه لا فرق فى هذه المسألة بين قراءة (أرجلكم) بالجر أو النصب، فعلى كلتـا القراءتين يجب عطـف (أرجلكم) على (رءُوسـكم) مـع فـارقٍ واحـد وهـو أن فى الاَـوّل يكـون العطفُ على اللَّفظ والظاهر، وفى الثانى يكون العطفُ على المحلّ. وبعبارة أُخرى ؛ إذا عُطِفتِ أرجلكم على لفظ رءُوسِـكم قُرئت بالجرّ، واذا عُطِفَت على المحـلّ (وهو المَفعوليـة) قرِئَت بـالنصب. والرّوايـات المتواترة الواردة عن أهـل البيت: تحكى عن أنّ «الوضوء» يتألّف من شـيئين هما: «غسـلتان» و «مسحتان» وقد روى الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ فى حديث بيّن فيه وضوءَ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنّ النبىَّ ـ صلى الله عليـه وآله وسـلم ـ كـانَ يمسح على رِجليه. (۳۳۴) هـذا والجـديرُ بالـذِكر أنّه لم يكن أئمـة أهل البيت: هم وحـدهم الذين يمسـحون على الاَرجل عنـد الوضوء، بل كان فريق من الصـحابة والتابعين يرَون هـذا الرأى ويذهبون هذا المذهب أيضاً. وليست أئمّة أهـل البيت: منفردين فى هـذا القول بل وافقهم فيه لفيف من الصـحابة والتابعين. أمّا الصـحابة ، فمنهم : ۱. الإمـام على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ . ۲. عثمان بن عفان . ۳. عبد الله بن عباس الصحابى . ۴. النزال بن سبرة الهلالى . ۵. رفاعة بن رافع بن مالك البدرى . ۶. أنس بن مالـك بن نضـر خـادم رسول الله ـ صـلى الله عليه وآله وسـلم ـ . ۷. تميم بن زيـد المازنى الذى له صـحبة . ۸ . أبو مالك الاَشـعرى: الصـحابى . وأمّا من التابعين، فنـذكر منهم : ۹. الإمـام الباقر محمـد بن على بن الحسـين ـ عليه السـلام ـ . ۱۰. بسر بن سعيد المدنى . ۱۱. حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان . (۳۳۵) ۱۲. عبد خير بن يزيد الكوفى التابعى . ۱۳. عباد بن تميم الخزرجى. ۱۴. أوس بـن أبى أوس الثقفى . ۱۵. عامر شـراحيل بن عبد الشعبى . ۱۶. عكرمة مولى ابن عباس . ۱۷. عروة بن الزبير القرشى . ۱۸. قتادة بن عزير البصرى . ۱۹. موسـى بن أنس بن مالك قاضى البصرة . ۲۰. حصين بن جندب الكوفى التابعى . ۲۱. جبير بن نفير بن مالك بن عامر الحضـرمى . ۲۲. إسـماعيل بن أبى خالـد البجلى الاَحمصـى . ۲۳. عطـاء القـداحى . إلى غير ذلك ممّن ذكرنا أسـماءهم فى رسالة مخصَّصة بحكم الاَرجل فى الوضوء.(۱) ولكن سنة مسح الاَرجل هذه تبدَّلت إلى الغَسل فيما بعد لاَسباب خاصّة جاء ذكرها فى الكتب الفقهيّة. وقد قال ابن عباس الوضوء غسلتان ومسحتان(۲).

۱ . لاحظ رسالة حكم الأرجل فى الوضوء، ص ۶۱ ـ ۶۸ .

۲ . تفسير الطبرى : الجزء ۶ | ۸۲ .

(۳۳۶)

الأصلُ الثالث والأربعون بعد المائة: ما يصح السجود عليه تعتقد الشيعة بأنّه يجب السجود فى حال الصلاة على الأرض وما ينبت منها بشرط أن لا ـ يكون مأكولاً ولا ملبوساً، وأنّه لا يصحُّ السجود على غير ذلك فى حال الإختيار. فقد روى فى حديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، ونَقَلَهُ أهلُ السُّنة أنّه قال: «وجُعِلَتْ لِىَ الأرضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً»(۱). وكلمة «الطهور» التى هى ناظرة إلى التيمّم تفيد أنّ المقصودَ من الأرض هو الأرض الطبيعيّة التى تتمثل فى التراب والصخر والحصى وما شابهها. ويقول الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ أيضاً: «السجودُ لا يَجُوز إلّا عَلى الأرض أو عَلى ما أنبَتت الأرضُ إلّا ما أُكِلَ أو لُبِس»(۲). ولقَد كانت سِيرةُ المسلمين فى عصر الرسول الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هى السجود على أرض المسجد التيكانت مفروشة بالحصى، وعندما كان الجوّ حاراً جداً بحيث كان السجود على الحصى أمراً عسيراً، كانَ يسمح لهم بأن يأخذوا الحصى فى أكفهم لتبريدها، حتى يمكنهم السجودُ عليها. يقول «جابرُ بنُ عبد الله» الأنصارى: كنتُ أُصلّى مع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ

---

۱ . صحيح البخارى: ۱ | ۹۱ ، كتاب التيمم، الحديث ۲.

۲ . وسائل الشيعة، ج ۳، الباب ۱ من أبواب «ما يُسجَد عليه» الحديث الأوّل، ص ۵۹۱.

(۳۳۷)

الظُهر فآخذ قبضةً من حصى فى كفّى لِتبرُدَ حتى أسجدَ عليه من شِدّة الحر.(۱) وتجنَّبَ أحد الصَّحابة عن تتريب جبهته عند السجود، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «ترّب وجهك»(۲). كما انّه إذا كان أحدٌ من الصحابة يسجد على كور العمامة أزاح النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بيده عمامته عن جبهته.(۳) إنّ هذه الأحاديث كلَّها تشَهد بأنّ وظيفة المسلمين فى عصر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كانت فى البداية هى السجودُ على التراب والحصى، ولم يسجدوا على الفراش أو اللباس أو على طرف العمامة، ولكن النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أُبلغ عن طريق الوحى الإلَهى فيما بعد أنّه يمكنه السجودُ على الحصير والخُمرة أيضاً وثمت رواياتٌ عديدةٌ وكثيرةٌ تحكى عن سجود النبىّ على الحصير والخُمرة.(۴) إنّ الشيعة الإمامية كانوا لا يزالون مقيّدين بهذا الأصل، فهم كانوا ولا يزالون يسجُدون فقط على الأرض، أو ما ينبتُ من الأرض من غير المأكول والملبُوس كالحصير المصنوع من سَعْف النَخْل، أو القَصَب، ويرجع إصرارهم على السجود على التراب أو الحصى والصخر أو

---

۱ . مسند أحمد: ۳ | ۳۲۷، حديث جابر، سنن البيهقى: ۱ | ۴۳۹.

۲ . كنز العمّال: ۷ | ۴۶۵، رقم الحديث ۱۹۸۱۰ .

۳ . راجع سنن البيهقى: ۲ | ۱۰۵ .

۴ . مسند أحمد : ۶ | ۱۷۹، ۳۰۹، ۳۳۱، ۳۷۷، و ۲ | ۱۹۲ ـ ۱۹۸ .

(۳۳۸)

الحصير إلى هذه الأدلّة الساطعة. ثم إنّ من الأفضل أن تكون المساجدُ فى البلاد الإسلامية على نحو يمكن لأتباع جميع المذاهب المختلفة العمل بوظائفهم دون حرج. وفى الخاتمة ؛ لابد أن نُذكّر بهذه النقطة وهى أنّ التراب والحجر هو فى الحقيقة «مسجودٌ عليه» وليس «مسجوداً له» فالشيعة يسجدون على التراب والحجر لا أنّهم يسجدون لهما. وربما يُتصوّر أحد خطأً أنّ الشيعة يسجدون للتراب والحجرفى حين انّهم إنّما يسجدون لله تعالى تماماً مثل جميع المسلمين ويضعون جباههم على التراب تذلّلاً لله تعالى ويقولون سبحانَ

ربّى الاعلى وبحمده. الاَصل الرابع والاَربعون بعد المائة: الجمع بين الصلاتين يَجبُ على كلّ مسلم أن يصلّىَ لله كلّ يوم وليلةٍ خمسَ مرّات فى الاَوقات الشرعيّة التى بيّنها الله تعالى ورسولهُ الكريم فى القرآن والسُّنة. فوقت صلاة الظهر والعصر يَبدَأُ من الزَّوالِ إلى الغُروب، ووقتُ صَلاةِ المغرب والعشاء يبدأ من المغرب إلى منتصف اللَّيْل، ووقتُ صلاة الصُّبح يبدأ من طلوع الفجر إلى طلوع الشَّمس. إنّ الشيعة تعتقد بأنّ الظُّهَر إلى المغرب هو الوقت المشترك بين الصَّلاتين، إلاّ بمقدار أربع ركعات من أوّل الوقت، فهو وقت مختص

(۳۳۹)

بصلاة الظهر، وبمقدار أربعة ركعات من آخرِ الوقتِ فهو وقتٌ مختصٌ بصَلاةِ العَصر. وعلى هذا الاَساس يجوزُ للإنسان الإتيانُ بكلتا الصَّلاتين: الظُّهرِ والعصرِ فى الوقت المشتَرَك (أمّا فى وقت الظهر ووقت العصر فلا يجوز إلاّ الإتيان بالصلاة المختصّة به فيه) وإن كان الاَفضل أن يفصلَ بين الظهرين والعشائين، ويأتى بكلّ واحدةٍ منهما فى وقتِ فضيلتها التى ستُذكر فيما بعد(۱) ولكنه فى نفس الوقت يجوز الجمعُ بينهما، وترك وقت الفضيلة. يقول الإمامُ الباقرُ ـ عليه السلام ـ : إذا زالتِ الشَّمسُ دَخَلَ الوقتان الظهرُ والعصرُ، وإذا غابتِ الشمسُ دخلَ الوقتان المغربُ والعشاءُ الآخرة(۲). وقال الإمامُ الصادق ـ عليه السلام ـ : «إذا زالَتِ الشَّمسُ فَقَدْ دَخَلَ وَقتُ الظُّهرِ والعَصرِ جميعاً، إلاّ أنَّ هذِهِ قبلَ هذهِ، ثم إنّه فى وقت منهما جميعاً حتى تغيبَ الشمسُ»(۳). ويُخبرُ الإمامُ الباقر ـ عليه السلام ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنّه كان يَجمعُ بين الظُّهر والعَصر مِن دون عذر أو علة.(۴)

---

۱ . وقت فضيلة صلاة الظهر من أوّل زوال الشمس إلى الوقت الذى يصير فيه ظلّ الشاخص بمقدار نفسه، ووقت فضيلة صلاة العصر كذلك عندما يصير ظل الشاخص ضعفى مقداره.

۲ . وسائل الشيعة: ج ۳، أبواب المواقيت الباب ۴، الرواية ۱ .

۳ . وسائل الشيعة: ج ۳، أبواب المواقيت، الباب ۴، الرواية ۴ و ۶ .

۴ . نفس المصدر .

(۳۴۰) إنّ جوازَ الجمع بين الصلاتين (الظّهرين، والعِشائين) موضعُ اتّفاق بين جميع فقهاء الإسلام، فجميع الفقهاء يجوّزُون الجمع بين الصلاتين: الظُّهر والعَصر فى عرفة والمغرب والعشاء فى المزدلفة . كما أنّ فريقاً كبيراً من فُقَهاءِ أهل السُّنّة يجوّزُون الجمعَ بين الصَّلاتين فى السَّفر. وما يَختلفُ فيه الشيعةُ عن الآخرين هو أنّهم يتوسَّعُون فى هذه المسألة إستناداً إلى الاَدِلّة السّابقة (مع القبول بأفضلية الإتيان بالصلوات الخمس فى أوقات فضيلتها والقول به وترجيحِهِ) فيجوّزُونَ الجمعَ بين الصَّلاتين مطلقاً. وحكمة هذا الاَمر هى ـ كما جاء فى الاَحاديث ـ التوسعة على المسلمين والتخفيف عنهم، وقد جَمَعَ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نفسُه فى مواضع كثيرة بين الصَّلاتين من دون عذر (كالسَّفر، والمرض وغيرهما) ليخفّف بذلك عن المسلمين، ويوسّعَ عليهم، حتى يستطيع ان يجمع بينهما كلُّ من شاءَ أنْ يجمع، ويُفّرِقَ بَيْنهما كلُّ من شاءَ أنْ يفرّق. فقد رَوى مُسْلم فى صحيحه الحديث الآتى: «صَلّى رسولُ الله الظُّهرَ والعَصرَ جميعاً، والمغرب والعِشاء جميعاً فى غير خوف ولا سَفَرٍ»(۱). وقد أُشير فى بعض الرّوايات إلى حِكمة هذا العمل.

---

۱ . صحيح مسلم: ۲ | ۱۵۱، باب الجمع بين الصلاتين فى الحضر .

(۳۴۱) فقد جاء فى إحدى تلك الروايات ما هذا نصُّه: «جَمَعَ النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بين الظُّهر والعصر وبين المغرب والعِشاء. فقيلَ له فى ذلك . فقال: صَنَعْتُ هذا لِئلاّ تُحرَجَ أُمّتى »(۱). إنّ الروايات التى تحدّثت عن جمع النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بين الصلاتين وردت فى الصحاح والمسانيد وهى تنص على جواز الجمع بين الصلاتين تربو على واحدة وعشرين رواية، بعضُها يرتبط بالسَّفر، والبعض الآخر يكون فى غير السفر والمرض والمطر. وفى بعضها أُشيرَ إلى حكمة الجَمع بين الصَّلاتين وهو

التوسعة والتخفيف عن المسلمين، وقد استفاد فقهاء الشيعة من هذا التسهيل تجويز الجمع بين الصلاتين (الظهرين والعشائين) مطلقاً، وأمّا كيفية الجمع فهى على النحو الذى كان المسلمون جميعاً يجمعون فى عرفة والمزدلفة. وقد يُتَصوَّر أن المقصود من الجَمع هو أن يؤتى بالصلاة الأولى من الصَّلاتين فى آخر وقت الفَضيلة (مثلاً عندما يبلغُ ظل الشاخص إلى مقداره) ويؤتى بالصلاة الثانية فى أوّل وقت العصر، وبهذا العمل يكون المصلّى ـ فى الحقيقة ـ قد أتى بكلتا الصلاتين فى وقتهما وإن كان أحداهما فى نهاية وقتها والآخرى فى بدايته.

---

۱ . شرح الزرقانى على موطأ مالك، ج ۱، باب الجمع بين الصلاتين فى الحضر والسفر ص ۲۹۴.

(۳۴۲) ولكن هذا التصوُّر مخالفٌ لظاهر الرّوايات لأنّ كيفية الجمع بين الصلاتين ـ كما أسلفنا ـ هى على غرار ما يفعله المسلمون جميعاً فى عرفة والمزدلفة، يعنى انّهم فى عرفة يأتون بكلتا الصلاتين (الظهر والعصر) فى وقت الظهر، وفى المزدلفة يأتون بكلتا الصلاتين (المغرب والعشاء) فى وقت العشاء. وعلى هذا الأساس يجب أن يكون الجمع بين الصّلاتين الذى جاء فى لسان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ناظراً إلى هذا النمط من الجَمع، وليس الجمع الذى يؤتى فيه بإحدى الصلاتين فى آخر وقته، وبالأُخرى فى أوّل وقتها. هذا مضافاً إلى أنّ حكمة الجمع بين الصلاتين وُصِفت فى بعض الروايات بأنّها التوسعة والتخفيف وفى بعض الرّوايات وصُفِت بأنّها لرفع الحَرَج، وهذا إنّما يتحقّق إذا كان المصلّى فى الجمع بين الصلاتين على خيارٍ كاملٍ يعنى أن يجوز له أن يأتى بالظهر والعصر، والمغرب والعشاء متى شاء. هذا مضافاً إلى أنّه على أساس هذا التفسير للمقصود يجب أن يُقال إنَّ النبىّ لم يأت بشىءٍ جديدٍ، لأنّ مثل هذا الجمع كان جائزاً حتى قبل أن يفعله النبىّ، فإنّ أى مسلم كان يجوز له أن يؤخّر صلاة الظهر إلى آخر الوقت، ويأتى بالعصر كذلك فى أول وقته. ولقد كَتبَ فقهاءُ الشيعة الإمامية حول الجَمع بين الصَّلاتين وأدلّتِهِ رسائلَ مفصّلةً يمكن لمن يحبُّ التوسعَ مراجعتها. (۳۴۳)

الأَصلُ الخامسُ والأَربعون بعد المائة: الزواج المؤقت (المتعة) إنّ الفقه الشيعىَّ تَبعاً للكتاب والسُّنة يُصَحّحُ نوعَين من الزَّواج: «الزواج الدائم» وهو لا يحتاج إلى توضيح . «والزواج المؤقَّت» أو المتعة وكيفيتها كالتالى : يجوز للرجل والمرأة بأن يقيما علاقة زوجيّة بينهما لمدّة معينة شريطة أن لا يكون هناك مانعٌ شرعى (من نَسَبٍ أو رِضاعٍ) فى طريق زواجهما، وذلك بَعد أن يُعيّنا مبلغاً من المال، ثم إنّهما بعد انقضاء المدة ينفصلان من دون إجراء صيغة الطلاق. ولو نشأ من هذا الزواج (المؤقَّت) وَلد كان ولدُهما شرعاً وورثهما. وعلى المرأة ـ بعد إنقضاء المُدّة ـ أن تعتدَّ عدةً شرعيّةً، ولو كانت حاملاً وَجَبَ الإعتدادُ إلى أن يولَد الطفلُ، ولا تتزوَّج فى حالِ كونها فى حبالة الرَّجُل، وكذا فى حالِ عدَّتها، برجل آخر. إنّ الزواج المؤقَّت مثل الزَّواج الدائم ماهيةً وحقيقةً، وأكثر الأَحكام الثابتة للزواج الدائم، ثابتة كذلك للنكاح المؤقَّت، وغاية ما هناك من تفاوت مهّم بين هذين الزواجين هو أمران: ۱. تعيين المدة فى النكاح المؤقت . ۲. عدم وجوب النفقة فى هذا النِّكاح. ولو أنّنا تجاوزنا هذين المطلبين البارزين تكون الفوارق الأُخرى

(۳۴۴)

فوارق جزئية لا توجب افتراقاً كبيراً بين النكاحين. هذا وحيث إنّ الإسلام دينٌ خاتم وشريعة جامعة فجوّز هذه الأَطروحة لحلّ المشكلة الجنسية. ولو أنّنا أخذنا وضع الشاب الّذى يدرس أو يعمل خارج البلاد، ويفتقد القُدرة على الزواج الدائم فماذا يفعل فى هذه الحالة؟ وما هى وظيفته فى هذه الصورة؟ فإنَّ الشابّ لا يجد أمامه إلّا ثلاثة خيارات: ألف : كبح الرغبة الجنسيّة وأن يحرم النفس من التلذّذ الجنسى. ب : إيجاد العلاقة الجنسية غير الشرعية مع النساء الفاسدات أو المريضات. ج : الإستفادة من الزواج المؤقّت مع امرأةٍ طاهرةٍ ضمن شروطٍ خاصّةٍ، من دون تحمّل مشكلة النفقة والتى توجدُها رابطة الزوجية الدائمة. إنّ من الواضح انّه ليس هناك طريقٌ رابعٌ يستفيد منه الشابُ المذكورُ، على أنّه لا يعنى هذا أنّ الزواج المؤقَّت خاصٌّ بمثل هذه الشروط ولكن فى نفس الوَقت تستطيع ملاحظة مثل هذه الموارد أن تكشف عن حكمة تشريع هذا النمط من الزواج. ولابدّ من الإلتفات ـ ضمناً ـ إلى أنّ فقهاءَ الإسلام قد أيّدوا نوعاً

من الزَّواج الدائم الذى هو فى حقيقته الزواج المؤقّت وهو ان يتزوجَ رجلٌ وامرأة زواجاً دائمياً ولكنهما أو أحدهما يعلمان بأنهما سينفصلان، بعد

(۳۴۵)

مدة بالطلاق. إنّ تجويز هذا النوع من الزواج يشبه تماماً تجويز الزواج المؤقّت فهما متشابهان جوهراً وإن اختلفا اسماً. إنّ الكتاب والسُّنَّة النبويّة حاكيان عن مشروعية الزواج المؤقّت (المتعة) فالقرآنُ الكريم يقول: (فما اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنهُنَّ فآتُوهُنَّ أُجورَهُنَّ فَرِيضَةً)(۱). إنّ الاَغلبيّة الساحقة من المفسّرين يعتبرون هذه الآية مرتبطةً بالزواج المؤقّت. وأساساً لا مجال للترديد فى تشريع مثل هذا النكاح فى الإسلام، إنّما الخلاف لو كان هو فى نسخ هذا الزواج أو عدم نسخه، أى بقاءه على مشروعيته. وروايات الفريقين حاكية عن أنّ هذا الحكم لم يُنسَخ. إنما مُنِعَ عن العمل بهذا الحكم فى عصر الخليفة الثانى، والجدير بالذكر أنّ هناك كلاماً للخليفة فى هذا المجال يكشف أيضاً عن أنّ هذا النمط من النكاح كان جائزاً بل رائجاً فى عصر النبىّ الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويفيد أنّ هذا المنع لم يكن ناشئاً إلّا من رأى شخصيٍ ليس إلّا، لاَنّه قال: «أيّها الناسُ ثلاثٌ كنَّ على عَهد رسولِ الله أنا أنهى عنهنّ وأُحَرمهنَّ وأُعاقب عليهنّ، وهى: متعة النساء، ومتعة الحج، وحىّ على خَير العَمَل»(۲).

---

۱ . النساء | ۲۴ .

۲ . شرح التجريد للقوشجى، مبحث الإمامة، ص ۴۶۴، وغيره .

(۳۴۶) والعجيب أن نهىَ الخليفة عن الشق الاَوّل والشق الاَخير من هذه الشقوق بقى إلى الآن ولكن متعة الحج بقيت معمولاً بها عند جميع المسلمين خلافاً لرأى الخليفة الثانى (والمقصود من متعة الحج هو أنّ الحاج بعد أن انتهى من عمرة الحج يخرج من حالة الاِحرام، وتحلّ له محرماته وهذه نهى عنها عمر وأمر بعدم الخروج من الاِحرام وبقاء محرمات الإحرام حتى حلول موعد الحج). والدليل الواضح على أنّ النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يمنع عن المتعة ما رواه البخارى عن عِمران بن حصين أنّه قال: نزلت آية المتعة فى كتابِ اللهِ ففعلناها مع رسول الله ولم ينزل قرآن يحرّمُهُ ولم يَنهَ عنها حتى مات، قالَ رجلٌ برَأْيه ما شاءَ (والمقصود هو تحريم الخليفة الثانى لنكاح المتعة).(۱) الاَصل السادسُ والاَربعون بعد المائةِ: وضع اليد اليمنى على اليسرى فى القراءة يُعتبر التكفيرُ أو القبض وهو وضع اليد اليُمنى على اليُسرى فى حال الصلاة بدعةً، وحَراماً فى فقه الإماميّة. يقول أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «لا يَجْمَعُ المسلمُ يَدَيه فى صلاته وهو قائمٌ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ يتشبّه بأهل الكُفْرِ مِنَ المجوس»(۲).

---

۱ . صحيح البخارى، ۶ | ۳۷، قسم التفسير عند تفسير الآية ۱۹۶ من سورة البقرة.

۲ . وسائل الشيعة، ج ۴، الباب ۱۵ من أبواب قواطع الصلاة، الحديث ۷.

(۳۴۷) وقد حكى الصَّحابىُ الكبير أبو حميد الساعدى لجماعة من صحابة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان من بينهم أبو هريرة الدوسىّ، وسهلُ الساعدىّ، وأبو أسيد السّاعدىّ، وأبو قتادة والحارث بن ربعى، ومحمّد بن مسلمة أيضاً، كيفيّةَ صلاة النبىّ الاَكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وذكر كلَّ ما فيها من مستحبّاتٍ صغيرةٍ وكبيرةٍ، ولكن لم يَذْكُرْ فيها هذا العمل (أيالتكفيرقط)(۱). ومن البديهى أنّ هذا العمل لو كان من سيرة النبىّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لذكَره عند ذكر صلاته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو لذَكره الحاضرون فى ذلك المجلس. وقد ورَد فى كتبنا الحديثيّة ما يشابه حديث الساعدى على لسان الإمام جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ برواية حماد بن عيسى أيضاً.(۲) ويستفاد من حديث سهل بن سعد أيضاً أنّ وضع اليُمنى على اليُسرى فى الصلاة حَدَث بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لاَنّه يقول: «كانَ النّاسُ يؤمَرون»(۳) لاَنّه إذا كان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو الآمر بهذا العمل لقال: كان النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يأمرُ الناسَ. أى كان ينسبه إلى شخص النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

۱ . البيهقى، السنن: ۲ | ۷۲، ۷۳، ۱۰۱، ۱۰۲ ؛ وأبو داود: السنن: ۱ | ۱۹۴، باب افتتاح الصلاة، الحديث ۷۳۰، ۷۳۶؛ الترمذى: السنن: ۲ |۹۸ باب صفة الصلاة.

۲ . وسائل الشيعة: ۴، باب ۱ من أبواب أفعال الصلاة، الحديث ۸۱ .

۳ . فتح البارى: ۲ | ۲۲۴، وسنن البيهقى: ۲ | ۲۸ .

(۳۴۸)

الأَصلُ السابعُ والأَربعون بعد المائة: لاتجوز صلاة التطوّع جماعة تُعتبر صلاةُ «التراويح» من المستحبّات المؤكّدة اتّباعاً لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . فقد جاء فى الفقه الشيعىّ انّه يُستحبُّ أن يُصلّى الإنسان طول شهر رمضان ألف ركعة زائداً على النوافل المرتّبة فى سائر الشهور، وتصلى هذه الصلاة فرادى، والجماعة فيها بدعة.ويقولُ الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ : «ولا يَجُوز أنْ يُصَلّى التطوَّعَ جماعةً»(۱). وقد ذَكرَ الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ فى رسالته التى كَتَبَ فيها عقائد المسلم، وأعماله بأنّ هذه النوافل لا يجوز الإتيان بها جماعة، وأنّ الإتيان بها كذلك بدعة. حيث قال: «ولا يُصَلّى التطوّع فى جماعة لأنّ ذلك بدعَة وكلُ بدعةٍ ضلالة وكل ضلالة فى النار»(۲). من دراسة تاريخ صلاة «التراويح» جماعةً كما هو متداوَلٌ بين أهل السُّنّة، يتضح أن الإجتهاد الشخصىّ كان وراء تشريع هذا الأمر إلى دَرَجة أنّهم سمَّوه بدعة حسنة. ويمكن لمن يجب الوقوف على هذا أن يراجع المصادرَ التالية.(۳)

۱ . الصدوق، الخصال، ص ۶۰۶.

۲ . الصدوق، عيون أخبار الرضا: ج ۲ ص ۱۲۴.

۳ . القسطلانى، إرشاد السارى: ۳ | ۲۲۶؛ عمدة القارىَ: ۱۱ | ۱۲۶؛ الشاطبى، الاعتصام: ۲ | ۲۹۱.

(۳۴۹)

الأَصلُ الثامنُ والأَربعون بعد المائة: الخُمس اتّفق فقهاء الإسلام على أنّ غنائم الحرب تقسَّم بين المجاهدين ما عدا خمس الغنائم، فإنّه يجب صرفُه فى موارد خاصّة جاء ذكرُها فى قوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شىءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ وَلذِى القُربى واليَتَامى وَالمَسَاكِينِ وَابنِ السَّبِيلِ)(۱). والفرقُ الوحيد بين فقهاء الشيعة وبين غيرهم من الفقهاء هو أنّ الفريقَ الثانى يخصّون «الخُمْسَ» بغنائم الحرب، ولا يقولون بفرض «الخمس» فى غير ذلك، ممّا يكتسبه الإنسان ويستحصله ويَستدلون لهذا الموقف بهذه الآية المباركة التى ذُكِرَت فيها غنيمةُ الحرب والقتال. ولكنّ هذا الموضوع غير صحيح لسببين: أوّلاً: أنّ الغنيمة تُطلَقُ فى لغَة العَرب على كلّ مايفوزُ به الإنسان، ولا تختص بما يَحصَلُ عليه من العَدُوّ فى الحرب، وبالقتال. يقول ابن منظور: «الغنم الفوز بالشىء من غير مشقة»(۲). كما أنّ القرآنَ الكريمَ يستعمل هذه اللفظة فى نِعَم الجنة، إذ يقول: (فَعِنْدَ اللهِ مَغانِمُ كثيرَةٌ)(۳).

۱ . الأَنفال | ۴۱ .

۲ . لسان العرب، كلمة غَنَم، ويقرب من هذا المعنى ما ذكره ابن الأثير فى النهاية، والفيروز آبادى فى قاموس اللغة.

۳ . النساء | ۹۴ .

(۳۵۰) وأساساً: «الغنيمةُ» فى مقابل «الغرامة» فكلّما حُكمَ على الشخص بأن يدفَعَ مبلغاً من دون أن يستفيدَ من شىء سُمّىَ ذلك المبلغ «غرامة»، وإذا فاز بشىء وحَصَل عليه سمّى ذلك «غنيمة». وعلى هذا الأساس لا تختصُّ لفظة الغنيمة بغنائم الحرب ،ونزولُ الآية فى غنيمة معركة «بدر» لايَدلُّ على اختصاصها بغنيمة الحرب، وقانون تخميس الأرباح قانون شاملٌ وكاملٌ، ومورد الآية غير مخصّص لهذا لحكمِ العامّ. وثانياً: لقد وَرَدَ فى بعض الروايات أنّ النبىَّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فرض «الخمسَ» على كلّ ربح،

فعندما حضر عنده وفدٌ من قبيلة عبد القيس وقالوا: إنّ بيننا وبينَك المشركين، وإنّا لا نصل إليك إلاّ فى الاَشهر الحُرُم فمرنا بجُمل الاَمر، إن عَمِلنا به دخلنا الجنة وندعوا إليه مَن وَراءنا؟ فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «آمُرُكم بأربع: وأنهاكُمْ بأربع: شهادة أن لا إلَه إلاّ ـ الله وإقام الصّلاة وإيتاء الزكاة وتعطوا الخمس من المغنم»(۱). إنّ المراد من الغنيمة فى هذه الرواية، غير غنيمة القتالِ لاَنّ وفد عبد القيس قالوا: إنّ بيننا وبينكَ: المشركين ، يعنى انّنا نخاف أن نصل إليك فى المدينة لوجود المشركين بيننا وبينك، وهذا يفيد أنهم كانوا محاصَرين من قِبَل الكفّار والمشركين ولم يكن فى مقدورهم مقاتلة المشركين حتى يحصلوا على غَنيمة منهم، ثم يقوموا بتخميسها.

---

۱ . صحيح البخارى، ج ۲ ص ۲۵۰ .

(۳۵۱) هذا مضافاً إلى أنّ الرّوايات الصادرة عن أهل البيت: تصرّح بوجوب دفع «الخمس» مِن كل ربح يحصل عليه الاِنسانُ، وهذا ممّا لا يدع مجالاً للشكّ والغموض(۱). هذه بعضُ الفُروع الفقهيّة التى اتخذَ فيها الشيعةُ مواقفَ خاصة. وللمثال ثمتَ خلاف بينهم وبين غيرهم فى أبواب الخمس، والوصيّة والاِرث، ولكن لابدّ من القول بأنّه مضافاً إلى اشتراك الشيعة مع غيرهم فى كليات الاَحكام، فإنّ تدريس الفقه بصورة مقارنة وبخاصة مع الاَخذ بنظر الاعتبار كل ما ورد عن أهل البيت من آراء وأحكام مدعومة بالدليل، يمكنه أن يقلّلَ من شقة الخلاف بين أهل السنة والشيعة فى هذا المجال.(۲) الاَصلُ التاسعُ والاَربعون بعد المائةِ: دور الشيعة فى بناء الحضارة الاِسلامية إنّ الحضارةَ الاِسلامية ثمرةُ الجهود المتواصلة للاُمّة الاِسلامية منذ انبثاق الدعوة المحمدية المباركة، فهم بشعوبهم المتنوعة وفى ظِلّ الاِيمان والعقيدة ذابوا فى بوتقة الاِسلام، ووظَّفُوا كلّ قواهم وإمكانياتهم وركّزوا كلّ مساعيهم وجهودِهم لخدمة الاِسلام، وتحقيق أهدافه

---

۱ . وسائل الشيعة، ج ۶، كتاب الخمس، الباب الاَوّل.

۲ . وصيّة الوارث نافذة فى نظر الشيعة ولكنها غير نافذة فى نظر السنّة، والعول والتعصيب فى أحكام الاِرث باطلان فى نظر الشيعة وفقههم ويجب معالجة المشكلة فى مورد العول بطريق آخر، مذكور فى كتب الفقه.

(۳۵۲)

وأغراضه السامية، وبذلك أرسوا دعائم حضارةٍ لاتزال البشرية مدينة لها ومستفيدة منها. ولقد كانَ للشيعة دورٌ مؤثرٌ فى بِناءِ صرحِ الحضارةِ الاِسلاميّة الكبرى، ويكفى تصفّح الكتب المؤلَّفة فى العلوم والحضارةِ الاِسلاميّة لنرى كيف تلمع فيها أسماءُ علماء الشيعة ومفكّريهم. ففى مجال الآداب العربية والعلوم الاِنسانية يكفى أن نعرف أنّ الاِمام عليّاً أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ هو مؤسّسُها الاَوّل، وأن تلميذه أبا الاَسود الدؤلى هو الذى عمل على توسعتها وتدوينها. وقد واصَلَ علماء الشيعة بعد ذلك الجهود الحثيثة فى سبيلها، وذلك نظراء المازنى (المتوفّى ۲۴۸ هـ) وابن السكيت (المتوفّى ۲۴۴ هـ) وأبى إسحاق النحوى (من أصحاب الاِمام الكاظم) وخليل ابن أحمد الفراهيدى مؤلّف كتاب «العَين» (المتوفّى ۱۷۰ هـ) وابن دريد مؤلف كتاب «الجمهرة» (المتوفّى ۳۲۱ هـ) والصاحب بن عبّاد مؤلف كتاب «المحيط» (المتوفّى ۳۸۶ هـ) وغيرهم من آلاف الاُدباء الشيعة الذين كان كل واحد منهم قطباً من أقطاب اللغة، والنحو، والصرف، أو الشِّعر، وعلم العَروض فى عصره. وفى علم التَّفسير فالمرجع الاَوّل لتفسير القرآن بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو الاَمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأئمة أهل البيت: ومن بعدهم عبد الله بن عباس (المتوفّى ۶۸ هـ) وغيرهم من تلامذة أهل البيت، وقد ألَّفَ علماءُ الشيعة طوال أربعة عشر قرناً مئات التفاسير المتنوِّعة حجماً وكيفاً ومنهجاً، وقد كتبنا مقالاً مفصّلاً حول تأليف الشيعة فى

(۳۵۳)

مجال التفسير عبر التاريخ، نُشِرَ فى مقّدمة الطبعة الجديدة لتفسير «التبيان» للشيخ الطوسىّ. وفى علم الحديث تقدّمت الشيعة على غيرهم من الِفرَق الاِسلامية فى تدوين السنة وكتابتها ودراستها على حين كان ذلك ممنوعاً فى عصر الخلفاء. ويمكن الاِشارة فى هذا الصَّعيد إلى «عبيد الله بن أبى رافع» و «ربيعة بن سميع» و «علىّ بن أبى رافع» من أصحاب الاِمام على ـ عليه السلام ـ، ثم إلى أصحاب وتلامذة الاِمام السجّاد والباقر والصادق:. إنّ تنامى علم الحديث فى عصر الاِمام جعفر الصّادق ـ عليه السلام ـ بلغ إلى درجة أنّ الحسن بن على الوشاء قال: رأيتُ فى مسجد الكُوفة تسعمائة محدّث كلُّهُمْ يقولُ: حَدَّثنِى جعفرُ بنُ محمد ـ عليه السلام ـ.(۱) وفى مجال الفقه تخرّج من مدرسة أهل البيت: علماء ومجتهدون كبارٌ نظراء: أبان بن تغلب (المتوفّى ۱۴۱ هـ) وزرارة بن أعين (المتوفّى ۱۵۰هـ) ومحمد بن مسلم (المتوفّى ۲۱۰ هـ) ومئات المجتهدين الكبار والعلماء المحققين كالشيخ المفيد والسيد المرتضى، والشيخ الطوسىّ، وابن إدريس الحلّى والمحقّق الحلّى، والعلاّمة الحلّى الذين خلَّفوا آثاراً علميّة وفكريّة فى غاية الاَهمية. على أنّ جهودَ الشّيعة لم تتركّزْ على هذه العلوم حسب ولم تقتصر خدماتُهم على هذه المجالات بل خدَموا الاِسلام والعالم فى غيرها من

---

۱ . رجال النجاشى، الرقم ۷۹.

العلوم كالتاريخ والمغازى والرجال، والدراية، والشِّعر، والاَدب وغير ذلك ممّا لا يسع هذا المختصرُ لسَرد أسمائها. هذا كلّه فى مجال العلوم النَقْليّة، ولقد تقدَّموا على غيرهم من الطوائف والفِرق فى العلوم العقليّة كعلم الكلام والفلسفة لاَنَّ الشيعة يمنحون العقلَ دوراً أكبر وأهمية أكثر ممّا يعطيه غيرُهم من الفِرَق الاِسلامية. فهم بالاِستلهام من أحاديث الاِمام أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين: سعوا أكثر من غيرهم فى بيان وشرح العقائد الاِسلاميّة، وبهذا قدّمت الشيعة للاُمّة الاِسلامية جيلاً عظيماً من المتكلّمين القديرين ومن الفلاسفة الكبار، ويُعَدُّ الكلام الشيعىُّ من أغنى وأثرى المدارس الكلامية الاِسلامية، وهو يحتوى ـ مضافاً إلى أدلةٍ من الكتاب والسنة ـ على براهين قوية من العقل. إنّ أحد أُسُس الحَضارة الاِسلامية هو معرفة عالم الطبيعة وقوانينها وقد تخرَّجَ من مدرسة الاِمام جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ أشخاص معروفون مثل «جابر ابن حيان» برعوا فى مجال العلوم الطبيعية إلى درجة أن جابراً دعى فى هذا العصر بأبى الكيمياء الحديثة. وفى علم الجغرافيا كان أحمدُ بن أبى يعقوب المعروف باليعقوبى (المتوفّى حوالى ۲۹۰ هـ) أول عالم جغرافىّ ساحَ فى البلاد الاِسلامية العريضة، وألّف كتاباً باسم «البلدان» وهو من علماء الشيعة. (۳۵۵) إنّ هذه الجهود الكبرى التى بُذلت فى سبيل العلم والثقافة وأبتدأت من القرن الهجرى الاَوّل وحتى هذا اليوم، وأُسّسَت من أجلها الحوزات والمدارس، والجامعات والمعاهد العديدة تمت على أيدى علماء الشيعة، ورجالهم الذين لم يفتأوا لحظةً واحدة عن تقديم الخدمة للعالم البشرى، وللحضارة الاِسلامية والاِنسانية. وإنّ ماذُكِرَ هنا فى هذه العجالة ليس إلاّ إشارة عابرة إلى دور الشيعة فى مجال العِلم والحضارة الاِسلاميّة وللتوسّع ومزيد الاطلاع لابدَّ من مراجعة المصادر المرتبطة بهذا المجال.(۱) الاَصلُ الخمسون بعد المائة: الوحدة بين المسلمين إنّ الشيعة لاترى الاختلاف فى الفروع مانعاً من الاَخوة الاِسلاميّة، ومن توحّد صفوف المسلمين أمام الاستعمار الغاشم. كما أنّهم يعتقدون بأنّ عقد جلسات الحوار العلمى فى جوّ هادئٍ، كفيلٌ بأن يحلّ الكثيرَ من المشاكل والاختلافات الفكرية والفقهيّة (التى تمنع أحياناً عن توحيد الصفوف ووحدة الكلمة). على أنّ الاختلاف فى الرأى والمنهج أمر غريزى عند البشر أساساً، كما أن سدّ باب المناقشة والبحث العلمىّ فى وجه العلماء

---

۱ . فهرست ابن النديم، رجال النجاشى، فهرست الشيخ الطوسى، تأسيس الشيعة لعلوم الاِسلام، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، أعيان الشيعة، والمجلد السادس من بحوث فى الملل والنحل، وغيرها من الكتب.

والمفكّرين والفقهاء يوجب ضمورَ الفكر، وموت العلم والقضاء على روح التفكّر. من هنا سعى علماء الشيعة الإمامية فى كل العصور إلى أن يوضحوا الحقائق بطرح الأبحاث العلميّة والعقيديّة على طاولة البحث والنقاش، وبذلك قاموا بكُلّ خطوةٍ من شأنها توحيد صفوف المسلمين وتأليف قلوبهم ضد أعداء الإسلام الذين أقسموا على محو هذا الدين وإطفاء جذوته. ربّنا وإلَهنا قوّ شوكة المسلمين وأعنهم بقوةٍ منكَ على أعدائهم الغاشمين من المشركين والمنافقين، ومن ساعدهم على أذى المسلمين. واهدنا يا ربّ إلى الصراط المستقيم. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹